

## ١ القسم الأول

### أزمة منظومة التربية في عصر العولمة

• تمهيد.

• العولمة.

• تداعيات تربوية شائكة.

• منظومة تربوية جديدة أم الكارثة؟



## تقديم الكتاب

لقد تابع الكاتب باهتمام واجتهاد منظومة التربية في الوطن العربي في شتى جوانبها فاكشف أن أزمة منظومة التربية متشابهة بدرجة كبيرة على مستوى جميع الدول العربية بلا استثناء، وخاصة بعد أن جاءت العولمة بتداعياتها الخطيرة، وفرضت أوضاعاً سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية صعبة وشائكة .

ولذلك وجه الكاتب جل إهتمامه نحو منظومة التربية، وخاصة بعد أن قاده فكره التربوي وحسه الوجداني إلى أن الوقت بات الآن مناسباً للتصدي لمشكلات منظومة التربية، حتى لا يفلت الوقت من بين أيدينا، وتحدث كارثة تربوية محققة، يكون من الصعب تداركها وعلاج تأثيراتها السلبية الخطيرة .

وعليه .. تمركز تفكير الكاتب حول دراسة أزمة منظومة التربية في عصر العولمة من خلال دراسة التداعيات التربوية الشائكة، التي يجب التصدي لها، وتحديد بدق حتى يمكن وضع الحلول الناجحة والمناسبة لها .

ومن أجل أن تعود لمنظومة التربية قوتها وعافيتها، لتؤدي أدوارها المأمولة، فإن الكاتب تطرق لدراسة الجوانب الفرعية لمنظومة التربية، مقدماً رؤيته الخاصة لحل مشكلاتها، لعلها تكون مفيدة وفاعلة .

لقد استوجب تحقيق ما تقدم، إجراء ( ٢٩ ) دراسة فرعية للمنظومات الجزئية لمنظومة التربية، وهي :

- \* نحو تطوير منظومة التعليم : من خلال ست دراسات فرعية .
- \* نحو تطوير منظومة التعلم : من خلال خمس دراسات فرعية .
- \* نحو دراسة منظومة المنهج : من خلال خمس دراسات فرعية .
- \* نحو تطوير منظومة التدريس : من خلال دراستين فرعيتين .
- \* نحو تطوير الأنشطة المصاحبة : من خلال دراستين فرعيتين .
- \* نحو تطوير منظومة التقويم التربوي : من خلال دراستين فرعيتين .

\* نحو تطوير منظومة إعداد المعلم : من خلال أربع دراسات فرعية .

\* نحو تطوير منظومة البحث العلمي : من خلال ثلاث دراسات فرعية .

وجدير بالذكر أن الكاتب قدم عددا من الدراسات الفرعية السابقة كأوراق بحثية في بعض المؤتمرات التربوية العلمية، ولقد كان لهذه الأوراق البحثية صداها الطيب .

ختاماً، يأمل الكاتب أن يكون هذا المصدر إضافة مهمة في مجاله، ومساعدة لها جدواها في تحقيق هدف نبيل وغاية سامية، ألا وهي : تطوير منظومة التربية في الوطن العربي .

وقفنا لله في خدمة قضية التربية في الوطن العربي

أ.د. مجدى عزيز إبراهيم

مصر الجديدة ٢٠٠٥/١/١

كلية التربية بدمياط

## مقدمته

بدأى ذى بدء تجرد الإشارة إلى أهمية التطرق لبعض المصطلحات ذات العلاقة المباشرة لموضوع هذا القسم، إذ تمثل هذه المصطلحات المدخل الطبيعي لشرح مفهوم العولمة، ولفهم أبعاد أزمة منظومة التربية، ولتوضيح أهمية التفكير فى منظومة تربوية جديدة حتى لا تحدث كارثة تربوية تعليمية تعلمية.

وهذه المصطلحات هى على النحو التالى :

### روح العصر Zeitgeist

مصطلح الألماني يعنى الروح Geist المميزة لفترة تاريخية Zeit معينة، ونلاحظ أن فلاسفة القرن الثامن عشر، مثل فولتير على سبيل المثال، قد تملكتم فكرة "روح العصر" هذه، ولكنها لم تبلغ أكمل صورها إلا على يد هيجل، وبذهب (هيجل) إلى أن الفلاسفات والأعمال الفنية لا تستطيع أن تتجاوز روح العصر الذى أنتجت فيه أو تتسامى عليها، فتعبيرها يتسم دائماً بالرمزية وعدم الكمال، ولكن تقدم الروح البشرية لن يتحقق إلا ببلوغ مستوى - قل أو أكثر - من القدرة على النفاذ الى الروح المطلقة أو الحقيقة ذاتها، التى تتجاوز حدود أى عصر بعينه. ولكن مصطلح روح العصر أصبح يستخدم اليوم على نحو فضفاض لوصف الخصائص الثقافية لآى عصر، كان يقال روح الستينيات أو "العصر الرومانسى"، ولم يعد يحمل المدلول المذهبي التاريخي المعروف به فى فلسفة (هيجل).

### رؤية العالم، فلسفة الحياة Weltanschauung

مصطلح الألماني يشير إلى العالم أو فلسفات الحياة الخاصة بمختلف الجماعات داخل المجتمع، فيقال على سبيل المثال أن الأشخاص الذين يظلون متعطلين عن العمل لفترة طويلة تتكون لديهم نظرة قدرية إلى الحياة، وأن أبناء الطبقة الوسطى يتسمون بتوجه فردي فى الحياة عموماً، على حين أن أبناء الطبقة العامة يتمسكون ببعض المعتقدات والاتجاهات التى تؤكد على الجماعية والمشاركة. وقد طرح علماء الاجتماع مجموعة من الأسئلة الطريفة حول هذا الموضوع، من ذلك مثلاً: هل تتمسك بعض الجماعات الاجتماعية فعلاً ببعض رؤى العالم المحددة؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يحدث أن يتبنى الأفراد تصورات معينة عن المجتمع، وما العلاقة بين عضوية الجماعة وتصورات الفرد الذاتية التى يكونها عن تلك الجماعة؟ والمشكلة الرئيسة التى تواجه علماء الاجتماع الذين يتناولون مثل هذه الموضوعات تتمثل فى تعريف ووصف رؤية العالم نفسها، فما المعتقدات والقيم التى يعتقد أنها تشكل رؤية العالم؟ وهل يتبعن علينا أن نتوقع تمسك الناس برؤى متنسقة للعالم؟ وذلك بالنظر إلى أن البحوث التى أجريت - مثلاً - عن موضوع تصور الناس عن الطبقة تدلنا على أن اتجاهات وقيم غالبية الناس تتسم بالغموض

وعدم التحدد أو بعدم الاتساق، وإنما نادراً ما تشكل كياناً كلياً متماسكاً، من هنا يمكن القول بوجه عام: إن استخدام هذا المصطلح يشير في العادة إلى قدر معين من عدم الدقة في النظر، وأنه يكاد يدل في جميع الأحوال على أن البيانات الملائمة للحالة موضوع الدراسة مازالت غير متوافرة.

### خصائص المعلومات :

المعلومات هي محرك وجودنا، وتضع أسس تصوراتنا وإدراكنا ومشاعرنا، وتكون قاعدة المنظورات التي نبني عليها العالم من حولنا، وهي التي تعطي الانطباعات وتقوى وتدعم الاعتقادات، وفي النهاية توجهنا للقيام بالاختيارات والطريق الذي نسلكه، وهي أيضاً تخبرنا بما يحدث في العالم حولنا، وتكون اختياراتنا السياسية من المحلية إلى العالمية. لكن المعلومات التي تصلنا خلال وسائل الإعلام والاتصال من إذاعة وتلفزيون وصحافة وإنترنت، تعتمد في وصولها على معتقدات وعقائد، وانحيازات الآخرين القائمين بعملية الاتصال، فهي يمكن أن تقودنا وتوجهنا إلى إيجابيات ضارة - طبعاً بالإضافة إلى فوائدها - حتى إنها يمكن أن تبني لنا صوراً خاطئة وكاذبة وخادعة عن حياتنا وأعمالنا وتأثيرنا على العالم.

هذا يعني أن المعلومات كيان فريد في عالمنا، ليست مثل الأجسام المادية، وجودتها لا تقاس بالكتلة أو الحجم، ولا يمكن أن تمسك، ولا تقاس بالوزن أو اللون، فالصورة تساوي آلاف الكلمات، وكل من الكلمات والصور يمكن أن تغير حياتنا تماماً، وهي ليست مثل تدفق الطاقة التي تحيط بنا، فبرميل من النفط إذا وزع بين عشرة مراسلين، كل واحد منهم يأخذ عشرة جالونات بينما قصة عن النفط يمكن أن تعطي كاملة إلى كل واحد منهم، وتلك القصة نفسها قد تصبح ١٠ قصص مختلفة، اعتماداً على معرفة نية وهدف المراسل. والمعلومات يمكن أن تكون العديد من الأشياء والمعاني للعديد من الناس. إنها تنتشر وتتكاثر، إنها تؤثر وتصطدم وتفعل، إنها تركز الانتباه، إنها تلهي وتسلو وتصرف الانتباه، إنها تضلل وتكذب، وتلوي الحقائق، إنها كل ذلك! فهي تصنع فهمنا الصحيح والخاطئ في الوقت نفسه للعالم حولنا. إنها تستطيع أن تغير تصورات وإدراكات وأفعال الأمم والأشخاص، وهكذا تساعد المعلومات في تدفق وسريان التاريخ وبناء عالم اليوم، في الحقيقة المعلومات هي القاعدة الجذرية للعالم الحديث اليوم، فالديمقراطية، والتبادلات المالية، والسياسية، والثقافية تعتمد على التدفق السريع للمعلومات الدقيقة والموثوق فيها، لذلك يكون من المهم طرح السؤال التالي :

ماذا يفعلون بالمعلومات اليوم ؟

أنهم يطلقون النار على عيون وآذان البشر، وتزاحم وتتنافس كتل البيانات والمعلومات على الوصول بجرعات مكشفة، تشبه الصدمة في العيون والآذان، إنها خدع تسويقية، وفيض وتخمة من البيانات والمعلومات، النافع منها قليل للغاية! فالمعلومات ليست المعرفة، فمواد الإثارة والتشويق تلاحقنا كل يوم وتمسك بمقولنا، لكن المهم التمييز بين مواد التشويق والحماس واستثارة العواطف، وبين المواد الغذائية للمقول!

في عصر صرف الانتباه نمد الأصوات والضجيج والصور والبيانات تجرى فينا كالانهار دون توقف ومن كل اتجاه، وهو شيء مدهش أن نسمع، ونشاهد، ونفهم خلال تلك الفوضى! يجب أن نحصى حياتنا من غزو التكنولوجيا تلك المقولة تتردد من وقت لآخر بين المفكرين، ففي عصر الإكهاء الذي نعيش فيه، حيث يسيطر الحاسوب على جميع تفاصيل حياتنا الآن! في هذا العصر المحموم، تكنولوجيا المعلومات تحاصرنا في كل مكان، في هذا العصر كيف نقرر ما نريد أن نفعله؟! في هذا العصر عصر المعلومات تصب فوقنا كميات هائلة من البيانات والمعلومات من مصادر عديدة، نجعلنا نعيش في صعوبة، ولا نستطيع استمرار السيطرة على الذي نريده، أو نحتاج للتفكير فيه!

لماذا لا نستمع إلى بعضنا البعض؟ لماذا لا نصفى لأفراد أسرنا ولاطفالنا؟ لماذا لا نسمع المهمشين في الأرض من الفقراء والبؤساء؟ لماذا لا نشعر ونتنبه للآخرين؟ بل لماذا لا نسمع أنفسنا؟ لسبب بسيط للغاية أننا نعيش عصر الإكهاء! والمعلومات تقذف علينا كل ثانية بالقنابل وتفرغ عقولنا وتشير البلبلة، وتفصلنا عن الآخرين! وتلهينا بالتسالي العمياء، وتفقدنا القدرة على الإصغاء!

وفي عصر الإكهاء وصرف الانتباه، أصبحت قدرتنا على الكلام تفوق قدرتنا على الاستماع والإنصات للآخرين! نحن نستطيع بسهولة أن نعطي لشخص ما جزءاً من انتباهنا العقلي، لكننا نجد صعوبة شديدة في تفهم وجهة النظر الأخرى! وتوضح الدراسات الحديثة أن أقل من ٤٠٪ من ساعات استيقاظنا تنفق في الاستماع! ودقائق قليلة للغاية تنفق في مناقشة الآخرين، في حين نتذكر حوالي ٢٥٪ فقط أو أقل من كتل المواد التي نسمعها ونشاهدها، ومع مرور الوقت تضعف تلك النسبة بسرعة شديدة.

### طبيعة العصر :

عندما سيطر الطابع التجاري على المعلوماتية، انطوى مضمونها على تمريض دائم وحاسم لإغراء الناس بالفوضائية والكسل، والاستسلام لسلوكيات السوق، وتكوين رأى عام تتلاعب به الدعاية والإعلانات، وهدم كل فكر ناقد ومسؤول، من خلال استطلاعات الرأى العام المغلوطة، وغباء ألعاب الفيديو والكمبيوتر، ومسابقات التلفزيون والإنترنت

التي تلوح بإغراء الحصول على المال بسهولة، ويزيد على ذلك انفجار الإباحية على الإنترنت والفضائيات، لتكتمل الملهاة المعلوماتية. فنحن نعيش في عصر التشويش، عصر اللهو والتسلية، عصر صرف الانتباه، عصر الإلهاء، عصر شرود الذهن، عصر اللامبالاة، عصر اللامبالين، كلها تسميات أطلقها المفكرون على هذا العصر، والمفارقة أننا دخلنا عصر معلومات بشكل متزامن أيضاً مع عصر الإلهاء أو صرف الانتباه، حيث تتحرك الحياة حولنا بسرعة أكبر، وبطريقة إلكترونية أكثر إثارة وأعظم؛ وتقلصت محادثتنا، وضعف انتباهنا، وتبددت رغبتنا في انتظار الأشياء، ونفذ صبرنا، واختصرت قدرتنا بسرعة على التفكير بشكل نقدي، وأصبحنا منومين مغناطيسياً، وتمت محاصرنا بالصوت والحركة، حتى في اللحظات القليلة من اليقظة تحاصرنا الإعلانات على الأرصفة والمظلات والحوائط والملصقات stick-er على ثمار الفاكهة، وترفرر رايات "الخداع المهانية" على شبكة الإنترنت؛ وأصبحت شاشات التلفزيون والإنترنت في كل صالة ودلهيز وفي كل مطعم وكل طائرة، حتى في الأنفاق الأرضية وسيارات الأجرة! وعندما نتأمل كل هذه الملهيات معا نعتقد أنه لا يمكن أن تكون هناك ملهيات جديدة بعد الآن، وأنها تمثل كل الحياة، لدرجة أصبحت المحادثات الطويلة والتسامر بين البشر، ولحظات المسالمة والهناء، وقصائد الشعر وقطع النثر التي تثير خيالك، وممارسة الشعائر الروحية؛ أصبحت جوانب غير مالوفة في الحياة، وومضات غير متوقعة وشاذة!

وبعد أن تعرضنا لبعض المفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة والتأثير المباشرين على منظومة التربية، فإننا نؤكد على أن المستقبل آت آت، وعلينا أن نستقبله ونحن مستعدون تماماً، وبخاصة أن التاريخ لن يرحم الكسالي أو المتقاعسين.

ومن ناحية أخرى جاءت فكرة التطور لتفرض نفسها على هذا العصر، وأصبحت سيادتها تتحكم في تشكيل رؤيتنا للموضوعات المهمة التي ينبغى البحث والنظر فيها، وأوضحت لنا أنه لا يوجد شيء له صفة الثبات.

من المنطق السابق تستوجب رؤية عصرنا أن يكون اتجاها سيرنا لتطوير منظومة التربية نحو المستقبل دون الانتفاف للماضي بحجة تقدير مواقع لأقدامنا، إذ أن هذه الحججة قد تجمعنا نتمسك بأهداب الماضي تحت شعار تواصل الأجيال، وبما يؤكد أهمية النظر نحو المستقبل أن التغيير هو الحقيقة الباقية، ولا توجد حقيقة سواها.

### صعوبات على الطريق :

في سعيها نحو تحديد رؤية مستقبلية لمنظومة التربية في مصر للخروج بها من كبوتها، قد نصطدم ببعض المعوقات التي ترجع بالدرجة الأولى إلى تعدد الآراء وتباينها بالنسبة لوضع حدود فاصلة وقاطعة لهذه الرؤية.

- ومن أهم هذه المعوقات التي ترتبط بالتربية بعامة، وبالتعليم بخاصة، نذكر الآتي :
- ( ١ ) التعليم له دوره التنموي المستقبلي في مجالات الصناعة والزراعة والتجارة، فما إمكانية اتفاق العاملين في هذه المجالات في تحديد احتياجاتهم المستقبلية المطلوبة من التعليم؟
  - ( ٢ ) التعليم له جانبه السياسي، فكيف يمكن التوفيق بين التيارات والاتجاهات السياسية المختلفة في تحديد توجهات مستقبلية للتعليم؟
  - ( ٣ ) التعليم له جانبه المادى البحث، وهذا الجانب سوف يفرض نفسه على الساحة وتزداد حدته وفعاليته في آن واحد في المستقبل، فما السبيل للحصول على التأييد الديني لهذا الجانب؟
  - ( ٤ ) التعليم له أهدافه الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، فإن كان من الصعب التركيز على جميع هذه الجوانب في المستقبل لاي سبب من الأسباب، فما الجانب الأكثر أهمية الذي ينبغي النظر إليه بعين الاعتبار؟
  - ( ٥ ) التعليم يتأثر ويؤثر في الأنظمة الثقافية: القومية والعالمية على السواء، فكيف يمكن المحافظة على هويتنا القومية والاستفادة في الوقت ذاته بالأنظمة الثقافية الوافدة مهما كانت أيديولوجياتها؟
  - ( ٦ ) التعليم بوضعه الحالي يحتاج إلى إمكانات مادية ضخمة، وسوف ترتفع تكلفته كثيراً جداً في المستقبل، فكيف يمكن توفير هذه الإمكانيات؟
  - ( ٧ ) التعليم يهتم أولاً وأخيراً بالإنسان، فكيف يمكن إعداد وتجهيز الكوادر المثالية من قوى العقول القوية والدولية الذين يستطيعون تحقيق ذلك الهدف في المستقبل؟
- منطلقات أساسية :

عند تحديد رؤية مستقبلية جديدة لمنظومة التربية في جميع بلدان الوطن العربي بلا استثناء، ينبغي أخذ المنطلقات التالية في حساباتنا:

- ( ١ ) لا يمكن فصل عملية التعليم عن عملية التعلم، إذ أصبحتا عملية واحدة هدفها الرئيس هو إعداد المواطن الصالح.
- ( ٢ ) التعليم عملية تستمر خلال جميع سنوات عمر الإنسان، لذا ينبغي الاهتمام بالأساليب التي تحقق هذا الهدف ( أن يتعلم التلميذ كيف يعلم نفسه ).
- ( ٣ ) في ظل الظروف والضغوط الاقتصادية الصعبة، تزداد سنوياً نسبة عدد المتسربين من التعليم، وبالرغم من ذلك ينبغي التفكير في أنسب السبل لتعليم هؤلاء المتسربين، إذ أن الطرق التقليدية قد ثبت فشلها ( فصول محو الأمية ).

( ٤ ) لا تقتصر حدود الأمية على عدم معرفة القراءة والكتابة فقط، وإنما تجاوزت ذلك بكثير، وأصبحت تتضمن الأمية التكنولوجية، والأمية في مجال الحاسبات الآلية، والأمية الثقافية ( القومية والعالمية )، والأمية في اللغات الأجنبية، والأمية في التعاملات الدولية، ..، إلخ.

( ٥ ) معنى التخطيط للتعليم تحديد نوع الثقافة السائدة في المجتمع، ويعكس مدى عمق اتساع هذه الثقافة .

( ٦ ) الثقافات الرافدة ليست شراً على طول الخط، ويمكن الاستفادة من بعض جوانبها في تطوير التعليم وتحديثه في مصر.

( ٧ ) مسؤولية التعليم مشتركة بين القيادة السياسية وبين جميع أفراد الشعب أيًا كان وضعهم الاجتماعي والاقتصادي .

( ٨ ) إن زيادة كفاءة عملية التعليم والتعلم تتطلب وضع برامج طموحة لتعليم الآباء والأبناء معاً ليتم التواصل فيما بينهم في المنزل .

( ٩ ) يفشل التعليم في تحقيق جميع أهدافه المرجوة إذا فشل في إكساب التلاميذ أساليب التفكير الصحيح، وطرق التدليل السليم، والقدرة على اكتشاف حلول مبتكرة للمشكلات، وممارسة التعلم الذاتي بشكل منتظم .

المنهج .... نقطة البداية :

إن وضع مناهج جديدة تناسب العصر، وتعكس آمال الأمة وطموحاتها - هو السبيل الأرحم لتطوير التعليم .

ولأن المنهج هو لب التربية وأساسها، فهو الوسيلة الرئيسة التي نستخدمها لتحقيق الأهداف التربوية والقومية التي نسعى جاهدين لإنجازها، وهو الطريق الصحيح والسبيل الأمثل لإعداد الأجيال القادمة التي تعتبر عدة الوطن، لأنه يهيئ للتلاميذ الخبرات اللازمة لنماتهم وتكوين شخصياتهم من جميع جوانبها .

أيضاً لانغالى إن قلنا: إن المنهج هو السبيل إلى تحقيق مستقبل أسعد للإنسان، وإلى صنع عالم أفضل تسوده الثقة والطمأنينة والسلام .

وعليه فإن وضع مناهج مناسبة لظروف المكان وتقابل احتياجات المستقبل بات قضية قومية ينبغي الاهتمام بها، وبخاصة أن إصلاح حال التعليم رهن بإصلاح حال المناهج التي تقدمها المدرسة .

## المراجع

- (١) أحمد محمد صالح، «ثورة المعلومات.. أم خداع المعلومات»، مجلة الهلال، ديسمبر ٢٠٠٢، ص ١٦٦ - ١٦٩.
- (٢) جوردون مارشال، ترجمة أحمد زايد وآخرين، موسوعة علم الاجتماع (المجلد الثاني)، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي لترجمة : ٢٥١)، ٢٠٠٠، ص ٧٨٧ - ٧٨٩.
- (٣) مجدى عزيز إبراهيم، دراسات فى المنهج التربوى للماصر، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٠.



## الفصل الأول

# العولمة

• تمهيد.

• المقصود بالعولمة.

• ما بين التأييد والمعارضة للعولمة.

• هل ستنتهي العولمة؟



## مهمين

يشهد العالم الآن تدفقاً معلوماتياً غزيراً، له مصادره العديدة والمتعددة، وذلك يرجع بالدرجة الأولى إلى الثورات العلمية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن المنصرم، والتي تمثلت في الآتي :

• ثورة التكنولوجيا: وتتمثل في الكم الهائل من الآلات والمكينات والمعدات، التي يمكن استخدامها وتوظيفها في شتى جوانب الحياة.

• ثورة السسيولوجيا: وهدفها الرئيس هو ترويض الفكر النظري، في العلوم السياسية والتربوية والنفسية والاجتماعية. الخ، للاستفادة من هذا الفكر في خدمة المجتمع والإنسان على السواء.

• ثورة الأيكولوجيا: وتتمثل في شتى الأنظمة الموجودة في المجتمع، والتي تعمل جاهدة من أجل الحفاظ على البيئة من التلوث، سواء أكان هذا التلوث من صنع الإنسان نفسه، أم نتيجة لعوامل لا يستطيع أن يتحكم فيها الإنسان، مثل العوامل الطبيعية.

ويمكن القول مجازاً: إن الثورات السابقة أسهمت بدرجة كبيرة في بلورة فكرة العولمة، وينبغي ألا نأخذ الأمر السابق على إطلاقه تماماً، إذ توجد عوامل أخرى لا تقل أهمية عن الثورات السابقة، قد أسهمت في ظهور النظام العالمي الجديد الذي تمخض عنه النظام العالمي. ومن هذه العوامل المهمة تفكك الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، فأصبح المناخ العالمي مهيئاً لقبول فكرة وجود الولايات المتحدة الأمريكية كقوة واحدة ووحيدة، تستطيع أن تمارس دور الحارس الأمين ورجل الشرطة القوي، الذي يستطيع أن يحمي العالم ويفض النزاعات وينشر ثقافة السلام،.. الخ. وقد استغلت الولايات المتحدة الأمريكية الوضع السابق؛ فبدأ رجال السياسة فيها يعلنون بصورة سافرة عن العولمة كنظام.

والآن بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على ظهور العولمة كمرادف طبيعي للأمركة، لم تعد الولايات المتحدة وحدها هي التي تحتل أو تشغل الساحة.

وذلك ما يوضحه الحديث التالي :

يرتبط مستقبل البشرية بالإجازات والاختراعات والمكتشفات العالمية في شتى المجالات؛ لذا في الدول المتقدمة حيث العلم والتكنولوجيا يحتلان مركز صدارة واهتمام جميع المستويات الحكومية والأهلية على السواء، نجد أن هذه الدول لم تتجاوز فقط حدود المشكلات الناجمة عن العولمة، بل تسمى بكامل الآليات التي تمتلكها إلى تأكيد العولمة ذاتها، لقدرة تلك العوامل الفائقة على الاستيعاب والتعامل مع متغيرات العولمة، وكذا لامكاناتها العالية ورفيعة المستوى بالنسبة للتخطيط الذكي للمستقبل.

فعلى سبيل المثال: لم تستوعب الدول النامية فكرة العولمة، خوفاً من انصهار ثقافتها القومية في ثقافات أخرى؛ لذا فإنها تتعامل مع الآخر بشك وحذر وريبة، وفي المقابل نجد الدول المتقدمة التي تؤمن بالعولمة - كنظام - تتعامل مع الآخر من منطلق أهمية لقاء الحضارات، لذا فإنها تستقبل الوافدين إليها، وتحتك بالآخرين في كل مكان عن طريق الاتصال المباشر عبر الوسائل التقنية الحديثة، دون أن تخشى من الثقافات الوافدة، ودون أن تعارض فكرة امتزاج الحضارات وانصهارها لتظهر حضارات جديدة، طالما أن ذلك في صالح البشرية جمعاء.

وبعامة من الخطأ جداً أن نتصور أن المسمى الأول والآخر للدول المتقدمة، هو محاولة غسل مخ الشعوب في الدول النامية، وفرض ثقافتها على الآخرين، بعد تدمير حضاراتهم وتشويه هويتهم، والخطأ أن ثقافة وحضارة الدول المتقدمة ذاتها تمت عن طريق التعاون البشرى بينها وبين الآخرين في الدول النامية، حقيقة تسعى الدول المتقدمة في ظل النظام العالمي الجديد إلى تحقيق المزيد من المكاسب المادية والمعنوية والسياسية... إلخ، وليس في ذلك أدنى تجاوز، طالما يظل الآخرون قابعون في أماكنهم كأهل الكهف لا يتحركون، وينتظرون تلقى الهبات والمساعدات التي يجود بها الممتلكون لزام الأمور في عصر العولمة.

وليس أدل علي ما تقدم أن الإنسان في الدول النامية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأرض، لدرجة أن بعض الناس يعيشون من مهدهم إلى لهدهم في النجع أو القرية أو المدينة التي ولدوا فيها دون أن يغادروها، بينما الإنسان في الدول المتقدمة يسعى ويجاهد وينتقل من مكان لآخر، ومن بلد لآخر، ولأنه مكتشف ومغامر بطبيعته فإنه يحاول ترك الكرة الأرضية برمتها، للاستيطان في كواكب أخرى.

إن العلم والبحث وضماناته من الحرية والحماية هو السبيل المستقيم كي تدرك الدول النامية أبعاد العولمة على حقيقتها، خاصة وأن احتمالات العلم لا حدود لها، وإمكانات التقدم البشرى لا يقف أمامها عائق. أيضاً، فإن التطلع إلى المستقبل بذكاء ووعي يساعدنا على تخيل إمكان أن تعيش البشرية خلال العشرين سنة القادمة، في إنجازات تفوق كثيراً ما تحقق خلال القرن العشرين بأكمله.

إن العولمة لن تكون أبداً خطراً على الهوية أو القومية لأي بلد عربي، طالما أنه يملك العقول القوية القادرة على الإبداع والابتكار في سياق حركة اجتماعية عنوانها وأفقها المحرك هو التنمية الشاملة وتوسيع إطار الديمقراطية، وتعزيز مؤسسات المجتمع المدني، وتفعيل قيم الحوار والتعددية، وقبول الرأي والرأي الآخر، وفي القلب من تلك الحركة الاجتماعية توفير حرية التفكير والبحث العلمي، وإنشاء نظام تعليمي مختلف كلياً عن النظم القائمة حالياً في مجتمعاتنا العربية، مختلف في مادته وفلسفته، ويقوم في الأساس

على تأهيل وإعداد كوادر تعليم عالية المهارات، واحترام عقل المتلقى، وتوفير وسائل تمكينه من الاستيعاب الناقد للمعلومات والآراء وإبداع الأفكار، واختصار الزمن في مناهجنا التعليمية، وإطلاق العنان للطاقت الشابة في كل المجالات، لكي تفكر وتبدع وتعزز ثقتها بإمكاناتها<sup>(١)</sup>.

إذا العولمة باتت حقيقة واقعة ينبغى التعامل معها بذكاء وحرص، في حدود الإمكانيات والقدرات المتاحة، علماً بأن العولمة لا تكمن معضلتها في كينونتها، بقدر ما تظهر مشكلتها الحقيقية في وضع تعريف محدد لها.

فالمفترض أن تكون كلمة (عولمة) مصطلحاً، أى ما تصالحنا واتفقنا على دلالاته، غير أنها - للأسف - ما تزال لفظاً أو اسماً يستخدمه عابر السبيل كما يحلو له، ولا يختلف في ذلك كاتب المقال أو مؤلف الكتاب أو الصحفي أو رجل الشارع أو المثقف العادى أو حتى مؤلفو الدراما والمسلسلات التليفزيونية، ويحملونها الدالة التي لا تكلفهم مشقة البحث والتمييز، وهي أيسر الاستعمالات، حيث تصبح وصفاً أكثر مسابرة للموضه (للامركة)، أو اسماً حركياً جديداً للنظام العالمى، أو عنواناً حديثاً للبيبرالية المتطرفة أو المتوحشة، وكانها اسم للتدليل للعالمية أو التدويل.

ولكن هناك من يرى أن عصر العولمة هو عصر فقدان السيطرة على المقدرات، وبالتالي فالعولمة تكافئ غياب السيطرة وفلتانها، وبذا فإنها تسمى لتحقيق مصالح بعض البشر فقط، وذلك عكس الكوننة، التي هي بمثابة تصور إيجابى لتحقيق الوحدة والالفة والتكامل بين البشر، دون اعتبار للمرق أو الثقافة أو الطبقة الاجتماعية أو الخلفية السياسية<sup>(٢)</sup>.

## أولاً: المقصود بالعولمة (Globalization)،

بادئ ذى بدء، ينبغى الإشارة إلى أن المستوى الحضارى للمجتمعات الإنسانية - من وجهة نظر (أرنولد توينبى) - يتناسب تناسباً عكسياً مع يسر البيعة وسهولتها، بمعنى كلما كانت البيعة الطبيعية غنية في مواردها كلما انخفض المستوى الحضارى للأمم والشعوب والعكس أيضاً صحيح<sup>(٣)</sup>.

فالتقدم الحضارى - فى رأى (توينبى) - من فعل الإرادة الإنسانية فى مواجهة الظروف الصعبة والمقلقة، وليس ادل على ذلك من أن الواقع العملى الصعب قد فرض على الإنسان فى كل زمان ومكان أن يجد الوسيلة المناسبة، التي عن طريقها يستطيع مواجهة هذا الواقع.

وفى عصر العولمة حيث تلاحمت الحدود بين الدول، بسبب أساليب الاتصال التكنولوجية المتقدمة، متمثلة فى شبكات الإنترنت، نجد ان الاكتشافات تتواصل

والاهتمامات تتوالى، والمجهود تتلاقى، من أجل التغلب على المشكلات والصعوبات الحياتية التي تقابل الإنسان في كل مكان.

لذا نجد - في عصر العولمة - أن الحملات العالمية للقضاء على الجوع، ونقص المناعة بسبب مرض الإيدز، ومحاولة وضع علاج ناجح لمرض السرطان، .. إلخ، يصل إلى كل فرد عن طريق وسائل الاتصال الحديثة، على أساس أن المشكلات السابقة باتت تهم جميع الأفراد والدول بلا استثناء.

### ولكن : ما المقصود بلفظة العولمة Globalization ؟

إن مفهوم العولمة مازال يكتنفه الغموض، بسبب حدائته وتعدد العمليات التي تندرج تحت مظلته (اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية .. إلخ)، وعلى الرغم من ذلك فهناك محاولات جادة لشرح أبعاد هذا المفهوم، نذكر منها - على سبيل المثال - ما يلي :<sup>(٤)</sup>.

\* تعنى العولمة في معجم "ويبيستر" إكساب الشيء طابع العالمية، وذلك يجعل امتداد الشيء أو العمل به يأخذ الصفة العالمية.

\* يعرف (هورسمان ومارشال : ١٩٩١) العولمة بأنها "اندماج أسواق العالم في حقوق التجارة، والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى العامة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق، وخضوع العالم لقوى السوق العالمية تبعاً لذلك، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية، وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة".

\* يرى (الجهري : ١٩٩٨) أن العولمة "نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، العولمة الآن نظام عالمي أو يراد لها أن تكون كذلك، يشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال .. إلخ، كما يشمل أيضاً مجال السياسة والفكر والأيدولوجيا".

\* والمقصود بالعولمة من وجهة نظر (كومهلان : ١٩٩٧) : "إن هذا النظام كشبكة للتبادل والقوة يشجع نشر ما نسميه (نموذجاً تنموياً)، ويتكون هذا النموذج من عادات استهلاكية وأشكال أو صور الإنتاج، وطرائق الحياة، ومؤسسات ومعايير النجاح الاجتماعي، كما يتكون من أيدولوجيات، ومراجع ثقافية، بل وأشكال التنظيمات السياسية".

وبعامة مهما اختلفت وتباينت الآراء حول مفهوم العولمة، فعلياً أن نكون على وعى كامل بهذا الموضوع؛ لأن ما يطرح من أفكار حول "العولمة" يحتاج إلى المزيد والمزيد من الدراسة والفحص والمراجعة، وبذا يمكننا تحديد المواقع التي ينبغي الأخذ بها، لحاجتنا الماسة إليها، وكذا تحديد المواقع التي ينبغي تنحيها جانباً، لتأثيرها السلبي وانعكاساتها الضارة علينا.

و السؤال :

### ما علاقة العولمة بالتدفق المعلوماتي ؟

إن التدفق المعلوماتي وما صاحبه من تسارع التغييرات التكنولوجية - يفرض علينا بقوة أن نسعى بكامل طاقاتنا للحاق بالتقدم العلمي والتطور التقني، وبالطبع لن يتحقق ذلك إذا انغلقتنا أو تقوقعنا حول ذواتنا، بحجة أن العولمة قد تسهم في تشويه هوية الإنسان الثقافية، وتضعف من انتمائه القومي .

والحقيقة أن التحديث والنمو الاقتصادي اللذين يمكن حدوثهما كنتيجة حتمية للعولمة - لا يمكن أن يحققا التفريب الثقافي، وإنما يميلان على تأكيد أهمية التمسك بالثقافة القومية، بجانب الانفتاح على الثقافات العالمية الأخرى .

إذا فالعولمة حقيقة قائمة، ينبغي أن نتعامل معها، إذا أردنا أن نتعامل مع ثورة الاتصالات وتقدم صناعة المعلومات . فالتدفق المعلوماتي قد يصل إلينا دون احتكاك بمصادره الأصلية، عن طريق شبكات الإنترنت، ولكن ذلك لن يحقق أبداً بناء قاعدة للبحوث والمعلومات .

إننا نعيش في عصر التدفق المعلوماتي، أي عصر الثورة العلمية والتكنولوجية - حيث تعني هذه الثورة أن الاستثمارات المكرسة لكسب المعرفة العلمية لها مردودات فريدة - لذا ينبغي الاستفادة من إنجازات هذا العصر، من خلال التعامل المباشر مع مصادر وأصول وينابيع المعرفة العلمية .

لقد تغير العالم، وصاحب هذا التغير نهايات واقعية، كنهاية الأفكار الخيالية التي لا تتعامل مع الواقع المعاش أو الممكن، ونهاية الشمولية السياسية والاقتصادية التي تجر على حركة الأفراد والجماعات، ونهاية الحواجز المصطنعة أمام مشاركة البشر في صنع التنمية وإحلال السلام، هذه النهايات تنتهي ببداية جديدة (لكوكبية إنسانية) تحتفي بالتعددية الثقافية والاحترام المتبادل، أو هكذا يجب أن تكون . وتعطينا الفرصة الذهبية (لإعادة هندسة) الحالة البشرية، بالتوظيف الإيجابي للمنجزات المستمرة للعلم والتكنولوجيا، بل والفن والأدب وكل العلوم الإنسانية والاجتماعية<sup>(٥)</sup> .

وجدير بالذكر أن العولمة - كعملية تاريخية تشكل "تاريخ المستقبل" - فجأة ودون سابق إنذار، فالتطلع للمستقبل في كل عصر من العصور السابقة، كان يمثل آنذاك هدفاً محدد - لمن عاش أو تعايش مع تلك العصور . إن التطلع للمستقبل كان - وما يزال - السبب المباشر لهاولة تحقيق التواصل المباشر والتكاتف المقصود من أجل إنجاز آمال وأمتي الإنسان في كل مكان .

وعليه فإن فكرة العولمة ليست جديدة تماماً، ولكن سبقتها كثير من الأفكار والنظريات التي تتشابه معها وتماثلها تماماً إلى حد كبير، وإن كانت كل منها لا تعبر إلا عن بعد واحد من أبعاد العولمة التي يتسع نطاق مفهومها ليشملها جميعاً.

ومن بين هذه الأفكار نظرية التحديث وما أدى إليه التصنيع من ظهور أنواع جديدة من العلاقات والروابط بين المجتمعات الصناعية، كما يلاحظ وجود تشابه واضح وملحوظ بين صورة العالم كما يرسمها مفهوم العولمة، وفكرة الكاتب (مارشال ماكلوهان) عن القرية الكونية (١٩٩٤) من ناحية، وفكرة (المجتمع العالمي) الذي يتميز بظهور طراز جديد من التفاعلات والصفقات التي تحدث بصورة متزايدة بين الهيئات والمنظمات عبر القومية من ناحية أخرى، كذلك فقد لوحظ أن نظرية العولمة تشترك في كثير من مقوماتها مع حجة (فرانسيس فوكوياما) عن (نهاية التاريخ: ١٩٩٢)، والتي مؤداها أن قوة السوق الاقتصادية ترتبط بالديمقراطية الليبرالية، التي سوف تحل كل الأنواع الأخرى من النظم السياسية المناهضة للديمقراطية، سواء في ذلك الفاشية أم الشيوعية التي لا يمكن لأي منهما أن تحرر السلع الاقتصادية كما تفعل الديمقراطية الليبرالية<sup>(٦)</sup>.

خلاصة القول: فإن الهجرات الواسعة وثورة العلم والتكنولوجيا وتشابك وتعقد العلاقات وهموم البيئة... إلخ، كانت وراء ظهور مفهوم العولمة الذي يتطلب أن نمتلك ونستوعب آليات المشاركة والتوجيه فكرياً وعلمياً وعملاً وقدرة على إحداث التغيير المطلوب في أداتنا وإدارة مستقبلنا<sup>(٧)</sup>.

وفي عصر العولمة ينبغي أن يواجه العقل الإنساني إعصار معلومات الإنترنت، باستخدام الأدوات العلمية والعملية لمعالجة المعلومات التي تتدفق بفيض وكثافة كبيرتين، والتي تتناول الجوانب: الثقافية والتربوية والنفسية والإعلامية والتكنولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية... إلخ.

## ثانياً: ما بين التأييد والمعارضة للعولمة:

"النظام العالمي الجديد" مصطلح استخدمه الرئيس الأمريكي (جورج بوش)، في خطاب وجهه إلى الأمة الأمريكية بمناسبة إرسال القوات الأمريكية إلى الخليج بعد أسبوع واحد من نشوب الأزمة العراقية الكويتية في أغسطس ١٩٩٠م، وفي معرض حديثه عن هذا القرار تحدث عن فكرة "عصر جديد" و"حقبة للحرية"، و"زمن للسلام لكل الشعوب". وبعد ذلك بأقل من شهر "١١ سبتمبر ١٩٩٠م" أشار إلى إقامة "نظام عالمي جديد"، يكون متحرراً من الإرهاب، فعالاً في البحث عن العدل، وأكثر أمناً في طلب السلام، عصر تستطيع فيه كل أمم العالم غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً أن تنعم بالرخاء وتعيش في تناغم.

وتعنى كلمة (نظام Order) : "الترتيب المنظم والمتوافر" و "هرم السلطة والقوة الذى يتم بمقتضاه تطبيق أحكام بعينها وفرضها" و "الالتزام بالقانون" و "ضرب أو نوع أو طراز" ، وهى ترادف كلمة (system) كما فى عبارة the order of nature التى تعنى "نظام الطبيعة".

إذا تشير كلمة (نظام) إلى مجموعة من القوانين والمفاهيم والسنن التى تتسم بقدر معقول من الثبات عبر مرحلة زمنية طويلة نسبياً يتحرك الواقع بمقتضاها ولا يمكن فهمها دونها، فهى مصدر هوية النظام (جوهره) وتعبير عنها فى آن واحد .

ولذا فإن جوهر النظام العالمى هو مجموعة القوانين والقيم الكامنة، التى تفسر حركة هذا النظام وسلوك القائمين أولياتهم واختياراتهم وتوقعاتهم<sup>(٨)</sup> .

ويبسط السذجاء مفهوم العولمة على أساس أنها قطار الحياة الذى ينبغى أن نركبه، حتى لا يمضى ويتركنا فى العراء .

وردأ على المفهوم الضيق السابق للعولمة، يطرح بعض المعارضين للعولمة التالية :

- هل كل من يرفض ركوب قطار العولمة يبقى فى العراء بالفعل؟
- وبعد ركوب القطار، هل ينزوى الراكب فى أحد كراسيه ينتظر الرجعة التى يقصدها القطار وبالطريقة التى يريدونها؟
- هل يجب أن يقف الراكب ساكن دون أن يؤدى أى دور؟
- هل ينبغى أن يكون الراكب كالطفل الصغير، عليه أن يتلقى تعليمات ناظر القطار لينفذها دون مناقشة؟

ومن وجهة نظر المعارضين للعولمة يصبح الإنسان مجبراً على مواجهة مسألة الغير، وكما يقول (وكمون كان يائسهم) : "أما بالنسبة لنا فالغير حتى الآن إما أتباعاً لنا وإما أعداء، فالأتباع نعنى بهم من نعتمد عليهم، ومن يتحقق اتفاقنا وإياهم طبيعياً وعضوياً، والأعداء نعنى بهم منافسينا وخصومنا الذين لا يميزون فى طبيعتهم العمياء إلا بأنهم أدهى منا حيلة وأكثر عدداً، ويحملون لتأخيرنا وتهديمنا".

ومن ناحية أخرى تبجل العولمة القوة الاقتصادية، وتشيد بتفوقها فى فرض مصالحها على سائر القوى الأخرى، لذا فإن قطار العولمة يسير - ويستمر فى سيره - طالما أن القوى الاقتصادية الدافعة له تحقق مكاسب متوازنة ومقبولة، من وجهة نظر مراكز القوى الاقتصادية الكبرى .

وبالنسبة لنا ضاعبت من بين أيدينا فرصة تشييد اقتصاد ضخم، وبالتالي ضاعت من أيدينا فرصة حجز مكان مناسب فى قطار العولمة، لذا ينبغى الانلوم الآخرين على تتبعهم لمصالحهم، وإنما نلوم أنفسنا فقط؛ لاننا فشلنا فى تجسيد وتحقيق اقتصاد قومى وعالمى قوى .

إن العولمة لم تظهر فجأة - بين ليلة وضحاها - ولم تلعب إستراتيجية المباغتة أية أدوار في تحقيق العولمة؛ لذا ليس مناسباً تقديم العولمة على أساس أنها المؤامرة الكبرى.

وحتى يمكن فهم أبعاد العولمة على المستوى المحلي نقول: إن اقتصاد دولة بعينها بصمة فريدة لا مثيل لها، حقيقة قد يتعرف الإنسان بصمات متعددة، ولكنه لن يستطيع أبداً وصف حلول عامة ناجحة، تصلح لجميع ألوان الاقتصاد، بتنميطها في قوالب جاهزة، وعلى الرغم من إمكان ترابط اقتصاديات الدول، مثل اقتصاديات السوق الأوروبية المشتركة، فإن أسواق كل دولة على حدة وتركيباتها الاجتماعية وتقاليد المرعية - تتميز عن نظائرها في بقية الأسواق، مما يسهم في نحت خصائص وسمات لكل مجتمع، تؤثر على مجريات الاقتصاد المحلي فيه، علماً بأن الفهم المحلي للاقتصاد يؤثر بدوره على فهم تجليات الاقتصاد العالمي ومقاصده وتأثيراته الإيجابية أو السلبية على الاقتصاد المحلي نفسه.

وجدير بالذكر أن الدول الاقتصادية الكبرى تمارس لعبة "التلون العولمي" بذكاء منقطع النظير، تعود تأثيراته سلباً على الدول النامية، فهي تفر أحياناً عولمة الاقتصاد، وفي أحيان أخرى ترفضها، الأمر الذي يحكم ويتحكم في قرار الدول الاقتصادية الكبرى، هو البحث عن مصالحها على حساب بقية الدول النامية؛ لذا تسعى الدول الصناعية إلى البيع والشراء والمكسب بما يسهم في رفع مستواها الإقتصادي، ويحقق الرفاهية لأفرادها؛ لذا تسخر الدول الاقتصادية الكبرى جل جهودها من أجل غزو أسواق الدول النامية، تحت غطاء قانوني من الاتفاقات والمعاهدات<sup>(٩)</sup>.

وهناك من يرفض أن تكون العولمة هي قدر البشرية الذي لا فكاك منه، بوصفها حتمية تاريخية، أو كما يوصفها فرانسيس فوكوياما: بأنها "نهاية التاريخ". فالعولمة لن تكون لها أبداً صفة السيادة؛ لأنها مجرد لحظة في سياق التطور السياسي للإنسانية، لا ينبغي تعميمها على المستقبل، مثلما لم تكن حقيقة في الماضي، ورغم كل ما شهده العالم من تطورات أدت إلى تعميق تواصله ثقافياً وسياسياً واقتصادياً<sup>(١٠)</sup>.

ويرى أصحاب الاتجاه السابق أنه كما انهارت الماركسية وتفككت تكتل الدول الاشتراكية، فإن العولمة - يوماً ما - قد يحدث لها المصير نفسه.

بمعنى: لن تكون سيادة النمط الغربي في الثقافة والاقتصاد والحكم والسياسة في المجتمعات البشرية كلها - في إطار ما يسمى بالنظام العالمي الجديد - هي قدر الإنسانية على طول الخط وإلى نهاية الطريق.

والسؤال :

إلى متى يستمر النظام العالمي الجديد، على أساس أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل القطب الواحد والأوحد في هذا النظام؟

إن استمرار النظام العالمي الجديد على أساس أن الولايات المتحدة الأمريكية هي ركيزته - مرهون باستمرار كونها: "قاعدة اقتصادية راسخة ودائمة النمو، ونظاماً سياسياً مستقراً ومفتوحاً للتطور، وكتلة سكانية كبيرة ذات مستوى فنى مرتفع، فضلاً عن التقدم التكنولوجي، وأخيراً إستراتيجية عسكرية عالمية، بمعنى القدرة على الحرب في الأماكن المهمة من العالم، سواء كانت الحرب بالأسلحة التقليدية أو بالأسلحة النووية" (١١).

تأسيساً على ما تقدم فإننا نرى أن النظام العالمي الجديد المعروف بالعولمة، ليس في حقيقة الأمر سوى نعت متكرر ودائم في كل العصور، وفقاً للقوى التي تحكم وتتحكم في مقدرات زمانها، والانتشار الذي يشهده هذا النظام يعود بالدرجة الأولى إلى آليات الاتصال المتقدمة تكنولوجيا، فالسيادة والقيادة في كل العصور كانت تتحمل مسؤولياتها دول بعينها، كانت تملك القوة - أي كانت صورتها - التي تساعدها أن يكون لها يد المبادرة في أخذ القرارات المهمة على مستوى جميع دول العالم؛ لذا شهدت البشرية حضارات تافل وتسقط، وحضارات تبرز وتشرق على مر العصور، وإذا كانت السيادة الآن للولايات المتحدة الأمريكية فمن المحتمل جداً - رغم ما تملكه من قدرات وإمكانات - أن تفقد هذه السيادة، بسبب ظهور قوى أخرى منافسة، أو بسبب هزات اقتصادية وانقسامات اجتماعية داخلية، وعندما يتحقق ذلك يظهر نظام عالمي جديد أو عولمة جديدة، يزداد شيوعها وانتشارها، وبخاصة أن التطور التقني المتوقع تزايد وتسارعه في المستقبل سوف يسند العولمة الجديدة، ويهبطها على مستوى العالم، كما يحدث الآن مع العولمة الحالية، وهكذا تستمر العملية دواليك، طالما تتعاقب القوى وتظهر الحضارات الجديدة.

وجدير بالذكر أنه في وقتنا الحالي، هناك من يرى في العولمة البديل الطبيعي لصدام الحضارات، ومن وجهة نظرنا أن صدام الحضارات يحدث فقط في حالتين، هما :

(١) وجود حضارتين أو أكثر من القوة بحيث تهبط كل منها زحزحة الحضارات الأخرى؛ لتظل لها منطق السيادة وقوة القانون، وذلك يمثل العولمة بعينها.

(٢) أفول حضارة ما وانهارها بسبب شيخوختها، أو بفعل عوامل خارجة أخرى، فلا تجد لها مفرّاً غير ترك مقعد القيادة، ومحاولة حجز مقعد لها ضمن مقاعد التبعية، وذلك يمثل أيضاً العولمة ذاتها.

إذا فالعمولة ليست البديل لصدام الحضارات؛ لأن هذا الصدام تحقق على مر العصور حسبما يشير ذلك التاريخ، وسوف يتحقق أيضاً في المستقبل، لتظهر أنظمة عالمية جديدة أخرى؛ لذا - في أحسن الظروف - ومنعاً لتصادمات قد تحدث بين الدول بعضها البعض - يكون الحل الأمثل لقاء الحضارات، ومحاولة عمل صياغة جديدة لاسلوب التعامل بين الدول بعضها البعض، وبلورة هذه الصياغة في نظام عالمي جديد .

إن دعوتنا لنظام جديد - غير المعمول به حالياً، والذي يقوم على أساس وجود قوة أحادية واحدة - تستند في صياغتها لفلسفة أصحاب العمولة الحاليين (مبدأ كلينتون العالمي) : إنه كلما اتسع نطاق جماعة الدول التي تختار الديمقراطية نظاماً لحكمها .. وازدادت توثق العلاقات بين الدول المكونة لهذه الجماعة ... كلما كان الأمريكيون أكثر أمناً ورخاءً ؛ لأن الدول الديمقراطية تحافظ على التزاماتها الدولية وتكون أقل ميلاً لإثارة الحروب .

إن المبدأ السابق مقبول من حيث الصياغة، بشرط أن يتم التطبيق الفعلي من منطلق ديمقراطي، وبالتالي فإن الشعوب - وليست الحكومات فقط - تجدد العديد من نقاط الالتقاء والتلاقى، وبذا يتحقق لقاء الحضارات في ظل نظام عالمي جديد، لا تهيمن عليه قوة واحدة فقط، بل تكون جميع الدول بلا استثناء، هي المسؤولة عن المحافظة على هذا النظام الجديد، الذي يضمن التطور السلمي على أسس الليبرالية: السياسية والاقتصادية وعدم الاعتداء واحترام الانسان والالتزام بالانتخابات الحرة الديمقراطية كطريقة لتولى السلطة .

و السؤال :

وماذا عن القوى المضادة للعمولة بوضعها الحالي ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نكون صريحاً مع أنفسنا، ونقر بوجود بعض التيارات السلفية والأصولية، التي تأخذ موقفاً مضاداً من النظام العالمي الجديد المعمول به حالياً، ليس بسبب موقف عقلاني يحاول أن يحافظ على استقلال وسيادة الهويات الإقليمية من التشويه أو التبعية، وأيضاً ليس بسبب محاولة إيجاد وتحقيق أدوار اقتصادية مهمة في المنظومة التي تحكم وتتحكم في سوق المال العالمي؛ ولكن - للأسف - يعود العداء للعمولة بسبب وجود الولايات المتحدة الأمريكية على رأس هذا النظام؛ ولا تعليق .

أما عن القوى المضادة للعمولة الأمريكية فترجع إلى عاملين، هما :

\* العامل الاقتصادي: ويعود المبدأ الاقتصادي الذي يقرره (بول كينهدى) في كتابه "الإعداد للقرن الحادى والعشرين"، وهو : "أن الدولة العظمى تبدأ في الانسحاب من دورها العالمي عندما يشرع متوسط الدخل الفردى في الداخل في الانخفاض بسبب نفقات الاحتفاظ بهذا الدور"، وهذا يتحقق بالفعل الآن داخل الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(١٢)</sup> .

وإذا استقرنا التاريخ، لوجدنا أن هذا الأمر قد تحقق في مصر، خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، إذ بسبب المعونات الاقتصادية والمساعدات العسكرية التي قدمتها مصر للدول الأخرى، اهتز الاقتصاد المصري، فإذا أخذنا في الاعتبار الفارق رهيب والكبير بين الاقتصاد المصري والاقتصاد الأمريكي، أفرقنا بسهولة أسباب ضرب الاقتصاد المصري في مقتل، خلال الفترة الزمنية التي سبق الإشارة إليها.

\* العامل القومي: ويعود للمقولة التي عبر بها الرئيس الفرنسي الأسبق ( شارل ديغول ) عن مغزى القومية، إذ أشار إلى " أنها لا تزال هي محرك التاريخ، وستظل تفعل ذلك لمدة مائة عام قادمة على الأقل "؛ لذا فإن العامل القومي وفقاً لرؤية ( ديغول )، سوف تمتد تأثيراته لمدة خمسين سنة على الأقل؛ من القرن الحادى والعشرين، وبالتالي من الطبيعى - بل من المتوقع - أن يكون للقوميات الكبرى موقفاً مضافاً للنظام العالمى الجديد .

إذاً بفعل العوامل الأمريكية الذاتية الداخلية، وبفعل العوامل الخارجية التي تنبع نتيجة تحدى القوميات الأخرى، لا يمكن أن يستمر النظام العالمى الحالى - الذى تحتل فيه الولايات المتحدة الأمريكية القمة ومركز الصدارة - إلى مالا نهاية؛ لأن العولمة في ذاتها قابلة دائماً للتغير، لأنها كنظام دائم الحركة، وبالتالي من المتوقع خلال عقدين على الأكثر أن يظهر نظام عالمى آخر، قد تقوم فيه العلاقات الوظيفية المتبادلة بين وحداته، بشكل يختلف تماماً عما يحدث الآن في ظل النظام العالمى الحالى .

ويدعى المناهضون للعولمة أن من يسلم بالعولمة، أو يقر شرعيتها، لم يقرأ التاريخ الذى يشكل ذاكرة الشعوب، التى ينبغى أن تكون مصدر العبر والدروس لاجيال تلك الشعوب، كما أنه لا يدرك أن التقدم الحضارى الإنسانى لا يعود لدور الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنه فى الاصل نتاج لتراكم معرفى وإثمائى شامل، يلتقى فيه الماضى والحاضر من أجل تحقيق التطلعات المستقبلية .

إن كراهية أعداء العولمة لفكرة النظام العالمى الجديد تبلغ ذروتها عندما يعلنون بصورة سافرة أن هذا النظام يعكس أطماع أمريكية استعمارية، تجددت فى أوثابها وأشكالها الخارجية، بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وتفككه، ومن وجهة نظرهم يستطيع أى إنسان اكتشاف الحقيقة السابقة بسهولة؛ لذا يجب عليه أن يحدض ويقارم هذه الفكرة الاستعمارية المضادة للحرية والمعادية للسامية<sup>(١٢)</sup> .

إن المناهضين للنظام العالمى الجديد يزعمون بأن الولايات المتحدة الأمريكية تمثت بحضارات الامم فى مختلف الميادين، وتضرب هويات الامم، وتمثل لسيادة قيمها البالية التى تشكل كميات من السموم الوافدة، وهى مادة قاتلة لمن يقبلها من الشعوب<sup>(١٣)</sup> .

ويستمر مسلسل الهجوم على العولمة من قبل السلفيين والثرائيين، فيعلنون أنها "تسوق فلسفة الاستهلاك والتبذير وهدر الثروات، وتروج الكابوبوى والهمبرجر وأفلام هوليود وإعلام C.N.N.، وهى فى كل ذلك تنطلق من محدودات ثقافية لا تتلاءم مع هويتنا"، كما يصرون على أن العولمة دعوة لسيادة ثقافية نابذة من قيم المادة والكم، ثقافة لا مكان فيها للإنسان، رغم ادعائهم وزعمهم أنهم حريصون على حقوق الإنسان.

وأخيراً يؤكد أعداء العولمة على أنها تقوم على أساس سياسة الاختراق، التى تتسم بعدوانية الطابع، حيث تحاول ضرب ركائز الاقتصاد وتدمير مصادر القوة فى الدول النامية<sup>(١٥)</sup>.

والغريب فى الأمر أن أصحاب التوجه العدائى للعولمة، يستشهدون على صحة ماذهبوا إليه، بما قال (فرانسيس فوكوياما): "يبدولى - أخيراً - أن الجنس البشرى كما لو كان قطاراً طويلاً من العربات الخشبية التى تجرها الجياد متجهة إلى مدينة بعينها عبر طريق فى قلب الصحراء، بعض هذه العربات قد حددت وجهتها بدقة ووصلت إليها بأسرع وقت ممكن، والبعض الآخر تعرض لهجوم من الآباش الهنود الحمر، ففضل الطريق راحوا يبحثون عن طريق بديلة للوصول إلى المدينة، وفى النهاية يجد الجميع أنفسهم مجبرين على استعمال الطريق نفسه، ولو عبروا طرقاً فرعية للوصول إلى غايتهم، وفعلاً تصل أغلب هذه العربات إلى المدينة فى النهاية، وهذه العربات عندما تصل لا تختلف عن بعضها إلا فى شىء واحد، وهو توقيت وصولها إلى المدينة، سرعة أو ببطء وصولها إلى الديمقراطية الليبرالية، ومن ثم نهاية رحلتها الطويلة نهاية التاريخ"<sup>(١٦)</sup>.

إن أعداء العولمة يرون فيما قاله (فوكوياما) تحدياً صارخاً وصريحاً للقوميات وإهداراً مباشراً وقويماً للهويات؛ لأن العولمة لن تكون أبداً بيت القصيد للوصول إلى المدينة الوحيدة، التى تنعم بالديمقراطية الليبرالية، وأنها مجرد مشروع استعمارى يحمل فى ثناياه كل أشكال التحديات والأطماع العدوانية، ويؤكدون على أن العولمة لا تكتفى بغزو جانب أو قطاع بعينه؛ وإنما تسمى - بتسخير كل قواها وجهودها وبما تملكه من إمكانات علمية ومادية ضخمة - إلى غزو ثقافى اجتماعى اقتصادى سياسى، يستهدف القيم والفضائل والهوية وحقوق الإنسان نفسه.

تأسيساً على ما تقدم تتحفظ بعض الدول النامية على النظام العالمى الجديد، ويرون فى العولمة إقراراً بالهوية والثقافة الأمريكية، وتغالى بعض الدول النامية فى موقفها العدائى للعولمة، إذ يرون فيها تبعية صريحة سافرة للولايات المتحدة الأمريكية، بعدها تفقد أية دولة تقر العولمة هويتها وتراثها، وتظل مجرد تابع ذليل عليه أن يتبع تعليمات سيده، وأن يسير فى فلكه حسبما يأمره.

ما تقدم يمكن قبوله منطقياً من الناحية الشكلية، ولكن الذى يثير الدهشة أن العولمة فى ذاتها تشير إشكالية حقيقية داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وهى التى تدعو لها، على أساس أنها باتت القطب الأوحى فى العالم - تقريباً - الذى يحكم ويتحكم فى القرارات الاقتصادية والسياسية، التى تخص غالبية دول العالم.

إن النقاش حول العولمة فى الولايات المتحدة الأمريكية يثير إشكالية حقيقية، إذ مقابل الأصوات المتحمسة للعولمة، من أمثال: فرانسيس فوكوياما، وهنرى كيسنجر، وتوماس فريدمان، نجد أصواتاً قوية مضادة قوية، تثير أسئلة حادة ضد العولمة، مثل: توم تشومسكى، وبنجامين باربر، ووالف نادر.

وبالنسبة للمعارضين للعولمة لا يرون فيها غير تهيمش المعرفة، وتاصيل ثقافة الاستهلاك على حساب الدعوات الإصلاحية، من أجل علاقات إنسانية متكافئة، وتنوع ثقافى يمحي الثقافات المحلية من الأندثار أو الانصهار فى ثقافة الاستهلاك والوجبة السريعة<sup>(١٧)</sup>.

وتمناقشة العولمة من خلال نظرة علمية دقيقة ومتأنية نقول: إن العولمة - ظاهرة - ليست وليدة هذه الأيام فقط، فعلى مدار العصور كانت تحدث العولمة آنذاك فى ظل القوانين: الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الجديدة، وفى ظل الاكتشافات: العلمية والثقافية الحديثة التى تحمى مصلحة دولة ما أو مجموعة ما على حساب بقية الدول والجماعات؛ لذا فإن تضخيم حجم العولمة فى وقتنا هذا يعود فقط إلى وسائل الاتصالات الحديثة المذهلة فى سرعتها وحجم أداها.

وبعمامة يمكن تأكيد - بل قل تفعيل - الأفكار التى يدعو إليها النظام العالمى الجديد، من خلال إجراءات رشيدة، دون حاجة إلى الصراعات العسكرية، وذلك مثل تطبيق المثل الديمقراطية، حيث يخضع كل شىء لما يسمى "أخلاقيات الإجراءات" المنبثقة من الأخلاقيات الديمقراطية الليبرالية، التى تؤكد وتؤمن على دور المؤسسات وحقوق الإنسان وسيادة القانون داخل الدول جمعاء.

وفى ظل النظام العالمى الجديد، يكون العالم فى حالة حركة دائمة، لأن النظام نفسه لا يتشكل من منظور "أيديولوجى" تم إعداد سلفاً، وإنما يمثل النظام تطوراً لم يتوقعه علماء السياسة الدولية أنفسهم؛ لذا يتغير الآن مضمون ومحتوى القواعد الثابتة فى التسابق الدولى (مثل: الاستحواذ على عنصر التفوق أو المحافظة على ميزان القوى)، كما تتغير أولويات اهتمام المسرح الدولى من حيث القيم التى يطرحتها فى أسلوب التعامل الدولى وفى دور القواعد السياسية ووسائل الاتصال فى اتخاذ القرارات.

لقد أصبح النظام العالمى الجديد - بحركته الدينامية إلى الأمام - من سنن الحياة وجزءاً من النظام الطبعمى؛ لذا من الصعب جداً التعامل مع العصر ومواكبته؛ دون فهم جيد

لثوابته وقوانينه، ودون إدراك أو فهم أو وعى بحركة التاريخ والجغرافيا، وما يحدث فيهما من تغير وتطور.

ومما يؤكد ويعضد فكرة النظام العالمي الجديد أن وسائل الاتصالات الحديثة حولت العالم إلى قرية صغيرة، كما أن التدفق المعلوماتي يجعل المعلومات متاحة للجميع من جهة، ويتيح فرص التلاقى convergence التي تسهم في حل أية خلافات أيديولوجية من جهة أخرى.

ويرى المدافعون عن النظام العالمي الجديد أن الخطر الذي يهدد أمن دولة لا يأتي من الخارج، وإنما من الداخل، وبخاصة من القوى التي تقف موقف الضد والعداء لهذا النظام، وترفض التكيف معه، على أساس أن موقف هذه القوى في الأصل ضد الديمقراطية وضد تأسيس المجتمع على أسس اقتصادية حرة؛ لذا فإن هذه القوى - من وجهة نظر أنصار النظام العالمي الجديد - هي التي تجر الداخل القومي إلى صراع قد يصل إلى حد الصدام مع الخارج الدولي، بدعوى المحافظة على: الهوية والشخصية القومية، والتنمية البشرية والاقتصادية المستقلة، والكرامة والاستقلالية.

في ضوء الحديث آنف الذكر يكون من الطبيعي والمنطقي أن يتصور المبشرون بهذا النظام أن القوة الاقتصادية العظمى هي القوة الوحيدة القادرة على قيادة النظام، على أساس أن الدافع الأساسي في سلوك البشر هو الدافع الاقتصادي.

وعلى الرغم من أن الحديث السابق يعبر عن كلمات بسيطة ومعاني جميلة، فهناك من يرى أنه ينبغي ألا تأخذ الأمور على علاتها وبحسن نية، ويؤكدون أن تحليل المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه النظام العالمي الجديد - كما يزعم أنصاره - هو: "إننا دخلنا عصر ما بعد الأيديولوجيا وما بعد الحداثة وما بعد التاريخ بل ما بعد الإنسان، عصر المابعديات السائلة التي تحل محل الماقبليات الجامدة المطلقة، فثمة سيولة فكرية في الفكر الحديث تتناقض بطبيعتها مع فكرة النسق الفكري المتكامل والقيم الكلية"، سوف يكشف أن النظام العالمي الجديد دالاً يشير إلى مدلول، إذ رغم سيولته فإن له رؤية وصوت وحرارة، لها تأثيراتها الفاعلة على عالمنا، ولا يقف الأمر إلى ما سبق ذكره، وإنما يجزمون ويؤكدون وجود "منظومة معرفية قيمية متكاملة كامنة وراء هذا النظام الشامل السائل، شأنه في هذا شأن أي نظام آخر، منظومة تتجاوز ادعاءاته وديباجاته واعتذاراته، بل قد تكون حالة السيولة هذه وادعاء أن الدال ليس له علاقة قوية بأي مدلولات وكتليات هي أيديولوجية هذا النظام، أي من الممكن أن يكون إنكار كل القيم هي قيمته الكبرى والنهائية، وتأكيد النسبية المعرفية والأخلاقية هي قمته المعرفية والأخلاقية الكبرى والنهائية، تأكيد أن العالم في حركة دائمة هو قانونه الثابت"<sup>(١٨)</sup>.

وحتى لا ندخل في سفسطة شكلية لانفع ولاطائل منها، فإننا نقرر هنا أن النظام العالمي الجديد الذي يطلق عليه لفظة العولمة، حتى وإن كان يقوم على الواحدة الإنسانية، فليس لأصحاب هذا النظام أى ذنب فى قوتهم وهيمنتهم وسيطرتهم وامتداد نفوذهم، طالما استكان الآخرون، وعاشوا فى غفلة، وسمحوا فى نهاية الأمر لأصحاب النظام أن يكونوا (الأنا) المقدسة القوية الغازية المسلحة.

إذا استقرأنا التاريخ لوجدنا أن صاحب القوة، أياً كانت: موارد طبيعية، جيوش وأسلحة، علم ومخترعات، هو الذى يسود ويسوس، فلماذا لم يستند المعارضون للعولمة من دروس التاريخ؟.

أيضاً إذا استعرضنا دورة الحضارات، لوجدنا أن حضارة العولمة قد سبقتها العديد من الحضارات الغابرة التى ينظر إليها الآن كتاريخ، وبالتالى من الممكن جداً أن تنتهى حضارة العولمة، إذا ظهرت حضارات أخرى قوية لها منطقها، الذى يقنع أو يجبر الآخرين بقبوله، فلماذا لا تحاول الدول المعارضة للعولمة تحقيق حضارة جديدة قوية فاعنة!؟

على أية حال بدلاً من الهجوم الدامى والصراع الوحشى ضد العولمة - كنظام - علينا استقراء التاريخ ودراسة دورة الحضارات، لعلنا نعيد النظر فى طريقة تفكيرنا بالنسبة لأنفسنا، لنستفيد بكامل طاقاتها المكونة للتخطيط المتمر لمستقبلنا، ولعلنا - فى الوقت نفسه - نخطط للمواءمة والمواكبة مع حضارة العولمة، طالما كانت مردوداتها بالنسبة لنا مزيداً من التقدم المادى والرفاهية الإنسانية.

إن استهلاك قدراتنا وبيع أصواتنا - فيما ليس منه فائدة أو نفع - درب من دروب الجنون، ونوع من أنواع الفتنازىا الهابطة؛ لذا من المهم أن لا نبدد إمكاناتنا الذهنية، وأن نوجهها فى التخطيط الحالى والمستقبلى لحياتنا، مستفيدين فى ذلك بكل الإمكانيات المتاحة، سواء أكانت تحت أيدينا أم من صنع الآخرين.

إن ما تقدم لهو دعوة صريحة بأن تكون حركتنا للامام؛ لأن من يضع يده على المهرات ينبغى الا ينظر خلفه، وبخاصة أن المطلوب منا والمجدى لنا بناء قاعدة سليمة وقوية لاساسات التعامل مع الآخر، على أساس الند للند، بحيث تساعدنا هذه القاعدة على أن يكون لنا دور فاعل فى النظام العالمى الجديد.

وبالطبع يتطلب تحقيق ما سبق بنجاح أن ننزع الخوف والرهبنة من قلوبنا عند التعامل مع الآخر.

والسؤال :

كيف يتم تحقيق ذلك!؟

وللإجابة عن السؤال السابق نقول: إن العولمة ليست مجرد فكرة مطروحة للنقاش والجدل، وإنما أشبه ما تكون بظاهرة طبيعية كالزلازل أو البراكين، التي من العيب أن نناقش هل هي أشياء جيدة أم سيئة، والصواب أن نعمل على التعامل معها أفضل وأنجح تعامل؛ لأن البشر يختلفون في مواجهة وكيفية التعامل مع الواقع، ولكن المصيبة تكون كاملة وشاملة عندما يحاولون مناقشة أيقبلون أم يرفضون الزلازل والأعاصير والبراكين؛ لأنهم من جهة لا يملكون معطيات تغيير الواقع، كما أن تركيزهم على محاولة التغيير المستحيلة تجعلهم لا يعملون في المجال الوحيد المتاح، وهو التعامل الذكي والامثل والأكثر مردودية وفائدة مع الواقع، ومحاولة خلق هامش جيد لقيمتهم المضافة في ظل هذا الواقع، والذي لم ولن يسألهم أحد (ومن يملكون المقادير) عن رأيهم فيه<sup>(١١)</sup>.

وحقيقة الأمر أن العولمة هي محصلة تطورات تاريخية وصناعية وسياسية وثقافية متعددة ومتداخلة وقديمة، وأن ظهورها بصورة علنية سافرة في السنوات الأخيرة، يعود إلى تكنولوجيا الاتصالات الحالية الرهيبه في سرعتها والفائقة في جودة وفاعلية أداؤها.

وبالنسبة للدول النامية لكي تواكب العولمة - كظاهرة - وتستفيد من نتائجها ومردوداتها ينبغي أن تتحرر من عقدة الخوف التي سيطرت - ومازالت تسيطر - على تفكير حكامها وشعوبها على السواء، بسبب الإيمان المطلق بمعتقدات بالية وتراث أصبح لا يناسب العصر، وبسبب العقلية الأحادية في التفكير التي لا تسمح بالحركة قيد أنملة عن المعتاد والمألوف، والتي تطبق في عصر التدفق المعلوماتي المتسارع مبدأ "ليس في الإمكان أحسن مما كان"؛ لذا فإن العالم المتقدم يتحرك للأمام، ويجنى ثمار تقدمه، بينما الدول النامية تتقهقر للخلف، أو تقف ساكنة في مكانها بلا حركة، وتدفع ثمن سكوتها المميت - غالباً - للدول الغنية، وبذا يزداد ثراء وقوة الدول الغنية، وفي المقابل يزداد ضعف وفقر الدول النامية.

وبعامة فإن التحرر من الخوف يجعل الدول النامية وشعوبها تقرأ بطريقة جيدة وصحيحة كتاب العولمة من جديد، لتكتشف ثقافتها وتفهم أدواتها، وتضع الخطط المناسبة لعملية تبادل تقوم على مبدأ الأخذ والعطاء، بينها وبين الدول المتقدمة وشعوبها.

إن اقتناء أدوات العولمة وفهم طبيعتها، وإدراك دلالاتها، ومعرفة ظروف انبثاقها وظهورها على مر العصور - يتيح إمكان التفاعل والتعامل مع العولمة كظاهرة اجتماعية ونظام سياسي، وبذا يمكن عولمة الثقافة القومية والاهتمامات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... إلخ، بما يعود بالفائدة للأجيال الحالية والقادمة على السواء.

وبالنسبة للفرد فإن الفهم الإيجابي للعولمة يجعله يفتتح على الآخر، فينهل من معارفه وثقافته، وذلك يوسع مداركه، فيستخدم قدراته الذهنية والعقلية بكفاءة في حل

المشكلات العامة والخاصة، كما يساعده على عبور الهوة الثقافية العميقة بعيدة الغور بينه وبين الآخر، بشرط أن يتم ذلك دون خوف أو رهبة، ومن منطلق الند للند.

وإذا كان الخوف يقيد الإنسان، ويكبله بسلاسل يصعب فكها أو تحطيمها، فإن المغالاة في تقدير قوة الآخر، لا تقل في تأثيراتها السلبية عن الخوف. وحتى نتحرر من الخوف، وأن نقدر قيمة أنفسنا حق تقديرها، وأن نسير ورؤوسنا في السحاب - ينبغي أن نسارع خطى التنمية، وفهم ظروف الراهن، وفهم المتغيرات المحيطة بنا، وإدراك ظروف الراهن، وعقلنة الواقع، والتفكير بموضوعية في أزمات الحاضر وفي المشكلات المستقبلية المتوقع حدوثها وظهورها. إذا حققنا ما تقدم نكون قد استوعبنا الدرس جيداً، فنستطيع أن نمارس أعمالنا ومهنتنا بوعي، وأن نعنى طبيعة التفكير الإنساني، وأن نفهم مبررات التنوع والتعدد الفكرى الإنساني، دون التورط في تبادل الاتهامات بصوت عالٍ ومتشنج، ودون غلق العقل والفكر على رؤية واحدة وحيدة، وبذا تكون قضايا العولمة ذات الصبغة الاقتصادية أو السياسية أو الهوية والحراك الثقافى أو الاجتماعى، أو الخصوصية المحلية والظاهرة الكونية أموراً عادية، يمكن أن نقبل عليها، ونناقشها، ونحللها، فنوافق عليها كلية أو نرفضها كلية، أو نوافق على بعض جوانبها ونرفض البعض الآخر، وذلك يؤكد دورنا كأعضاء عاملين فاعلين في النظام العالمى الجديد.

ويعرض (ويليام نوك) في كتابه "عالم جديد جريء Bold New World"، رؤيته المستقبلية لتحديات القرن الحادى والعشرين، وهى تتمثل فى أن سيطرة رأس المال، "غير المنتهى" ستكون بمثابة الكفة الراجحة فى القرن الحادى والعشرين، إذ تكون تأثيراته، وما يترتب عليها من تغيرات، أخطر بكثير من النظام الإمبريالى (الاستعمارى) الذى شهد العالم فيما قبل، لذا فى عصر "اللامكان" تكون السطوة للمال، مما يترتب عليه اتساع الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة<sup>(٢٠)</sup>.

أيضاً بجانب عنصر المال فإن العلم والتكنولوجيا - اللذين يعتمدان بالطبع على عنصر المال - يكون لهما تأثيرهما المباشر فى عصر العولمة، لذا ليس أمام الدول النامية - لتعيش ظروف العولمة - سوى توسيع قاعدة المعرفة، لتحقيق التقدم العلمى والتكنولوجى، من أجل ارتياد الآفاق المستقبلية لعصر العولمة.

ولعل من أهم المغالين فى تأثيرات العلم العالم اليابانى (ميشوكاكو)، إذ يشير فى كتابه "رؤى Visionsa" إلى ظهور مفهوم جديد، لا يركز بالدرجة الأولى على الثروات الطبيعية وروعس الاموال المقدسة، وإنما يعتمد على قوة العقل والخيال والقدرة على الابتكار والتحكم فى التكنولوجيا الجديدة<sup>(٢١)</sup>.

وعلى صعيد آخر توجد وجهة نظر أخرى لا تسير على المنهج العادى للعولمة، الذى تبنينا وجهة النظر السابقة؛ لذا ترفض فكرة العولمة على أساس أنها تسمى لاكتساح الحدود

والسيادة والثقافة والحقوق فيما بين الدول، أيضاً لا تفر تصوير العولمة، وكأنها شيء جديد وقوة مكتسحة بإرادة أو دون إرادة، إذ يرون أن فحوى العولمة – بمعنى محاولة الاستفادة الاقتصادية والسيادة الثقافية – ظاهرة إنسانية تتمثل في التبادل التجاري والثقافي السلمي بين الدول بعضها البعض، كما تعترف العولمة بسيادة الدول – مهما كان حجمها الجغرافي والبشري – وتقر أن الصراع البشري والتاريخي بين المجتمعات في سبيل السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.. إلخ يؤدي إلى هلاك البشرية في وجود أسلحة الدمار الشامل، أيضاً بفضل تقدم وسائل الإتصال والإعلام والمواصلات والنقل، تسارعت وتيرة العولمة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وذلك أدى إلى استفادة جميع الدول بلا استثناء، في النواحي الاقتصادية والثقافية، وإن كان ذلك قد تحقق بدرجات متفاوتة، وفقاً لقوة كل منها اقتصادياً وتقنياً وسياسياً وثقافياً.

والسؤال :

### أين يكمن خطر العولمة ؟

يتمثل الخطر الحقيقي للعولمة في حدة التنافس ولا إنسانيته وإمكانية تطوره من حالة السلم إلى حالة الحرب بين الدول، ومن منطق آليات السوق العالمية يمكن حدوث تباين اجتماعي، وعدم تساوي الفرص، وضياع العدالة، في الدول التي تبنت قيم العولمة، من غير تعديل أو توفيق أوضاعها الداخلية والخارجية على السواء، أي: من غير تطوير نظمها الاجتماعية والسياسية والإدارية بما يتماشى مع قيم العولمة، التي تطورت في المجتمعات المتقدمة أصلاً اجتماعياً وسياسياً وإدارياً واقتصادياً، ومن غير تحقيق التنمية البشرية الشاملة لكل مجتمع، حتى تكون الفرص بين أفراده متساوية أو قريبة من المساواة.

وبعامة فإن تحقيق العولمة على أسس صحيحة وبما يحقق أهدافها المأمولة لجميع الدول – يقتضى مشاركة الأفراد في شؤون مجتمعهم من جهة، وتساوي الفرص في الحصول على المعلومات والامتيازات والمكاسب وتحقيق العدل بين الدول بعضها البعض من جهة أخرى. وفيما يتعلق بالعلاقات بين الدول ينبغي أن يتحقق التعامل بينها من منطق التعامل الاستراتيجي المرن والمتعدد المداخل، بما يحقق المصالح المتبادلة للأطراف المتعاملة.

نحن نعيش الآن في مجتمع ما بعد التصنيع، حيث يتعايش الإنسان الآن مع الانتقال الثالثة العظمى في تاريخ البشرية، والتي سبقتها انتقال الصناعة، ومن قبلها انتقال الزراعة.

وفي الانتقال الثالثة – أو الموجة الثالثة Third Wave كما يسميها (توفلر) – حدث تحرك جذري عميق، أثمر تعديل مواقع الطبقات في كل مجتمع، وزلزل ما استقر من علاقات بين الأمم، وترتكز الانتقال الثالثة على قوة إنتاج فريدة قوية، تفتح الآفاق – من

خلال الاتصال والتوصيل وتدفق المعارف والمعلومات - لتشكيل النظام العالمي الجديد الذى عن طريق الآليات التى استحدثها، يمكنه إدارة الحياة على مستوى جميع دول العالم، كما يمكنه تجميع الحدل بين الثقافات والأيدولوجيات والحضارات، وصهرها جميعاً فى بوتقة إنسانية واحدة .

لذا فإن لفظة (العولمة) تجمع كل ما تقدم، فهى العملية العامة العالمية التى تجرى فى أركان الأرض الأربعة جميعاً، وتنم فى زمان واحد، هو هذا الزمان، وتتجه إلى ما يأتى من أزمنة فى مستقبل مفتوح، لا تعرف له الأنظار والحدود نهائية .

وآيات هذه العولمة ثلاث، وهى :

الأولى - أن العلم صار قوة الإنتاج القائدة الحاكمة للعملية البشرية بكافة مناحيها الإبداعية والفلسفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... إلخ، وأن تطبيقات العلم والتكنولوجيا صارت مسيرة بأهداف الإنسان، بات الإنسان سيدها إذ كانت سيده فى الطور الصناعى، وأن السلعة المنتجة غدت (العولمة) التى لا تغنى بالاستخدام بل تتألف ويتسع انتشارها ويعمق تأثيرها، وفى هذه الآفة أمران : أولهما أن العلم بدأ يدنو إلى الكف عن استنزاف عناصر الطبيعة ومواردها البكر، فراح يسعى إلى خلق مواد بديلة، فنبتت فى هذا الشأن إمكانات بغير حصر ولانهاية، من هندسة الكائنات وتخليق أجناس وأنواع وسلالات من النباتات والحيوانات من خامات ومواد مصنعة . ثانيهما أن العلم بدأ يرنو إلى الكف عن استخدام الطاقة الحفرية، فهى مخربة ملوثة إلى أنها محدودة متناهية، فراح يسعى إلى طاقة نظيفة غير متناهية، طاقة الشمس والاهواء والأمواج، وينتهى الأمر فى هذه الآفة الأولى إلى وحدة (السوق) مادامت السلعة - المعلومة - تتألف بالتداول ولا يفنيها الاستخدام، ومادامت مصادر المواد والطاقة (كوكبية) بطبيعتها .

والثانية - أن البيئة الطبيعية على الكوكب - وقد خربها النشاط الصناعى - باتت خطراً هائلاً يرجع بالشار إلى البيئة البشرية، فيغنى الحياة الإنسانية إفناءً . وتنبه الوعى إلى أن الكوكب متناه يمكن أن تنتهى الحياة عليه، فسعى علم اليوم إلى إعادة التوازن ومصالحة الطبيعة، وأجمع أهل الحل والعقد فى العالم - مؤتمر قمة الأرض : ريبودى جانيرو : يناير ١٩٩٢م - على أن البيئة شأن بشرى عام، يتجاوز كل الحدود الجغرافية والسياسية والإقليمية، على أن مواجهة مشكلات العيش فى هذه البيئة لا يمكن لبلد واحد ولا لقوة واحدة مواجهتها، صار كوكب الأرض بيئة واحدة، وصارت هذه البيئة مسؤولة بشرية مشتركة .

والثالثة - أن ثورة المعلومات وتدفق الاتصالات قد محت الحدود والتخوم بين الجماعات البشرية، وأخذت تثمر مشتركاً ثقافياً إنسانياً يؤكد أن ما يجمع بين البشر أقوى بكثير جداً مما يفرق بينهم، ومن ثمة بات يدعو إلى معالجة التناقضات بين الطبقات

والشعوب والأديان والثقافات والحضارات عن طريق الإجراءات السليمة الديمقراطية، ويحدث الآن في المجتمع البشري ما يؤكد المشترك ويقويه، حلّ منزع الصراع، وحل منزع التفتيش عن عناصر الاتفاق محل منزع التفتيش عن عناصر الاختلاف، وباتت وجهة المحاور والتفاعل تعلق.

لابد لهذا التحرك البشري الجذري العميق - العولمة - من صياغات قانونية ومؤسسات سياسية ومنظمات ذات صلاحيات سيادية لإدارة حياة البشرية الجديدة، بمعنى: لابد من نظام جديد لإدارة العالم<sup>(٢٢)</sup>، بدلاً من النظام العالمي الحالي، وذلك ما أشرنا إليه من قبل خلال الحديث السابق.

"وباختصار شديد فإن العولمة قد تكون شرراً وقد تكون حقاً ممزوجاً بالباطل والإغراض، وقد تكون امتداداً للهيمنة والسيطرة والنفوذ، ولكنها في النهاية واقع لا يجدى الجدل معه، ومن غير المنطق والعقل مناقشته، وإنما العمل الجاد والكفاءة والدؤوب والمنطلق من معرفة ورؤية صائبة على التعامل المفيد مع هذا الواقع"<sup>(٢٣)</sup>.

وعلى الرغم من التباين في وجهات النظر بين تأييد ومعارضة العولمة، فهي تسهم - بشكل مباشر - في اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء.

### ثالثاً: هل ستتطوّر العولمة؟

يمكن تحديد إجابة وافية شاملة، ولكنها ليست قاطعة ومؤكدة، عن السؤال السابق، من خلال وجهات النظر الثلاثة التالية:

#### (١) العولمة تكشف نفسها بأقلام دعائها<sup>(٢٤)</sup>

\* في السنوات القليلة الماضية الماضية كثر الحديث حول عولمة الثقافة، وهل يمكن أن تمتد إلى ثقافتنا العربية. وفي الأيام الأخيرة تجدد هذا الحديث بصورة مكثفة، وبشكل لم يحدث له مثيل من قبل، حيث كثر هذا الحديث فشمل حواراتنا القومية، فهناك من يرى استحالة تحقق عولمة الثقافة العربية مهما تكن محاولات الهيمنة الأمريكية. وفي المقابل نجد هناك من يرى تعايش ثقافتنا مع هذه العولمة طالما أصبحت واقعاً مع تحفظ أو شرط الحفاظ على مقومات وعناصر وأساسيات ثقافتنا العربية. ولهؤلاء وهؤلاء يمكن القول بأنه ليس من سبيل إلى تحقق هذه العولمة في المجالات الثقافية على وجه التخصيص، ولعل سبب استحالة تحقق هذه العولمة في المجال الثقافي يرجع إلى تعريف الثقافة نفسها حيث يراها "هستتر" في قاموسه أنها: "نموذج كلي لسلوك الإنسان ونتاجاته المتجسدة في الكلمات والأفعال، في العادات والتقاليد، وكل ما تصنعه يده - أي الإنسان - وقدرته على التعلم ونقل المعارف والقيم إلى الأجيال التالية"، ولهذا نجد ثمة اختلافات بين ثقافات الأمم مثل ثقافات الأمم العربية والأخرى

الأوروبية والثالثة الأمريكية بل وتختلف الثقافات في الأمم التي تشترك في التاريخ المشترك كالأمم الأوروبية، فالثقافة في أوطان أوروبا الشرقية غيرها في أوطان أوروبا الغربية.

فلاشك أن شقة الخلاف بين ثقافات هذه الأمم تكبر وتتسع حين لا تشترك الأوطان في التاريخ والمصير المشترك... ومن هنا.. من هذه الاختلافات في الثقافة بين الأمم... تصبح هيمنة ثقافة مثل الثقافة الأمريكية على ثقافات أخرى تمثل نوعا من العدوان الصارخ على شخصيتها الثقافية وهويتها الوطنية.

ولذلك فإن العولمة، وماتعنيه من هيمنة قد تصلح في أى مجال، ولكنها تستحيل بالنسبة للمجال الثقافى، ولابد أن دعاة العولمة وكتابها يدركون هذه الحقيقة غير أنهم يكابرون ويغالطون ويحاولون تجاهلها، أملا في التقريب بين الثقافة المهيمنة، وبقية الثقافات "الأخرى" حتى تتحق العولمة على المدى الذى يريدونه، إلا أنه في الجانب الآخر، وهو جانب الذين يستهدفون لهذه الهيمنة يجب أن يتنبهوا إلى ذلك تماما، فيكونوا على يقظة تامة من هذه المحاولات.

وأولى خطوات هذه اليقظة كشف نيات دعاة وكتاب هذه العولمة، وذلك مما يكتبونه باقلامهم أو يقولونه بالسنتهم.

مثلاً لنقرأ دراسة بعنوان "في مديح الامبريالية الثقافية" كتبها "فانهد هوث كوهف" أستاذ العلاقات الدولية بجامعة كولومبيا، وترجمها الأستاذ أحمد خضر حيث يرى هذا الكتاب الأمريكى أن الولايات المتحدة الأمريكية تهيمن على حركة المرور الكونية في مجالات المعلومات والافكار والفنون الأمريكية كالموسيقى والأفلام وبرامج التلفزيون وبرامج الكمبيوتر حيث أصبحت شديدة الهيمنة والرواج. حتى أنها أصبحت توجد اليوم في كل مكان على الأرض بالمعنى الحرفى للكلمة، وهى كما يدعى هذا الكاتب - تؤثر بالفعل في أذواق وحياة وتطلعات كل الأمم (11) رغم ما ينظر إلى بعضها باعتبارها شرا مفسدة! حيث يعترف بأن فرنسا وكندا أصدرت كل منهما قوانين رادعة تحذر نشر ونقل هذه المواد الأمريكية، والأمر نفسه اتبعته كل من الصين وسنغافورة... ومعنى هذا أن كل واحدة من هذه الدول تسعى إلى تقييد وصول هذه المواد إلى شعوبها، والهدف من ذلك هو الوقاية مما يبسه الأمريكيون من وجهات نظر يمكن أن تحدث التلوث الفكرى في عقول أبنائها، حفاظا على الشخصية الثقافية.

ولعل صاحب هذه الدراسة يغالط حيث يعلم في قرارة نفسه أن الثقافة الأمريكية تختلف اختلافا جوهريا عن بقية الثقافات ابنة بيئاتها في العديد من الأمم ذات الحضارات القديمة... ومع ذلك فإن هذه الخلافات من الممكن أن تزول إذا ما اقتنع اصحاب هذه

الثقافات الأخرى، بأن الثقافة الأمريكية هي مزيج من المؤثرات والمناهج من مختلف أنحاء العالم... قد انصهرت في وسط اجتماعي يسمح بازدهار الحريات الشخصية والثقافية!! والأعجب أن يرى صاحب هذه الدراسة أن قيام الولايات المتحدة الأمريكية بما هو في مصالحها، هو في أساسه قيام بما هو في مصلحة هذه الأوطان المستهدفة لهيمنتها (١١).

وينتهي صاحب هذه الدراسة إلى ما يكشف نياته حيث يقول: وعندما نسمح لأنفسنا بأن ننحرف مع ردود الأفعال السلبية ازاء العولمة، فسيؤدي هذا إلى تفويض قدرة أمريكا على تعزيز مصالحها الذاتية حيث ينبغي على الأمريكيين أن يدركوا ان تلك المصالح تتصل بطائفة من المعارف مثل الاقتصاد والعلوم والثقافة، وبالتالي فإن المطلوب هو منهجية علمية متكاملة لصناعة سياستها الخارجية!!

وفي دراسة بعنوان: "ياعولمى العالم اتحدوا" يتناول "دهنال فويتز" بالعرض والتحليل خمسة كتب تدور حول العولمة وعلاقتها بالثقافة هذه الكتب هي :

"الجهاد ضد السوق الكونية لبنيامين بارير" و "النهاية الأخيرة للتاريخ والإنسان لفرنسيس فوكوياما" و "صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي الجديد" لصمويل هنتنجتون" و "نهاية الأرض... رحلة إلى القرن الحادى والعشرين لروبرت كامبلان" و نهاية الدولة القومية لكنيشى أوماى" حيث ينتهى صاحب هذه الدراسة الصافية التى ترجمها الراحل عبد السلام رضوان إلى خلاصة لهذه الكتب الخمسة توضح مستقبل العالم فى ظل الهيمنة الأمريكية قائلاً: هناك اتفاق بين هذه الكتب الخمسة على أربع نقاط هي: أن الأمم القومية تفقد نفوذها وتأثيرها فى النظام العالمى الجديد، وأن الضعف تسببه بصورة مباشرة أو غير مباشرة قوى السوق الكونية، وأن هذه التأثيرات كونية الطابع أى أنها غير محصورة فى العالم المتقدم أو النامى، وأن العلم الاجتماعى التقليدى لايمكنه تفسير هذه المتغيرات .

ونخلص من هاتين الدراستين إلى أن هناك اتجاهات قويا يقضى بعولمة المجال الثقافى والهيمنة عليه، وبهذا ينبغى أن نحتاط ونحترس، وأن نكون على يقظة تامة لهذه المحاولات، مدركين أن هذه العولمة وما يتبعها من هيمنة لايمكن أن تتحقق فى ثقافتنا العربية ذات القومات والسمات المتميزة .

وعليه، فإن ما يحدث من جدل ونقاش هادىء أو غير هادىء فى هذه الأيام بعد مؤتمر الثقافة العربية يعتبر ظاهرة صحية مطلوبة، اذ ليس هناك أهم من الاعتداء على هويتنا الثقافية .

## (٢) هل ستنتهى العولمة ؟ (٢٥)

تنامت الحركات المناهضة للعولمة والتى تركز على التكلفة الاجتماعية الباهظة للتحويل الاقتصادى وفقدان سيطرة الدول على سياسات التنمية واندثار الصناعات التقليدية

وما يتبعها من تشرد العمالة وتآكل للمجتمعات المحلية، وبرزت الحركة المضادة للوروش المعرفة **Antisweatshop Movement** للتصدى لسلطان ونفوذ الشركات الدولية الكبرى ولتنتقد المؤسسات الدولية في تناولها البطش لمشاكل العولمة (الوروش المعرفة هي مصانع صغيرة منتشرة في آسيا وأمريكا اللاتينية لإنتاج العلامات التجارية للشركات متعددة الجنسيات تستغل فيها العمالة بأجور منخفضة وفي ظل أوضاع غير صحيحة).

وهكذا أثبتت العولمة - والتي تستهدف الاندماج والوحدة - أنها ليست أقل حدة في انقساماتها عن انقسامات الحرب الباردة التي حلت محلها، وإتها ظاهرة قد تنتهي مثل آخر موجة للعولمة التي انحسرت أمام الحرب العالمية الأولى. ولقد مر العالم بتجارب متعددة للعولمة تميزت بخصائص مشتركة كنمو التجارة وانتشار التقنيات والعلوم والهجرة والتفاعل الثقافي بين الأمم، ولقد أدت ثورة المواصلات (السكة الحديدية والنقل البحري) في القرن التاسع عشر وانخفاض تكاليف النقل إلى نمو سريع لحجم التبادل التجاري، ففي عام ١٩١٣ وصلت نسبة التجارة الدولية في الناتج العالمي إلى ذروة لم تتكرر إلا في السبعينيات من القرن العشرين، كما واكب ذلك نمو هائل في التدفقات الرأسمالية حول العالم بلغ ١٠٪ من ناتج بعض الدول وزيادة في الهجرة وبالأخص إلى الأمريكتين، أما في عصرنا هذا فإن القوى الدافعة للعولمة أتت من تكنولوجيا الحاسب الآلي والاتصالات والتي خفضت تكلفة تلك الأنشطة بنحو ٩٩٪ عما كانت عليه في الستينيات! هل هذا تطور مرغوب فيه؟ إن النظرية الاقتصادية تفترض أن اقتصادا عالميا مندمجا سيوفر أكبر قدر من الامكانيات لتحقيق الرخاء الإنساني، وهذا افتراض مؤسس على حرية حركة المنتجات وعوامل الإنتاج من عماله ورأسمال، وعلى توافر الشفافية والمعلومات وعلى درجة عالية من المنافسة، وفي واقعنا الراهن فإن كثيرا من العوائق تقف أمام تلك الشروط، وكما لا يجب أن يقتصر التطور على تحقيق عولمة حميدة اقتصاديا، من حيث إنها تزيد الثروة بينما هي خبيثة اجتماعيا من حيث مردودها على الفقر والامية والمساواة والخصوصية الثقافية، فعالم يضم اليوم ما يزيد عن ٦ مليارات نسمة يعيش ٢,٨ مليار منهم (قرابة نصف سكان العالم) بأقل من اثنين دولار يوميا و ١,٢ مليار (١/٥ سكان العالم) بأقل من دولارين واحد يوميا!

إن الهدف في هذه المرحلة المرحجة يجب ان يتمحور حول تحديد أفضل المسارات للعولمة على المستويين العالمي والمحلي وسبل مواجهة سلبياتها وأدوار اللاعبين من الحكومات ومؤسسات دولية وشركات كبرى ومجتمعات مدنية، وتتمثل أهم التحديات في ممارسات الشركات متعددة الحدود والجنسيات والتي أدت إلى نوع من "السباق نحو القاع" بين الدول النامية بهدف جذب الاستثمار، وكما أن تنقلية هذه الشركات تعنى بالضرورة عجز الدول المضيفة في إحداث التوازن الداخلي ووضع قواعد نلرفاهة العامة، مثل: زيادة

الضرائب وحماية حقوق العاملين وذلك خوفا من هروب الاستثمار الأجنبي، ولقد ازدادت السيطرة السياسية للاحتكارات الدولية نتيجة اندماج عالمي لا يوضع قواعد للحد من هذه الهيمنة. وإتاحت فتح الحدود دون ضوابط فرصا لعمليات غسيل الأموال والمضاربات على أسعار الصرف وأشغال الصراعات لتحقيق أرباح في أقاليم غنية بالموارد مثل أنجولا وسيراليون وجمهورية الكونغو الديمقراطية وغيرها، وبدلا من تحجيم ممارسات الشركات الكبرى على ساحة العولمة فلقد جاء "اتفاق واشنطن" كمحصلة لتأثير الثروة الخاصة على اجندة العمل السياسي الأمريكي<sup>1</sup>. وتنص حزمة السياسات للاتفاق على عشرة عناصر تشمل:

- \* الانضباط المالي في الاتفاقيات الحكومية
- \* إعادة توجيه الإنفاق العام بعيدا عن الدعم
- \* تخفيض نسب الضرائب
- \* تحرير أسعار الفائدة
- \* الابتعاد عن أسعار الصرف الثابتة نحو أسعار تتحدد بواسطة السوق
- \* تحرير التجارة
- \* تحرير التدفقات الداخلة والخارجة للاستثمار الأجنبي المباشر
- \* خصخصة المنشآت العامة
- \* حل قيود الأسواق
- \* ضمان حقوق الملكية الخاصة

وقد أقرت الولايات المتحدة هذه الحزمة في المفاوضات التجارية الدولية عام ١٩٩٩ وتم التأكيد عليها في مجالس إدارات كل من البنك الدولي وصندوق النقد، وتلقى الخطوط الرئيسية للاتفاق قبولا من حيث المبدأ، إلا أن حسر دور الدولة الذي تهدف إليه حيثيات الاتفاق لا يمكن أن يكون حلا عمليا، بل العكس هو الصحيح، فكلما إزداد انفتاح الاقتصاد ازدادت الحاجة إلى آليات قوية للإشراف من قبل الدولة (فضائح الشركات الأمريكية في البورصة أبلغ دليل على ذلك)، وكما يحتاج اتفاق واشنطن إلى مراجعة جوهرية في مجالات العمالة والأسواق المالية والحد من تدفقات الأموال المضاربة بفرض ضريبة على هذا النوع من التعاملات، ولن يؤدي العدول عن اتفاق واشنطن إلى تباطؤ العولمة، حيث إن سياسات: دعم يعمل - دعم يمر، التي شكلت فلسفة الاتفاق ليست ركيزة للعولمة - كما يدعى البعض - بل إنها تعوق مسار العولمة لكنها تؤدي إلى عدم استقرار النظام وتغذى المعارضة له وتحيط عملية الاندماج بسياج من الشك والرفض من

قبل الشعوب، وقد انتقد "جوزيف ستجلتزر" - الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد وكبير خبراء البنك الدولي سابقاً - اتفاق واشنطن بقوله إن دوجماً لتحرير أصبحت هدفاً في حد ذاته وليست وسيلة لتحقيق نظام مالي أفضل، وأضاف أن التركيز على تحرير الأسواق قد يكون له الأثر المعاكس كعدم الاستقرار الاقتصادي على المستوى الكلي وأضعاف القطاع المالي ١.

وعليه يتطلب إصلاح العولمة تدخلاً حكومياً في مجال حركة الأموال (التي تختلف تماماً عن حركة تدفقات الاستثمار الخارجي المباشر)، حيث يأتي الخطر من تحركها الكثيف والسريع في آن واحد مما يؤدي إلى هشاشة الأسواق المالية وتذبذب الأسعار فيها بغض النظر عن عوامل الإنتاج، ونظراً لأن هذه التعاملات قصيرة الأجل وتتطلب شراء وبيع العملات فإن حركتها ستؤدي بالضرورة إلى تذبذبات حادة في أسعار الصرف. والنتيجة هي الأزمات المالية وما ينجم عنها من ديون وإفلاس للمنشآت والبنوك، وفي بداية الانهيار الآسيوي قام رئيس وزراء ماليزيا محاضر محمد بفرض قيود على حركة الأموال في البورصة مما أثار ضده حفيضة الأوساط المالية في العالم المتقدم، غير أن سياسته أثبتت قدرتها في الحفاظ على استقرار ماليزيا بعكس ما حدث لجيرانها، ولقد فرضت شيلي ضريبة نسبتها ٣٠٪ على أرباح الأموال قصيرة الأجل في البورصة - مخنفة رأى صندوق النقد في هذا الصدد - وحافظت دون غيرها من دول أمريكا اللاتينية على استقرارها المالي والاقتصادي، واعترف جورج سوروس المضارب العالمي في كتابه الأخير بخضورة حركة الأموال الساخنة على استقرار أسواق المال وأسعار الصرف وتأثيرها السلبي على العولمة الاقتصادية.

إن عولمة أكثر استقراراً وأكثر عدلاً تتطلب إعادة النظر في سياسات المؤسسات الدولية، فلا يمكن لأية أمة إحداث التنمية على المدى الطويل في ظل القواعد التي تفرضها المؤسسات الدولية حالياً على دول العالم الثالث، فالولايات المتحدة والمانيا وفرنسا واليابان صارت دولاً متقدمة خلف حواجز الحمائية، وشيدت شرق آسيا صناعاتها التصديرية بحماية أسواقها ومصارفها من المنافسة الأجنبية، وجميع هذه الممارسات أصبحت غير مشروعة في ظل القواعد الجديدة للتجارة الدولية، ولقد صممت منظمة التجارة العالمية لتكون الملتقى الذي تتفاوض الأمم من خلاله بمساواة على قواعد التجارة من أجل المصالح المشتركة إلا أنها صارت رهينة للدول الغنية خاصة في مجال الزراعة والدواء والخدمات المالية، ولقد قدر البنك الدولي تحولات الدول الفقيرة إلى شركات الدول المتقدمة نتيجة قواعد الملكية الفكرية بنحو ٤٠ مليار دولار سنوياً، والولايات المتحدة التي تضغط على الدول الأخرى لفتح أسواقها للمنتجات الزراعية خصصت دعماً للذرة والمحاصيل الأمريكية الأخرى يصل إلى ٥٧ مليار دولار على امتداد السنوات العشر القادمة! أما صندوق النقد، فلقد أسس للوقاية من أزمات الكساد الكبرى، وذلك بإقراض الدول التي تعاني الانكماش

بهدف تشجيعها على نهج سياسة توسعية وزيادة الانفاق وتخفيض أسعار الفائدة، غير أن مهمة الصندوق تحولت - بمرور الوقت - إلى النقيض تماماً، وذلك بتبنى مبدأ الدواء المر للإصلاح المتمثل في سياسة انكماشية بصرف النظر عن الداء، وقد انتقد **جيفري ساكس** الاقتصادي العالمي سياسات الصندوق باعتبار أن "ربط الأحزمة لا يمكن أن يشكل استراتيجية للتنمية" ! إن الهدف الرئيس من انشاء الصندوق يكمن في كون الأسواق لاتعمل بكفاءة وبشكل نموذجي، غير أن صندوق النقد تحول إلى المنادى باحادية السوق في جميع الحالات مرددا أصوات وول ستريت ووزارة الخزانة الأمريكية، ولقد دفع ذلك **ألن ملتزر** من جامعة كارجى إلى الاقتراح بأن يقتصر دور الصندوق على المساعدة في الأزمات قصيرة الأجل وبيتعد عن أداء دور الإدارة الاقتصادية طويلة الأجل.

إن عمولة إيجابية تتطلب التحكم في المضاربات المالية وحماية العمال وابتكار السياسات والبرامج التي تتعامل مع الآثار السلبية، وسيعتمد استمرار العمولة على السرعة التي ستفى بها متطلبات الاجندة الاجتماعية للمجتمع الدولي، ولقد أوضحت نشرة حديثة المؤسسة بروكنجز إن علاج الاختلالات التي تسببها التجارة الدولية هو في قيام الفائزين بمشاركة أرباحهم مع الخاسرين كصورة من صور التعويض مؤكدة أهمية الأخذ بهذا الاقتراح بجدية كمطلب سياسى والتزام معنوى، واقتراح **فانى روديك** الاقتصادي بهارفارد مخططا للهجرة تقوم بمقتضاه الدول الغنية بفتح ٣٪ من أسواق العمل بها للهجرة المؤقتة من الدول النامية (يعود العامل إلى بلده الأصلي بعد سنوات محددة)، وأفاد بأن هذا المخطط سيولد ٢٠٠ مليار دولار سنويا من الأجور لصالح العمالة الوافدة علاوة على المهاجرين، كما تجب متابعة ومراجعة تنفيذ "خريطة الطريق" التي أعدتها الامم المتحدة لتطبيق "إعلان الألفية الجديدة" الذي أقره ١٤٧ رئيس دولة وحكومة محددًا لأهداف عام ٢٠١٥ المتعلقة بنسب الفقر والتعليم والبيئة والمساواة بين الجنسين.

إن الملايين التي خرجت يوم ١٥ فبراير ٢٠٠٣ في ٦٠٠ مدينة حول كوكب الأرض لتقف ضد الحرب تجسد عمولة أخرى فجرتها أيضا ثورة الاتصالات والمعلومات، وهي عمولة أدت الى اندماج رؤى البشر من أجل عالم يسوده السلام والاستقرار والعدل. وبعثت برسالة مشتركة صاغتها الشعوب لاعادة النظر في السياسات والممارسات القائمة، فدون إصلاح المسار لن تعدو العمولة ألا وأن تكون نظاما عالميا جديدا تفرضه الامبراطورية الأمريكية على العالم.

### (٣) تدهايات العمولة (٢٦)

إن إحلال التسليم محل التساؤل، هو في أساس الشقاق والاقصاء. وفي أساس ما يدفع بالعالم إلى أن يصبح عالما من دون عقل موجه. لكن التاريخ جرد المجتمع وجرح ثبات الذهن البشرى. وصارت "البنى البعيدة عن التوازن"، في المجتمع، تحتل مقدمة التحليل السياسى، الذى لا بد أن يتجاوز مرتبة اعتبارات الجغرافيا السياسية. وأكدت مقولة "البنى

البعيدة عن التوازن<sup>١</sup> خضوع المجتمع لقوتين، غير القوانين المتكررة، المتشابكة. في القوتين المتكررة، يعيش الإنسان في حاضر ليس إلا أثرا للماضي. وقد نهض العالم من نظام بعيد عن التوازن. وتشكل سباق التسلح في شكل جديد، من بعد عام ١٩٨٩. ولم يتوقف تماما فيما بعد فترة ١٩٤٦ - ١٩٨٩، والحرب العالمية الثالثة، والتي عرفت باسم "الحرب الباردة" بل طرحت على بساط البحث العالمي، مسألة التضاد الاجتماعي - الاقتصادي بين الجنوب الفقير والشمال الغني، ورجت مشكلة السكان "التوازن السكاني العالمي"، وصعد اختلال التوازن البيئي الكوني إلى صدر المشكلات الكونية المعاصرة، أعقب ذلك في اطار الاختلالات الكونية، وقود الطاقة، المواد الأولية الغذائية، المواصلات. وفيما يتعلق بالميزان التجاري الكوني، استندت الدول النامية من الدول المتطورة حجما ينمو بسرعة كبيرة، عدا مشكلة الجريمة المنظمة والارهاب، والبيئة الصحية، وتقديس القوة وشهوة المهدرات، ومسألة تكديس المدن الكبرى، ومسألة غزو المحيطات، وغيرها من الاختلالات الكونية الكبرى، كالزيادة النوعية في أعداد الفقراء. فقد عكست العولمة مسيرة بلدان العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية، حيث خرجت هذه البلدان من الحكم الاستعماري، واتجهت نحو الاستقلال الاقتصادي. بيد أن العولمة استطاعت أن تستعيد سيطرة الدول الإمبراطورية السابقة. وامتدت هذه السيطرة في ما بعد إلى بلدان العالم الاشتراكي السابق. وسلبت العولمة "الشمالية" البلدان الفقيرة "الجنوبية"، تحكمها في سياساتها الاقتصادية. وتركزت ثروة هذه البلدان بأيدي المستثمرين من أبناء العالم الأول، ومع أنها أغنت بعض النخب من العالم الثالث، إلا أنها أخضعت تلك البلدان للشركات المتعددة الجنسيات، والمؤسسات الدولية، والدول السائدة. وزادت العولمة من قوة الشركات العلية الكبرى لقاء قوة الحكومات الوطنية، وسلطة الدول الوطنية. وزادت العولمة من قوة البنوك العالمية الكبرى لقاء قوة الهوية الوطنية. وفي الحياة الثقافية الأمريكية الراهنة، هناك مدرسة واحدة من المثقفين المحافظين الذي أسسوا لهيمنة الدول العالمية في العالم الأكاديمي، كحركة سياسية. وهم الشتراوسيون، أتباع الفيلسوف الألماني، واليهودي الأصل، الأمريكي الجنسية، الراحل لهو شتراوس، وقد أشارت الجمهورية الجديدة المناهضة للشتراوسيين، بوصفهم واحدة من أخطر "عصابات الألفية" كان شتراوس ضروريا للاحياء المحافظ المعاصر. من تلاميذه المهين: كلارنس توماس، القاضي، روبرت هوروك مرشح المحكمة العليا: هول وولفويتزن نائب وزير الدفاع: آلن كيمس، المساعد السابق لوزير الخارجية، ولهام بنيت، وزير التربية السابق، ولهام كيمستول، المحرر الرسمي الاسبوعي ورئيس هيئة أركان كوابل السابق، آلان بلوم، صاحب الكتاب - العمدة، "أنفلاق العقل الأمريكي". جون بوهوريز، محرر بريند نيويورك السابق، جون ت. أجهستو، نائب الرئيس السابق للمنح القومية الأمريكية للانسانيات. من هنا تخلى السادة المحافظون الجدد عن الليبرالية، فيما نحن في أمس الحاجة إليها، وإلى مزايهاها، وإلى الاستفادة منها، من بعد تعديلها، وتوفيقيها، وتكليفها، مع الواقع المتفرد للوطن، والامة.

## المراجع

\* جاء موضوع (العولمة) في المرجع التالي:

- مجدى عزيز إبراهيم، المنهج التربوى العالمى... أسس تصميم منهج تربوى فى ضوء التنوع الثقافى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١، ص ٨١ - ١٠٥ والمصادر التى استخدمت فى إعداد هذا الموضوع، هى:
- (١) سليمان إبراهيم العسكرى، «العرب والقرن الواحد والعشرون»، مجلة العربي (الكويت)، العدد ٤٩٣، ديسمبر ١٩٩٩، ص ١٨ - ٢١.
- (٢) محمود حيدر، «مفهوم السيادة بعد الحرب الباردة... الدولة المعولمة»، مجلة معلومات دولية، دمشق (سورية): مركز المعلومات القومى، السنة السادسة، العدد ٥٨، خريف ١٩٩٨، ص ٤٣.
- (٣) عبد الله حسين، «فى العولمة... ومستقبل الثقافة والأدب الإسلامى»، جريدة الأهرام فى ٢٤ / ١ / ١٩٩٩.
- (٤) جاءت هذه التعريفات فى المصدر التالى:
- إبراهيم بن آل عبد الله، «التعليم والأمن فى عصر العولمة»، مجلة المعرفة (السعودية)، العدد ٥٣، نوفمبر ١٩٩٩، ص ١٠٢ - ١١٤.
- (٥) أحمد شوقى، «وهم النهايات»، جريدة الأهرام فى ١٦ / ٨ / ١٩٩٩.
- (٦) أحمد عباس عبد البديع، «ظاهرة العولمة: بين الحقيقة والوهم»، جريدة الأهرام فى ٤ / ٣ / ١٩٩٨.
- (٧) أحمد شوقى، «سؤال الهوية»، جريدة الأهرام فى ١٩ / ٧ / ١٩٩٩.
- (٨) عبد الوهاب المسيرى، «عولمة الاتفاق بدلا من المواجهة»، مجلة المعرفة (السعودية)، العدد ٤٦، مايو ١٩٩٩، ص ١٦ - ٢٢.
- (٩) احسان على بوحليقة، «التماشيح تستحوذ على أسماك البحيرة»، مجلة المعرفة (السعودية)، العدد ٤٦، مايو ١٩٩٩، ص ٣٠ - ٣٤.
- (١٠) عبد العظيم حماد، «الاتجاهات المضادة للعولمة»، مجلة المعرفة (السعودية)، العدد ٤٦، مايو ١٩٩٩، ص ٣٥ - ٤٠.
- (١١) المرجع نفسه.
- (١٢) لمزيد من تفصيلات المبدأ الذى أقره (بول كينيدي) يمكن الرجوع إلى المصدر التالى:

- بول كينيدي، ترجمة نظير جاهل، الإهداء للقرن الواحد والعشرين (جزءان: التحولات الإقليمية، الراهجون والخاسرون)، سرت (الجمهورية الليبية): الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٥.
- (١٣) فيثيان فريستر، «الليبرالية المتطرفة ليست قدراً محتماً»، مجلة النهج (سورية)، العدد ٢٢، ربيع ٢٠٠٠، ص ص ١٢٤ - ١٢٨.
- (١٤) رمزي زكي، «الطريق إلى سياتل: آثار العولمة.. وأوهام الجري وراء السراب»، مجلة النهج (سورية)، العدد ١٢، شتاء ٢٠٠٠، ص ص ٦ - ٣٣.
- (١٥) مفيد حلمي، «تعديات العولمة وضرورات التكامل الاقتصادي العربي»، مجلة النهج (سورية)، العدد ١٧، شتاء ١٩٩٩، ص ص ١٠٥ - ١٢٦.
- (١٦) أسعد السحمراني، «تسويق الاستهلاك وترويج الكابوبى والهامبرجر»، مجلة المعرفة (السعودية)، العدد ٤٦، مايو ١٩٩٩، ص ص ٤٢ - ٤٥.
- (١٧) سليمان هتان، «تعليقا على ملف العولمة: سنكون فاعلين إننا لم تكن خائفين»، مجلة المعرفة (السعودية)، العدد ٥٣، نوفمبر ١٩٩٩، ص ص ١٥٠ - ١٥١.
- (١٨) عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق.
- (١٩) طارق حجي، الثقافة... أولاً وأخيراً، القاهرة: دار المعارف (سلسلة إقرأ: العدد ٦٥٣)، ٢٠٠٠، ص ٨١.
- (٢٠) مرسى عطا الله، رحلات على ورق الكتب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، يوليو ١٩٩٩، ص ١١٠.
- (٢١) للمرجع نفسه، ص ١١٨.
- (٢٢) عبد النعم تلمبه، «التحولات العالمية وخصوصية الثقافة المصرية»، فى: - مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية فى مطلع القرن الحادى والعشرين، مطبوعات مؤتمر أدباء مصر فى الأقاليم ١٩٩٩، ص ص ٢٢ - ٢٤.
- (٢٣) طارق حجي، مرجع سابق، ص ٨٢.
- بالإضافة إلى المصادر السابقة، تم الاستعانة بالمقالات الثلاث التالية:
- (٢٤) سامح كرم، «العولمة تكشف نفسها بأقلام دعائها»، جريدة الأهرام فى ١٦/٧/٢٠٠٣.
- (٢٥) شريف دولار، «هل ستنتهى العولمة؟»، جريدة الأهرام فى ٢٦/٢/٢٠٠٣.
- (٢٦) وائل غالى، «تداعيات العولمة»، جريدة الأهرام فى ١٦/٧/٢٠٠٣.



# الفصل الثاني

## تداعيات تربوية شائكة

- تمهيد.
- دعوة للتغيير والتجديد..ولكن.
- موقع قضية منظومة التربية من مشكلة الثبات والتغير.
- حدود أزمة منظومة التربية وتأثيراتها السلبية على المناهج التربوية.
- تداعيات شائكة لمنظومة التربية في وضعها الحالي.



## تلخيص:

منذ سنوات قليلة مضت كانت الامية تعنى عدم القدرة على القراءة والكتابة، ولكن تغير الحال الآن تماماً، وأصبح ينظر إلى الفرد الامى على أنه ذلك الإنسان الذى لم يتعلم كيف يتعلم الجديد .

وعليه فإن تقدم امة من الامم رهن بقدره أفرادها على معرفة ومتابعة كل جديد ونافع، بهدف إحلاله محل القديم الذى لم يعد مناسباً للعصر .

إن تحقيق ما تقدم ليس بالعمل الهين أو السهل؛ لأنه يتطلب القدرة على امتلاك حرية النظر والمراجعة التى من خلالها، وعن طريقها يمكن إعلان نتائج النقد لاي موضوع من الموضوعات، وبذا يمكن تخطئة ما ينبغى تخطئته، أو غض البصر وإهمال ما ثبت فشله وعدم جدواه، كذا هدم ما ينبغى هدمه بسبب عدم نفعه وصحته ومناسبته للعصر، ليحل محله كل جديد وحديث مدروس .

وحيث إن الخطأ فى حد ذاته شيء مرفوض وغير مقبول، فلا يوجد إذن أى مجبر للارتباط بالأمور الخاطئة أو التمسك بها، حتى لو كانت تساندها قوة غاشمة، أو أنها سادت لفترة طويلة من الزمان بحيث اكتسبت صفة الشرعية (مجازاً) .

من المنطلق السابق ينبغى النظر بعين الاعتبار إلى المنهج التربوى -على أساس أنه أداة التربية الرئيسة لتحقيق أهدافها- من زاوية ضرورة وأهمية تضمينه كل ما يناسب العصر، وتحديد هوية قومية وعالمية له فى الوقت ذاته، ويتطلب تحقيق ذلك تبنى رؤية جديدة وشاملة تهدف إلى عصريته التعليم بما يتوافق مع ظروف الزمان والمكان .

## أولاً : دعوة للتغيير والتجديد ... ولكن :

دعا وزير التربية فى الولايات المتحدة الأمريكية « تيريل بل Terrel Bell » إلى تشكيل لجنة من ثمانية عشر عضواً فى أغسطس ١٩٨١، لدراسة وسائل تحقيق التفوق والسبق فى التعليم بالولايات المتحدة الأمريكية، ولقد أصدرت تلك اللجنة فى عام ١٩٧٣ تقريرها الشهير « أمة معرضة للخطر »<sup>(١)</sup>، الذى أثار وقتها ومازال يثير حتى وقتنا الحالى حركة متنامية من الحوار حول قوة التربية ودورها فى بناء الإنسان الأمريكى .

لقد أشار ذلك التقرير إلى أن العديد من الأمور المهمة التى ينبغى أن يتحمل مسؤوليتها التعليم لم تتحقق فى ظل النظام التعليمى المعمول به آنذاك فى الولايات المتحدة الأمريكية، أيضاً نوه التقرير ولفت الأنظار إلى الأمور التالية:

• التاريخ لا ولن يرحم الكسالى أو المتقاعسين .

• تمتد المنافسة الآن إلى ميدان الأفكار والمشاريع البحثية العلمية، وذلك بجانب المنافسة فى مجالى الاقتصاد والتجارة .

- \* تتمثل الخانات الجديدة للتجارة الدولية في الأمور المرتبطة بشتى جوانب المعرفة والتعلم والمعلومات والذكاء .
- \* لاكتسب الأمة قوتها بامتلاكها آليات الصناعة والتجارة وحدهما؛ وإنما ينبغي أن تسند وتساند هذه الآليات قوى معنوية (روحية وفكرية) كى تصل الأمة إلى ذروة قوتها .
- كذلك أظهر التقرير بعض نواحي القصور فى التعليم، لعل أهمها ما يلى :
- \* وسط الثورة العلمية الحالية فى أمريكا يتم حالياً تربية جيل من الأمريكين يعد أمياً من الناحية العلمية والتكنولوجية (بول هرد Paul Hard) .
- \* ازدياد اتساع الهوة بين صفوفه محدودة العدد من العلميين والتكنولوجيين من ناحية، وبين جمهور المواطنين الذين هم على غير معرفة بالقضايا التى تحتوى على جانب علمى من ناحية أخرى (جون سلوتر John Slaughter) .
- \* تأكيد المدارس على مبادئ كالقراءة والكتابة ومهارات العد على حساب مهارات أخرى لانقل شأناً عن المهارات السابقة، كالفهم، والتحليل، وحل المشكلات، والتوصل إلى استنتاجات .
- \* التأكيد على الجوانب التكنولوجية والمهارات المتعلقة بالعمل على حساب وقت دراسة الفنون والإنسانيات .
- \* لأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، تصبح المهارات التعليمية لجيل من الاجيال لاتفوق بل لا تساوى، ولا تقترب من مهارات آباءهم (بول كوبرمان Paul Copperman) .
- أيضاً طرح الرئيس (بوش) فى ١٨/٤/١٩٩١ إستراتيجية للتعليم، ضمن مشروعه القومى تحت شعار «أمريكا عام ٢٠٠٠» ولقد أوضح (بوش) أن التحسين الحقيقى فى التعليم الأمريكى لن يتحقق دون حدوث ثورة فى المناهج وطرق تدريسها، ودون تغيير كامل لنظام التعليم، لذا تضمنت الإستراتيجية المقترحة الأهداف التالية<sup>(٢)</sup> :
- \* العمل على تنمية الاستعداد عند الأطفال الأمريكين للتعلم عند سن الإلزام .
- \* أن يكمل ٩٠٪ من الطلاب المرحلة الثانوية .
- \* أن يتم انتقال الطالب من مرحلة لأخرى بعد التأكد عن طريق الاختبارات من أنه قد تمكن بكفاءة من العلوم الأساسية، مثل : اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم والتاريخ والجغرافيا، وعلى كل مسؤل أن يعمل على تنمية ملكة التفكير عند الطالب ليصبح عضواً، مسؤلاً بالمجتمع ومستعداً لتلقى التعليم والعمل المنتج بعد ذلك فى ظل الاقتصاد الحديث .

- \* أن يحتل الطالب الأمريكي المكانة الأولى في العالم في مادتي العلوم والرياضيات .
- \* أن يتمكن كل أمريكي من المعرفة والمهارات اللازمة للتنافس الاقتصادي على مستوى العالم، ولممارسة حقوقه ومسئولياته كمواطن أمريكي .
- \* أن تلتزم كل مدرسة بتوفير البيئة الملائمة للتعليم والقضاء على ظاهرة العنف وانتشار المخدرات بين الطلاب .
- كذلك قال « كلينتون » و« جورج » في برنامجهما الانتخابي لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٩١ عندما تحدثا عن إستراتيجية لتغيير أمريكا « أنه ينبغي أن تكون الأولوية للناس »، وقد عبرا عن ذلك على النحو التالي :
- « في غضون عقد الثمانينيات خانت حكومتنا القيم التي تجعل أمريكا عظيمة : إتاحة الفرصة، وتحمل المسؤولية، وإثابة العمل، وفي حين أصبح الغنى أكثر ثراءً، فقد قاست الطبقة المتوسطة المنسية -الناس الذين يكادون ويلتزمون بالأصول - الأمرين<sup>(٢٣)</sup> .
- وقد حددا إستراتيجية لتحقيق الهدف السابق تشمل ضمن ما تشمل دعم التعليم المستمر طوال العمر بالجمع ما بين الآباء والأطفال، وتحسين المدارس، وتدريب خريجي المدارس الثانوية، وتزويد كل أمريكي بالفرصة لاقتراض المال من أجل الالتحاق بالجامعة، وذلك عن طريق القيام بثورة في التعليم تستند على الدعائم والأسس التالية<sup>(٢٤)</sup> :
- \* بعد التعليم اليوم أكثر من مجرد مفتاح لترقى سلم الفرص الوظيفية، إذ بات أمراً حتماً للإنسان في ظل نظام الاقتصاد العالمي الحالي .
- \* تفشل الحكومة في تحقيق إستراتيجياتها القومية عندما تعجز المدرسة عن تحقيق الخطط والأهداف التربوية المرسومة لها .
- \* ينبغي أن يواكب ما يدفعه الناس من ضرائب اهتماماً مناظراً بالنسبة لما بهمهم بالدرجة الأولى، ألا وهو تعليم أطفالهم .
- \* يذهب الملايين من الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية إلى المدارس وهم غير مهتمين للتعلم؛ لذا ينبغي إعطاء الأطفال الذين يعانون من عوائق الفرصة للتقدم إلى الأمام، كما ينبغي إعطاء المراهقين الذين هجروا المدرسة فرصة ثانية لإكمال تعليمهم عن طريق الاهتمام بأمورهم وتنمية الانضباط الذاتي والمهارات لديهم .
- \* ينبغي التفكير في طرق مبتكرة للجمع بين الوالدين والأطفال عن طريق الخطط التي تسهم في إكسابهم المعارف التي يحتاجون إليها لمساعدة أطفالهم على دخول المدارس، وهم مهتمون للتعلم .

\* ينبغي أن تتوافر لكل طفل فرصة للحصول على تعليم عالي المستوى بوضع معايير صارمة ونظم حازمة للاختبارات القومية في المواضيع الأساسية مثل الرياضيات والعلوم.

إن رؤية "كلهنتون" في دعوة التغيير والتجديد لإصلاح حال التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، لها دعوة مهمة وواعدة، وتصلح للتطبيق في الدول المتقدمة والنامية على السواء، بشرط مراعاة ظروف هذه الدول الأيديولوجية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

أيضاً يدق حديث "كلهنتون" أجراس الخطر، إذ يحذر من مغبة السقوط في هاوية عدم الاهتمام بالمواضيع والمواقع الأساسية من الجوانب المعرفية التي تعكسها المقررات والمناهج التي تقدمها المدرسة.

ويجدر الإشارة إلى أننا قد نجد من يزعم بأن الحديث آف الذكر - بدءاً بتقرير أمة معرضة للخطر ونهاية بالإستراتيجية التي قدمها "كلهنتون" و"جور" - وليد ظروف المجتمع الأمريكي التي قد تختلف كثيراً عن ظروف مجتمعنا.

ويتمثل الرد على الزعم السابق في أنه إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تحاول - وهي رائدة المجال المجال التربوي - تدارك عواقب الأخطار التي قد تهدد مسار التعليم فيها، وتعمل جاهدة لتفادي مواقع الخلل في بعض جوانب العملية التربوية، فيجدر بنا النهوض سريعاً كي نصلح حال التعليم في بلادنا، وبخاصة أنه الطريق الأمثل والأكثر فعالية في سبيل بناء الإنسان المصري من جديد بما يتوافق مع ظروف العصر.

دعنا نكون صرحاء مع أنفسنا ونقول: إن الأضرار قد أصابت مواقع عديدة من نظامنا التعليمي؛ لذا بات إصلاح حال التعليم في مصر وجميع البلدان العربية على السواء، رهنا بالجهود العظيمة التي ينبغي بذلها في سبيل إعادة بناء هيكله وتعديل نظمه من جديد بما يسهم في تحقيق الأهداف المنشودة منه، وبما يجعله يساير ظروف الزمان والمكان.

ولكن :

**ما إمكانية تحقيق الدعوة الخاصة بالتغيير والتجديد في نظامنا التربوي؟**

لا يمكن تحقيق عملية التغيير والتجديد في أى نظام تربوي خلال فترات زمنية متقاربة، حتى لو كانت الحجة في ذلك محاولة عصرنه ذلك النظام، أيضاً قد تجد عملية التغيير والتجديد في النظم التربوية من يعارضها بشدة، على أساس أن التضحية بما ثبت نفعه وصلاحيته ببديل جديد غير مضمون العواقب أو لم تظهر أبعاده بعد - يعد أمراً غير مرغوب فيه.

إذن القضية لها جانبان: أولهما - الثبات غير مرغوب فيه وينبغي التغيير لمواكبة العصر، وثانيهما - أن التغيير والتجديد المنشودين قد لا يكونان مضمونى العواقب؛ لذا نجد من يتمسك بالقديم ولا يحاول أن يظل على الأحداث أتى تجرئ من حوله.

ناسياً على ما تقدم يمكن الزعم أن عملية التغيير والتجديد فى نظامنا التربوى لهى عملية صعبة وشاقة من الناحيتين التخطيطية والتنظيمية، وتتطلب إمكانات مادية وبشرية هائلة فيما يخص النواحي التنفيذية والتطبيقية لها، وبخاصة إذا نظرنا إلى نظامنا التربوى كمنظومة لها مدخلاتها ومخرجاتها بحيث تؤثر وتتأثر ببقية المنظومات.

## ثانياً: موقع قضية منظومة التربية من مشكلة الثبات والتغيير:

يمش الإنسان هذا الزمان فى عالم:

- \* تنتشر فيه المشكلات المعنوية بسبب التفرقة وعدم المساواة.
- \* تتزايد فيه الفوارق المادية المذهلة والخيافة بين الأفراد والدول على السواء.
- \* تتعاظم فيه الكثير من أوجه الخلاف، والقليل من أوجه الشبه فى النواحي العقائدية والأيدولوجية.
- \* تتفشى فيه الصراعات التى تهدد بقاء الإنسان بسبب الحروب.
- \* تطغى فيه قوة المنظمات الدولية، وتقل فيه قوة الإنسان.
- \* تتآكل فيه القيم والمعايير القديمة قبل أن تظهر قيم ومعايير مناسبة لتحل محلها.
- \* تنوارى فيه العديد من القيم والمبادئ، وتحتجب فيه الكثير من المثل والأخلاق.
- \* تعيد فيه العديد من الدول حساباتها من جديد فى ظل النظام العالمى الجديد لتقييم توازنات فى علاقاتها بالنسبة للغرب والشرق.
- \* يتلوث فيه الهواء والماء بسبب التكنولوجيا التى صنعها الإنسان.
- \* تقسو فيه الطبيعة على الإنسان بارتفاع معدل الكوارث الناتجة عن السيول والأعاصير والزلازل والبراكين، والغازات السامة التى تخرج من جوف الأرض.
- \* تشتد فيه ضراوة بعض الأمراض المستعصية الفتاكة (السرطانات - الإيدز - الفشيولا - السارس - انفلونزا الفراخ - جنون البقر) بسبب عجز الأطباء والعلماء عن إيجاد وسائل وأساليب العلاج الفعالة المناسبة لها.

لذا يعيش الإنسان الآن فى توتر وقلق لشعوره بأن أمنه وسلامه مهددان بفعل الظروف الخارجة التى تحدث من حوله، كما أنه يصاب بالهلع والفرع والرعب إذا فكر فى مستقبله المجهول الهوية بسبب ما قد تحمله الأيام له من مفاجآت غير متوقعة أو غير مأخوذة فى الحسبان.

ولقد ترتب على ما تقدم ظهور تيارات قوية متطرفة أو تجمعات ساذجة محدودة الثقافة تدعو الناس إلى ردة فكرية، وتطلب منهم التفهقر إلى الخلف للعيش في عصور الظلام، ومفاد هذه الدعوة ضرورة التخلص من إنجازات التكنولوجيا؛ لأنها كانت السبب في حدوث الكوارث التي يعاني منها العالم الآن، سواء تحقق ذلك بطريقة مباشرة أم بطريقة غير مباشرة.

وفي المقابل، نجد المتفائلين يدافعون بشدة واستماتة عن التكنولوجيا بسبب ما قدمته من خير ورفاهية على المستوى القومي لدول العالم، وبسبب إنجازاتها الرائعة والهائلة التي وفرت للإنسان حرية حركته ودفعته خطوات وخطوات للأمام في سبيل رفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي والمهني.

لقد أصبحنا الآن أمام فريقين: أولهما - يحاول جرننا للخلف كي نتفوق على ذاتنا وننام في سبات عميق كأهل الكهف بحجة المحافظة على التراث ونبذ التكنولوجيا بكل ما أفرزته من أدوات عظيمة أسهمت في تطوير شتى مظاهر الحياة من حولنا. أما الفريق الثاني - فيحاول أن يجعلنا نعيش العصر ويهيئونا لمقابلة الظروف والأحداث التي تمر بنا، وبذا نظل على العالم الخارجي ونتفاعل مع الأعمال العظيمة التي تحمقت نتيجة للتقدم التكنولوجي الذي شهدته البشرية خلال الأربعين سنة الأخيرة من القرن العشرين.

إذاً لانغالي مطلقاً إذا قلنا: إن قضية "الأصالة والمعاصرة" باتت موضوع الساعة الآن نظراً لتأثيراتها المباشرة والخطيرة بالنسبة للعديد من القرارات المصيرية في حياتنا. ولكن:

ما موقع قضية "الأصالة والمعاصرة" من الفكر التربوي؟ وما أثرها على القرارات الصعبة ذات التأثير المباشر على نظامنا التعليمي؟

لقد فرضت هذه القضية نفسها على تفكير التربويين؛ لذا كانت محل مناقشات ومجادلات فيما بينهم، لذا لا تحتل هذه القضية موقعاً متميزاً في البحوث المقدمة في المؤتمرات التربوية فقط، بل كانت من المبررات المهمة والملحة وراء عقد العديد من تلك المؤتمرات.

من المنطق السابق، يتم مناقشة قضية "الأصالة والمعاصرة" من منظور تأثيرها المباشر على نظام التعليم، وفي هذا الصدد نقول:

إن مشكلة الشيات والتغير بالنسبة للنظم التعليمية والتربوية لها مشكلة شائكة لارتباط هذه النظم بالعديد من المتغيرات، وتأثيرها وتأثرها بالكثير من العوامل، وذلك مثل: طبيعة المتعلمين ومطالب تآمهم، والظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة، والأيديولوجيات والفلسفات والثقافات المعمول بها، من هنا فإننا لا يمكننا إغفال أو تجاهل هذه المشكلة، إذ تعد من المؤثرات القوية على هوية التعليم وكيونته<sup>(٥)</sup>.

ومن زاوية أخرى يرجع السبب في كون قضية الأصالة والمعاصرة قضية خطيرة وملحة في الوقت ذاته، أن الناس في أى مجتمع من المجتمعات يؤمنون بشدة في قوة التعليم وتأثيره في حل العديد من مشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية، ويبتغون الكثير جداً من إسهامات التربية في إيجاد حلول ناجحة للعديد من الصعوبات الحياتية التي قد تقابلهم<sup>(١)</sup>.

وحيث إن المدرسة مؤسسة اجتماعية، فإن التوتر والبلبلة اللذين يسودان جميع جنبات العالم الآن، والقلق الذي قد يعلو وجوه الناس بسبب ظروفهم الخاصة التي قد تعود إلى عدم وجود تمهيد دقيق لأبعاد قضية "الأصالة والمعاصرة"، كذا عدم وجود رأى قاطع بالنسبة للتوجهات التي ينبغي الانصياع لها في هذا الشأن - لسوف يؤثر على خطة سير العمل بالمدرسة، وعلى نوعية المقررات والمناهج التي تقدمها.

والحقيقة إن قضية الثبات والتغير لم تحسم بعد على مستوى الحياة اليومية العادية، وبالتالي فإنها لم تحسم على مستوى المدرسة؛ لذا لا توجد حتى الآن إجابات واضحة ومقنعة على مثل التساؤلات التالية:

أين نبحث عن حلول لمشكلات نظامنا التربوي؟ أتبحث عنها في الكتب (التراث) أم نبحث عنها في عناصره الفعلية الواقعة أمام أبصارنا (المعاصرة)؟

وهنا تظهر الحيرة والربكة؛ لأنه إذا اخترنا التراث لتوثيق الروابط بيننا وبين أصولنا انهمنا بالتخلف، وبأننا نهمل الواقع وكأنه لم يقع، وإذا اخترنا المعاصرة سوف تكال لنا الإتهامات أيضاً على أساس أننا ننسى أو نتناسى جذورنا، وسوف يقال لنا: أين هي (هويتكم) القومية إذا تفككت العرى بين اليوم والأمس؟ وماذا يبقى لكم إذن إذا قطعتم الجذور وشائج النسب بينكم وبين تراثكم؟

إننا اليوم مطالبون بتحقيق أمرين في وقت واحد :

**أولهما :** أن يكون في حياتنا امتداد تربوي ثابت لجذور تراثنا .

**وثانيهما :** أن نعطي لجديد عصرنا من التعليم حقه الكامل من الإهتمام .

وقد يبدو تحقيق ما تقدم بسيطاً سهلاً لغير التربويين ولغير المتخصصين، إذ قد يعتقدون أنه يمكن إزالة أو رفع أية عقبات على الطريق بالنسبة لهذا الموضوع، عن طريق أو من خلال الموازنة بين الجديد والقديم فيما تقدمه المدرسة من تعليم ومناهج تربوية. ولكن التربويين من ذوى الفكر الثاقب والرؤى واضحة المعالم - سوف يدركون أن المشكلة أخطر من ذلك بكثير، وبخاصة إذا تطلب الأمر أن نعطي لجديد عصرنا حقه الكامل من الإهتمام حتى ولو أدى ذلك إلى تمزيق الروابط بيننا وبين أسلافنا، وذلك على أساس أنهم عاشوا حياتهم، ومن حقنا كذلك أن نعيش نحن - أيضاً - حياتنا، وفي هذه الحالة تقف المدرسة عاجزة

تماماً، وذلك لأن اقتلاع الجذور من التعليم الذي تقدمه المدرسة بات أمراً في حكم المستحيل؛ ويصعب تحقيقه، وحتى لو فرضنا أنه يمكن تحقيق ذلك فهل تستطيع المدرسة أن تواكب تماماً الحياة المعاصرة، بحيث تقدم تعليماً جديداً يناسب روح العصر ويعكس آخر ما أفرزه وأجاد به العلم؟

لقد ظهرت ثلاثة اتجاهات بالنسبة لمشكلة "الثبات والتغير" وهي (٧):

\* إن عنصر الثبات جوهر يتعذر على العقل أن يتصور إمكان زواله؛ لأنه لولا ذلك الثبات ما استقرت الأمور البتة، وفي هذه الحالة يكون التغير مناقضاً للعقل ويكون بمثابة وهم تنوهمه الحواس في إدراكها الأشياء.

\* التغير هو الحقيقة التي لأحقيقة سواها، فما الشيء من الأشياء إلا سلسلة طويلة من حالات يعقب بعضها بعضاً، وفي هذه الحالة يكون الثبات معناه الجمود الذي قد يصل إلى حد الموت.

\* إن "الثبات" و"التغير" ينبغى أن يسيرا معاً جنباً إلى جنب حيث يكون الثبات من شأن "المبادئ" أو "الأطر"، وأما التغير فهو من شأن الحالات التفصيلية التي تندرج تحت تلك المبادئ أو التي تملأ تلك الأطر، فالبدء أو الإطار: تصور عقلي ذو ثبات؛ ولكنه في ذات الوقت حقيقة مفرغة من تفصيلات الحياة، ثم تأتي حياة الناس العملية بما يملؤها من أحداث، فنقيّمها - ارتفاعاً أو انخفاضاً - بذلك المعيار الرياضي المفرغ وهو "المبادئ" أو "الأطر" أو "الأنماط"؛ وعليه فالثبات بيننا وبين أسلافنا هو تلك المبادئ، والتغير هو تفصيلات المواقف والأحداث التي تملؤها.

ولعل الاتجاه الأخير هو أقرب تلك الاتجاهات بالنسبة لقضية "الأصالة والمعاصرة" في منظومة التربية، إذ ينبغى أن يعكس المنهج التراث بشرط ألا يقتصر الأمر على ترديد أقوال السالفين الماثورة فقط دون أن يغير ذلك شيئاً من سلوك التلاميذ، بمعنى أنه لا يجب أن يكون الأمر مجرد تسميع لمبادئ السلف، سواء أكان ذلك كتابة أم خطابة أو إذاعة، دون أن يكون لتلك المبادئ دورها المؤثر في حياة التلاميذ وطريقة تفكيرهم.

ومن ناحية أخرى ينبغى أيضاً أن تعكس منظومة التربية روح العصر بحيث نرى كل جديد من حولنا رؤية عصرية، تساعد على التقدم والتطور وعدم الجمود، فلا نتقف في أماكننا كالموميات صامتين، لا حياة فينا ولا روح.

إن ما تقدم بمثابة تربية جديدة، تقوم على سلوك تتجسد فيه تلك المبادئ المراد لها أن تكون موصولة بين الماضي والحاضر، ولتحقيق ماسبق يجب مراعاة المرتكزات الأساسية التالية عند تحديد هوية المنهج التربوي: (٨).

\* الثقافة بمعناها الذى يجعلها طابعاً يميز شعباً من سائر الشعوب هي ضرب من ضرب "الأدوات" التى يستعين بها الصانع فيما يصنعه، وعليه ينبغى أن تكون مناهجنا هي الأداة الأساسية التى من خلالها تظهر هويتنا المصرية وانتماؤنا العربى .

\* إن "الأفكار" التى تستحق اسمها هذا هي بمثابة أدوات عيش وأدوات عمل، حتى وإن لم يكن ذلك الجانب واضحاً فيها أمام العين، وعليه ينبغى أن يركز المنهج على الأفكار الحياتية التى يحتاج إليها الطالب فتكون بالنسبة له أسلوب معبئ ومنهج حياة، وبمعنى آخر ينبغى ألا يهتم المنهج بالأفكار لمجرد أنها مجموعة من العبارات التى تقدم للطلاب كى يحفظوها، ويستظهروا ألفاظها، وبذا تكون من قبيل اللغو الفارغ؛ وإنما يجب أن يركز المنهج على تعليم الأفكار ذات المهام الوظيفية فى حياة الطلاب .

\* إن مقياس قبول "ثقافة" شعب ما أو تعديلها حذف وإضافة هو صلاحيتها لأن تجعل ذلك الشعب أقوى وأعلم وأغنى وأرهم شعوراً. وإذا أخذنا فى الاعتبار أن المنهج هو الوسيلة الرئيسة لتحقيق أهداف المدرسة، وأن المدرسة هي إحدى مؤسسات المجتمع التى يربعاها مهما كان النظام السائد فيه أو مهما كانت فلسفته لأدراكنا بسهولة أن المنهج هو المرأة التى تعكس الثقافة السائدة فى أى مجتمع من المجتمعات . وعلينا - إذن - كى نكون بالفعل أقوى وأعلم وأغنى وأرهم شعوراً أن نسعى جادين لعصرنة المنهج؛ لأنه وسيلتنا الأساسية لتغيير حياتنا بالفعل نحو ثقافة جديدة تتناسب مع مقتضيات عصرنا الجديد .

فى ضوء الحديث آنف الذكر تكون قضية عصرنة منظومة التربية هي القضية التى ينبغى أن تشغل بالنا، وتحتل الحيز الأعظم من تفكيرنا، ويستوجب ذلك إجابة السؤال المحدد التالى :

#### ما المقصود بالمعاصرة؟

كى نفهم ما تعنى لفظة "المعاصرة" ينبغى التعرض للآتى :

أصبح عالم السنوات الأخيرة من القرن العشرين، عالم جد وعمل دائم وسريع التطور والتغيير والتبديل فى أساليب الحياة ونظمها؛ لذا لم يعد الفرد يعمل طوال عمره فى حياة رتيبة، بحيث يقضى عشرات السنين من حياته العملية بطرق ضراً لتبديل فيها أو تعديل . لقد تغيرت الآن الأنماط والأساليب الحياتية، وسوف يستمر تغييرها عدة مرات فى أثناء حياة الفرد العصرى؛ ونتيجة لذلك أصبح العامل والفلاح وكل من يعمل فى الإنتاج أو فى الخدمات يحتاج إلى مستوى راق من المعرفة ومن التأهيل للعمل . إن الإنسان المعاصر يقف الآن على أبواب مستقبل يرحى أن يكون مأموناً، وبخاصة أن التغييرات السريعة التى تحدث الآن على مدى حياة جيل واحد فى العصر الحديث الذى يتسم بما

يسمونه "الثورة العلمية التقنية"، هي أكثر بكثير عما كان يحدث على مدار ألف سنة مضت. إن الإنسان المعاصر وهو يتطلع إلى مستقبل سعيد - يحاول باستمرار حل ما قد يعترضه من مشاكل، ويعمل لدرء ما يتوقع من أخطاء، وذلك عن طريق رسم الخطط الملائمة لذلك المستقبل، وعن طريق تنسيق الجهود البشرية على المستويين: المحلي والعالمي باستخدام الأسلوب العلمي في التفكير، والتطبيق العملي للتكنولوجيا الحديثة.

وجدير بالذكر أن هناك عدة موضوعات مهمة تستحق الدراسة والاهتمام بها منذ الآن لمعرفة صورة ذلك المستقبل الذي يتطلع إليه الإنسان، ولعل أهم هذه الموضوعات: الإنسان والطاقة، الإنتاج في القرن الحادي والعشرين، مستقبل كل من المواد الخام ومصنوعاتها (منتجاتها)، تطور وسائل النقل والمواصلات واختزان المعلومات، تلوث البيئة ومهارات المحافظة على البقاء.

إذا يقتضى تفاعل الإنسان العصري مع الطبيعة حدوث ثورة التصنيع التي تعتمد بالدرجة الأولى على الطاقة النووية والطاقة الشمسية مع الأخذ في الاعتبار علاقة الطاقة بإنتاج الطعام. ويعتمد الإنسان المعاصر في سبيله لمواجهة المستقبل على رفع الكفاية الإنتاجية، وتنشيط الإبداع والاختراع وتعميم استخدام العلم عن طريق الإنتاج والإدارة، ولتحقيق ما تقدم ينبغي إرساء قواعد النهضة العلمية التكنولوجية بالتركيز على التعليم وتطوير العلم وتطبيقه، وتحسين طرق الإدارة الإنتاجية العلمية برفع مستوى المعلومات في فنون الإنتاج، وفي تدريب العاملين، وتأهيلهم للأعمال التي سيقومون بها في مختلف (المجالات) (١).

في ضوء الحديث آنف الذكر يكون المقصود بالمعاصرة أن يعيش الفرد على مستوى ظروف عصره، مادامت هذه الظروف لا تتعارض مع قيمه وأخلاقه ومبادئه ومثله المنبثقة جميعاً من القيم والمبادئ السماوية، وبذا لا يتهم الفرد بالتخلف أو الجمود أو الرجعية. ولا يقف الأمر عند هذا الحد وإنما يتعدى ذلك بالنظر إلى المستقبل، فيعمل الفرد على التخطيط لذلك المستقبل تخطيطاً علمياً، وبذلك يستطيع الفرد أن يعايش هذا المستقبل مهما كان يحمل له من مفاجآت أو أمور غير متوقعة.

والآن :

### ما المقصود بالمعاصرة في المنهج التربوي ؟

يمكن القول: إن المقصود في هذه الحالة أن يكون المنهج -من حيث أهدافه وموضوعاته وطرق تعليمه وأساليبه تقويمه- مناسباً لظروف العصر، أى ينبغي أن يتوافق المنهج مع ظروف الزمان والمكان معاً. ويتطلب ذلك التخطيط على المستويين: القصير الأمد، والطويل الأمد، وبالنسبة للتخطيط القصير الأمد: فذلك كى يواجه المنهج متطلبات المتعلمين الحالية التى قد تصادفهم فى حياتهم اليومية. وبالنسبة للتخطيط طويل المدى: فذلك بهدف التطلع إلى مشارف المستقبل، ومواجهته بأسلوب علمي خالص.

وبعامة يفقد أى نظام تربوى تعليمى تعلمى قدرته على الرؤية الواضحة لذاته، إذا تمسك بالممارسات العرفية مجرد أنها تقليدية أو يزعم أنها تراثية. أيضاً، عندما يرفع أى نظام تعليمى الثقافة الشعبية إلى مرتبة العلم، أو عندما يقدم القصور الذاتى كبديل للمبادئ الأولية، فإنه بذلك يكون وبالاً وكارثة على التربية، ويحكم على مستوى التعليم بالتدنى والتقهقر والعودة إلى عصور التخلف والظلام.

إذا ينبغي عند بناء المنهج التربوى عدم التمسك بالممارسات العرفية أو الثقافية الشعبية لمجرد كونها أموراً تقليدية أو تراثية فقط، دون أن يكون لها أية فوائد تذكر بالنسبة للمتعلم، أو دون أن تكون مناسبة لطبيعة المكان وظروف الزمان، إذ أن الإصرار على تضمين هذه الأمور ضمن موضوعات المنهج أو محتوياته -لن يحقق أبداً فكرة «عصرنة المنهج»، وإنما يصيبه بالجمود والتخلف.

ولكن:

**ما موقف التراث (الأصالة) من قضية عصرنة المنهج؟**

إذا كان بناء المنهج يتطلب الأخذ بكل الاتجاهات والتيارات الجديدة، فإن ذلك لا يعنى بأى حال من الأحوال إهمال التراث أو إلقائه خلف ظهورنا؛ لأنه دون الأصالة لا يمكن للمعاصرة أن تقوم لها قائمة.

### **ثالثاً: حدود أزمة منظومة التربية وتأثيراتها السلبية على المناهج التربوية:**

كما قلنا من قبل، فإننا نؤكد - مرة أخرى- على أن المستقبل آت آت، وعلينا أن نستقبله ونحن مستعدون تماماً، وبخاصة أن التاريخ لا يرحم الكسالى والمتعاسين.

ومن ناحية أخرى جاءت فكرة التطور لتفرض نفسها على هذا العصر، وأصبحت سيادتها تتحكم فى تشكيل رؤيتنا للموضوعات المهمة التى ينبغى البحث والنظر فيها، وأوضحت لنا أنه لا يوجد شيء له صفة الثبات.

من المنطلق السابق تستوجب رؤية عصرنا أن يكون اتجاه سيرنا لتطوير التعليم نحو المستقبل دون الاكتفاف للماضى بحجة تقدير مواقع لأقدامنا، إذ أن هذه الحججة قد تجعلنا نتمسك بأهداب الماضى تحت شعار تواصل الأجيال، وما يؤكد أهمية النظر نحو المستقبل أن التغيير هو الحقيقة الباقية، ولا توجد حقيقة سواها.

ولكننا قد نعجز عن تحقيق ما تقدم بسبب بعض المعوقات التى قد تقف كعقبة كؤود تحول دون انطلاقنا نحو تطوير التعليم وتحديثه.

ومن أهم هذه المعوقات نذكر الآتى:

( ١ ) التعليم له دوره التنموى المستقبلى فى مجالات الصناعة والزراعة والتجارة، فما إمكانية اتفاق العاملين فى هذه المجالات فى تحديد احتياجاتهم المستقبلية المطلوبة من التعليم؟

( ٢ ) التعليم له جانبه السياسى، فكيف يمكن التوفيق بين التيارات والاتجاهات السياسية المختلفة فى تحديد توجهات مستقبلية للتعليم؟

( ٣ ) التعليم له جانبه المادى البحث، وهذا الجانب سوف يفرض نفسه على الساحة وتزداد حدته وفعاليته فى آن واحد فى المستقبل، فما السبيل للحصول على التأييد الدينى لهذا الجانب؟

( ٤ ) التعليم له أهدافه الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، فإن كان من الصعب التركيز على جميع هذه الجوانب فى المستقبل لآى سبب من الأسباب، فما الجانب الأكثر أهمية الذى ينبغى النظر إليه بعين الاعتبار؟

( ٥ ) التعليم يتأثر ويؤثر فى الأنظمة الثقافية: القومية والعالمية على السواء، فكيف يمكن المحافظة على هويتنا القومية والاستفادة فى الوقت ذاته بالأنظمة الثقافية الوافدة مهما كانت أيديولوجياتها؟

( ٦ ) التعليم بوضعه الحالى يحتاج إلى إمكانات مادية ضخمة، وسوف ترتفع تكلفته كثيراً جداً فى المستقبل، فكيف يمكن توفير هذه الإمكانيات؟

( ٧ ) التعليم يهتم أولاً وأخيراً بالإنسان، فكيف يمكن إعداد وتجهيز الكوادر المثالية من ذوى العقول القوية والدولية الذين يستطيعون تحقيق ذلك الهدف فى المستقبل؟

للاسباب السابقة لانغالى مطلقاً إذا قلنا: إن مدارسنا تمنى بالفشل يوماً بعد يوم فى وضع الخطة التعليمية الجديدة التى تصلح للتعامل مع عالمنا المعاصر، إذ لا تزال المدرسة تمارس التعليم على أسس لا تختلف كثيراً عما كانت عليه الأمور عندما عرفت المدرسة لأول مرة. إنه لشيء مؤلم ومؤسف أن نرى مدارسنا واقفة مكانها لاتستطيع أن تتقدم، كما ينبغى لتؤدى الدور الواجب أن تؤديه كرائدة للتغيير والتجديد.

أيضاً بالرغم من استخدام التكنولوجيا الآن فى شتى المجالات والميادين، فإن المدرسة فى وضعها الراهن تبدو عاجزة غير قادرة على مواكبة ركب التطور.

وعليه لن يجانبنا الصواب كثيراً إذا زعمنا أن أزمة التعليم باتت أزمة عالمية حقيقية وغير مفتعلة، ولاتقتصر على دولة ما دون بقية الدول، وتعود هذه الأزمة بالدرجة الأولى إلى عدم ملاحقة الأنظمة التعليمية للأحداث التى تجرى من حولها وظهرت كأنها ثورات متلاحقة ومتزامنة فى شتى المناحي، سواء أكانت علمية أو اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية، بينما الأنظمة التعليمية تقف فى محلها ساكنة أو تتقدم ببطء شديد فى

أحسن الأحوال، ولقد ترتب على ذلك الوضع مجموعة من التفاوتات، لعل أهمها مايلي (١٠):

\* التباعد المتزايد بين مضمون التعليم ومحتواه بالنسبة للتقدم العلمي وللحاجات التعليمية الواقعية للطلاب.

\* سوء التوافق بين التربية وحاجات التنمية لدى المجتمعات.

\* وجود خلل ما بين التعليم وما يتطلبه سوق العمالة.

\* النقص الخطير في تكافؤ الفرص التعليمية بين الطبقات الاجتماعية المختلفة.

\* وجود فجوة متزايدة بين نفقات التعليم التي ترتفع سنوياً بمعدلات كبيرة، وبين حجم الإنفاق الحقيقي والفعلى على التعليم.

وتعود التفاوتات السابقة إلى الأسباب التالية:

\* الإقبال الهائل على التعليم أدى إلى التوسع فى الأنظمة التعليمية الخاطئة التي اهتمت بالكسب على جانب الكيف الذاتى الكامن فى هذه الأنظمة.

\* النقص الحاد فى الموارد المادية وفى الكوادر البشرية المؤهلة (أحياناً).

\* قوة تأثير بعض العادات والاتجاهات والأعراف فى بعض المجتمعات.

وكنيجة لما تقدم حدث أزمة ثقة فى التعليم نفسه، وبالرغم من ذلك ينبغى الانشءام وأن نسلم بأن الدمار والحزب قد لحق بالتعليم، ويكفى التربويون فخراً ما حققته التربية من إنجازات عظيمة الشأن على مستوى العالم خلال القرن العشرين، رغم الصعوبات والمشكلات العديدة التي صادفتهم.

ومن أهم إنجازات التربية ما طرأ من تغيير شامل على تعريف التعليم نفسه، فلم يمد تعريف التعليم مساوياً للمدرسة **Schooling**، وهو الانتماء لنظام التعليم الرسمى المألوف خلال سنوات الدراسة فى المدرسة بالتعليم قبل الجامعى؛ وإنما أصبح التعليم مساوياً للتعلم منذ أوائل سبعينيات القرن العشرين، وذلك بصرف النظر عن المكان والكيفية والسن الذى يحدث فيه التعلم، وبذا يمكن النظر إلى التعليم كعملية تستغرق العمر كله، فتستوعب بذلك حياة الإنسان من مهده إلى لحده.

إن المفهوم الموسع للتعليم يتدارك العيوب الكامنة فى التعليم النظامى، ويعترف بأهمية النظر إلى التعليم على أنه عملية تستغرق العمر كله، وعليه لا تتمثل المهمة الرئيسة للمدرسة النظامية فقط فى مواجهة نوعيات خاصة من الحاجات التعليمية المهمة للأطفال والشباب خلال سنوات الدراسة، وإنما تعمل على تنمية التعليم عن طريق تحقيق البدأ التربوى «تعلم لتكون» **Learning To Be**، وبذا يمكن مقابلة ظروف عالمنا المعاصر سريع

التغيير الذى يتسم بحاجات تعليمية سريعة النمو والتبديل، كما يتصف أيضاً بمفارقات ضخمة وغير مقبولة.

لقد أصبحت نظم التعليم النظامى القائمة حالياً تتسم بالتقادم المتزايد، وبعدم ملاحقة التغييرات السريعة والتجديدات الضخمة فى شتى المجالات والميادين، كما أصبحت بعض نظم التعليم الوافدة أو المفروضة على بعض البلدان غير ملائمة فى ظل الثقافات القومية لتلك البلدان.

ومن هنا كان من الضرورى الانتباه إلى تدعيم أساليب التعليم الأخرى التى أصبحت تسمى بالتعليم اللانظامى أو التعليم غير الرسمى، ولقد فتحت الأساليب الجديدة آفاقاً عديدة وحديثة للأبحاث التربوية، وللمارسات التعليمية ولدور أكثر نفعاً وأهمية للتعليم فى التنمية القومية.

وتتمثل أبرز مظاهر أزمة التعليم فى عالمنا المعاصر فى الوعود القوية التى تعكسها أهداف التعليم والطموحات العظيمة المأمولة من عملية التعلم، إذ قد تكون هذه وتلك مجرد ادعاءات نغصها الأنظمة التعليمية على نفسها، ولا يتحقق منها الكثير داخل جدران المدرسة.

ومما يزيد صعوبة ما تقدم أن الأنظمة التعليمية فى سعيها المزعوم لتحقيق متطلبات التنمية القومية، قد تضيف أهدافاً جديدة دون أن تحذف من الأهداف القديمة شيئاً، وبذا توسعت دائرة اختصاصات المدرسة بدرجة لا تجعلها تعجز فقط عن تحقيق المهام المأمولة والطموحات التى تضعها الأنظمة التعليمية، بل قد يصل الأمر إلى فشل المدرسة بدرجة كبيرة فى القيام بالأعمال والوظائف التعليمية التقليدية، بسبب قلة الوقت وبعثرة الجهود.

والسؤال :

ما تأثيرات أزمة التعليم على المنهج التربوى؟

تتمثل أهم المردودات السلبية لأزمة التعليم على المنهج التربوى فى الآتى :

\* مهما كانت الجهود المبذولة فى إعداد المنهج وبنائه فإن محتوى المنهج ومضمونه لن يتناسب مع التقدم العلمى فى بنية العلم وأنظمته المتقدمة المتطورة.

\* تقتصر مهمة المنهج بوضعه الحالى -فى ظل أزمة التعليم- على تقديم نوعية بعينها من الحاجات التعليمية للتلاميذ التى قد لا تكون مناسبة للغد القريب، ومن الأجدر أن يهتم المنهج بتحقيق مبدأ « التربية مدى التعلم »، ليستطيع التلميذ أن يعلم نفسه بنفسه، ولكن إمكانات التعليم المتواضعة الحالية تحول دون تحقيق ذلك.

\* عندما يقف التعليم محله ساكناً، ولا يحاول أن يفتحه مُشكلات التي يروج بها المجتمع أو يقترَب منها، فإن ذلك يعنى ببساطة أن المنهج لا يسهم في أبحاث عن الحاجات الحياتية الواقعية للتلاميذ، وذلك يترتب عليه سلبيات خطيرة، من أهمها مايلي:

- عدم تنشئة التلاميذ التنشئة الاجتماعية المناسبة والمضوية.
- عدم تجهيز التلاميذ ليكونوا الكوادر التي تستطيع أن تتحمل مسؤوليات العمل القومي والسياسي في المستقبل.
- عدم إعداد التلاميذ إعداداً مهنيّاً يناسب الاحتياجات حقيقية لسوق العمالة.
- عدم تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية بدرجة واحدة أمام جميع التلاميذ، وربما تقتصر هذه الفرص أمام أبناء الأثرياء فقط، وبخاصة في التعليم الثانوي العام والتعليم الجامعي.
- عدم إحساس التلاميذ بالمشكلات الموجودة في المجتمع، قد يخلق طبقة أرسقراطية من بين التلاميذ لن تعنيهم من قريب أو بعيد هموم المجتمع وأوجاعه.
- عدم معرفة التلاميذ بأصول بعض المشكلات وأسبابها قد يسهم في ضياع بعض التلاميذ وابتعادهم عن الطريق الصحيح، أو في جعلهم ناقمين وحاقدين وكارهين لأنفسهم ولغيرهم.

\* إن أزمة التعليم لا بد وأن تنعكس بدرجة ما على المنهج، مهما كانت الجهود الصادقة في إعداده، وذلك يعنى تخريج نوعية غير مؤهلة التأهب العلمي اللازم الذي يحتاجه التلميذ لمواصلة دراسته العالية في الجامعة بتفوق ونجاح.

### رابعاً: تداعيات شائكة لمنظومة التربية فه وضغط الداله:

إن أي فرد يهتم بمنظومة التربية، ويتتبع حركتها ومسارها، ليقف على تداعياتها، يدرك وجود أزمة حقيقية تعاني منها منظومة التربية في جميع أركانها وجوانبها، وتقيداً بأغلال قوية تحول دون إنطلاقها كما ينبغي، أو كما هو مفروض، وبذلك تعجز عن تحقيق أهدافها المأمولة. وأزمة منظومة التربية لم تات من فراغ، وإنما تحققت وظهرت نتيجة مجموعة من الظروف الصعبة والاضغوط القاسية التي تتعرض لها، وذلك ما يوضحه الحديث التالي:

في هذا الصدد، علينا أن نقر أننا نعيش في عصر مازوم، وعلينا أن نتعايش معه بكل تداعياته وتناقضاته في سلام، كلما أمكننا ذلك. فالعالم من حولنا، يروج بإيجابيات وسلبيات في الوقت نفسه، بالنسبة لأية مشكلة أو قضية.

دعنا نأخذ مثالا يوضح ما نعنيه فيما تقدم:

تحدث الدولة المتقدمة عن حقوق الإنسان من منطلق أهمية الالتزام بها، فالدولة التي لا تطبق هذه الحقوق أو التي لا تعمل بمقتضاها، تكون ناشراً عن المجتمع الدولي، ويجب توقيع العقوبات الشديدة عليها. وعلى الرغم من ذلك، فإن غالبية تلك الدول تتشدد بأقوال طنانة، دون أن تفعل شيئاً لجعل أقوالها حقيقة واقعية، ولا تحاول ترجمتها في إجراءات عملية ملموسة من أجل خير الإنسان ورفاهيته وأمنه وأمانه، والأدهى من ذلك، ربما لا تحافظ تلك الدول ذاتها على حقوق مواطنيها، كما أنها تعمل جاهدة - في أحيان كثيرة - على إهدار وتدمير حقوق الإنسان في الدول النامية، بطرق وأساليب غير شرعية.

يعطينا المثال السابق مؤشراً عاماً للقضايا الشائكة التي يروج بها عصرنا. وهذا المثال واحد فقط من مئات الأمثلة التي يعاني منها إنسان هذا الزمان، الذي بات عليه أن يتحمل الآتاعب والأسقام والعلل، التي جعلته يعيش في حيرة وارتباك ويتساءل عن حقيقة وهوية وكيونونة الأحداث التي يشاهدها من حوله، على المستويين: المحلي والعالمي، على حد سواء. ولعل من الأسئلة المهمة التي يطرحها الإنسان على نفسه، وعلى الآخرين، تلك التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بمنظومة التربية، وخاصة بعد التراجع الرهيب للدوار المأمولة من التربية. فمنذ أكثر من قرنين من الزمان، قال (لنتقش): أعطوني التربية وأنا أغير وجه العالم، ولكن التربية الآن تقف عاجزة أمام الأحداث الجلل التي يمر بها العالم في وقتنا هذا، ولا تستطيع أن تقدم تصوراتها بالنسبة لتلك الأحداث، وقد لا تقدر أن تعاينها لتواكبها عن قرب بسبب الضغوط الرهيبية التي تتعرض لها منظومة التربية.

وإذا كان الحديث السابق قد أبرز حدود أزمة منظومة التربية مع الإشارة إلى تأثيراتها السلبية على المنهج التربوي، فإننا ننوه إلى أن القضية برمتها لا تقتصر فقط على المنهج التربوي، وإنما تمتد لتشمل جميع عناصر المنظومة التربوية، وذلك ما يوضحه الحديث التالي:

### (١) التعليم :

تعددت الكتابات التي تناولت موضوع التعليم، على أساس أن قضية التعليم باتت الشغل الشاغل لجميع الأفراد على جميع المستويات. وإذا كنا نذكر فيما يلي عناوين لبعض المقالات التي نشرت في جريدة الأهرام وتطرت لموضوع التعليم، فذلك أقل القليل مما يذكر، إذ تحتل قضية التعليم مساحة هائلة من الأعلام المقروء والمسموع معاً:

\* نشرت صفحة تحقيقات يوم السبت الموافق ٢١ يونيو ٢٠٠٣، المقالات التالية :

- سحر زهران : ٢٤ مليار جنيه دعماً مهدراً.

- سيد على : ترشيد المجانية.

- محمد هندی : التطبيق السيئ للدستور.

- سمير رياض هلال : التعليم الأهلي غير الهادف للربح.

- نادبة جمال الدين : وبقى التعليم هو خط الدفاع الأول لمصر (المقال الثاني نشر في ٢٠٠٣/٦/١٢).

- حامد عمار : كفاءة التعليم بين الماضي والحاضر والمستقبل (المقال الثاني نشر في ٢٠٠٣/٦/٤).

\* نشرت صفحة ثقافة موجز الدراسة التي قدمها ضياء الدين زاهر في (ندوة خبراء—حول دور الثقافة والتعليم في التنمية العربية)، التي انعقدت في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية في الأيام من ١٥ إلى ١٧ ديسمبر ٢٠٠٢. وقد نشر هذا الموجز في ثلاث حلقات، هي:

- الوضعية التنموية للتعليم العربي من منظور ثقافة الاستدامة: ٢٠٠٢/١٢/٢٧.

- اشتباكات التعليم العربي بالتنمية.. السياقات والاشكاليات: ٢٠٠٣/١/٢.

- التعليم العربي والتنمية بين توظيف التكنولوجيا وضرورة الحكمة: ٢٠٠٣/١/١٧.

\* نادبة جمال الدين : التعليم بين الطموحات القومية والمقاومة المجتمعية، ٢٠٠٢/١٢/١٩.

\* شبل بدران : حول الرؤية الوطنية للمثقفين في تطوير التعليم، ٢٠٠٢/٨/٢٧.

\* أحمد درة : المثقفون والمجتمع.. معا لتطوير التعليم، ٢٠٠٢/٨/٢٥.

\* حسن شحاتة : نحو تنمية الوعي بمسيرة تطوير التعليم. ٢٠٠٢/٨/٢٥.

\* شبل بدران : التعليم مازال مشروعاً نهضوياً، ٢٠٠٢/٨/١١.

\* حسن شحاتة : تحديث التعليم رؤية قومية، ٢٠٠٢/٨/١١.

ومهما كانت توجهات الكتابات السابقة، فإنها تشير في أغلب الأحيان، إلى أن التعليم بوضعه الحالي في جميع الدول العربية بلا استثناء، يعيش في أزمة حقيقية، لذلك بات من المهم بمكانة الإجابة عن السؤال التالي:

التعليم.. إلى أين يسير؟

يفشل التعليم سنة بعد أخرى على مستوى جميع بلدان العالم بدرجات متفاوتة ومتباينة في تحقيق أهدافه، لذلك ظهرت الدعوة إلى مدارس بلا جدران. وعلى الرغم من أن هذه الدعوة لها مقاصد نبيلة للغاية؛ لأنها تؤكد أهمية الانفتاح على المجتمع الخارجي، وأهمية التفاعل مع الأفكار القوية التي تدعمها المؤسسات المجتمعية الأخرى، فإن تلك الدعوة تشير بطريقة ضمنية إلى التردى الذي وصلت إليه المدارس من حيث تحقيق أهدافها، وتسمى أن تساعد مؤسسات أخرى من أجل الوصول إلى مقاصدها.

والحقيقة، إن الفشل الذي يعاني منه التعليم، يرجع إلى قلة الموارد المخصصة للتعليم، في جميع دول العالم. وبالنسبة لمصر، على الرغم من أن قضية التعليم ينظر إليها كقضية أمن قوى، فإن ما يخصص للتعليم لا يسد كل احتياجاته.

وقد يقول قائل: «إن ميزانية التعليم قد ارتفعت، وبلغت ٢٣ مليار جنيه سنوياً، فكيف يزعم الكاتب أن التعليم في مصر يعاني من قلة الموارد».

لقد زادت بالفعل ميزانية التعليم، ووصلت إلى ٢٣ مليار جنيه، ولكن المطلوب أكثر من ذلك بكثير جداً، وخاصة بعد انخفاض قيمة الجنيه المصري. وعليه، فإن أقل تقدير لميزانية التعليم يجب أن لا يقل سنوياً عن عشرة أمثال المبلغ السابق، حتى يمكن: بناء مدارس جديدة، وتقليل كثافة الفصول، والعمل فترة واحدة في جميع المدارس، وتوفير الأجهزة والمعدات والكمبيوترات اللازمة لتسيير العمل، وربط المدارس مع بعضها البعض بشبكة عنكبوتية قوية (Interent)، ورفع مرتبات المدرسين والعاملين في حقل التعليم، . إلخ.

والحقيقة، دون توفير الميزانية السابقة، لا يمكن تحقيق الجودة الشاملة للتعليم، ويكون الحديث عن التعليم المتميز مجرد أماني طيبة. ولكن الميزانية العامة للدولة، في ظل ظروفها الراهنة، تقف عاجزة تماماً عن توفير المتطلبات المادية التي تحتاجها عملية تطوير التعليم وتحديثه، ومن هنا يصبح السؤال السابق أحد أسئلة العصر الشائكة، كما أن محاولة الإجابة عليه تكون معضلة ما بعدها معضلة.

## (٢) المنهج التربوي:

على الرغم إننا قد تطرقنا عند الحديث عن أزمة منظومة التربية إلى التأثيرات السلبية لهذه الأزمة على المناهج التربوية، فإننا نتحدث - هنا- عن فشل المناهج التربوية في تحقيق أدوارها الوظيفية والحياتية.

وفي هذا الصدد، نقول:

من منطلق أن المنهج التربوي ينبغي أن يعكس الخبرات الحياتية في مفهومها العميق وشكلها الواسع، فإن المنهج ينبغي أن يكون المظلة التي تندرج تحتها كل ما له صلة مباشرة أو غير مباشرة بحياة المتعلم، بدءاً من علاقة المتعلم بنفسه ولتفسيه، وعلاقته بأقرانه ومعلميه داخل المدرسة، وعلاقته بالآخرين خارج المدرسة، وانتهاءً بعلاقة المتعلم بجميع السلطات التشريعية والتنفيذية المسؤولة عن إدارة المجتمع وتسيير شؤونه.

وعليه، يمكننا قبول الزعم بأن المنهج بالنسبة للمتعلمين هو الحياة ذاتها، بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات، ومن عوامل بناء وأساليب تدمير، ومن اتفاقات متوازنة وخلافات بنمضة، ومن علاقات حب وتحفظ قد يصل إلى حد الكراهية والحقد، ومن... ومن... إلخ.

والحقيقة، إن لفظة المنهج لها لفظة رائعة في مضمونها ودلالاتها وتأثيرها، وفي المعاني السامية والنبيلة التي تبحث عنها جاهدة، لجعلها أمراً واقعاً ملموساً، ومن هنا تظهر أهمية دراسة وظيفية المناهج، من حيث فاعليتها في إعداد المتعلمين للحياة المعاصرة.

**تفاوت عرض :**

يقول الكاتب ان تفاوتاً عريضاً سيطر على فكره وتفكيره، بالنسبة لدور المناهج الوظيفية في المجالات التالية :

١ - المنهج التربوي ومقومات الفكر الإنساني :

حيث تطرقت كتابات الكاتب لدراسة الموضوعات التالية :

- \* المنهج التربوي وثقافة السلام.
- \* المنهج التربوي والديمقراطية.
- \* المنهج التربوي والحرية.
- \* المنهج التربوي والثقافة ( المحلية والعالمية ).
- \* المنهج التربوي وتأكيد القيم.
- \* المنهج التربوي وتحقيق الانتماء.
- \* المنهج التربوي وإكساب مهارات التفكير في حل المشكلات.
- \* المنهج التربوي وتثبيت مهارات التعاون.

٢ - المنهج التربوي وإشكاليات المجتمع :

حيث تمحورت كتابات الكاتب حول الموضوعات التالية :

- \* المنهج التربوي في مقابلة قضية التطرف والإرهاب.
- \* المنهج التربوي وإسهاماته في حل مشكلات المجتمع.
- \* المنهج التربوي في خدمة البيئة.
- \* المنهج التربوي والتعريف بقضية السكان.

٣ - المنهج التربوي وقضايا الاقتصاد والتكنولوجيا وعلوم المستقبل :

حيث تركزت كتابات الكاتب في البحث في الموضوعات التالية :

- \* المنهج التربوي وتحقيق التنمية الاقتصادية.
- \* المنهج التربوي كمنظومة تكنولوجية.

\* المنهج التربوي ودراسة المستقبل .

\* المنهج التربوي والتدفق المعلوماتي في عصر العولمة .

\* المنهج التربوي والتعليم عبر الإنترنت .

والحقيقة، تمثل الموضوعات السابقة جزءاً من الكتابات والدراسات التي قام بها الكاتب، والتي تركزت حول قضية « المناهج الوظيفية »، التي يمكن أن تسهم في إعداد المعلمين للحياة المعاصرة بكل تداعياتها وتجلياتها، فهل كان الكاتب متفائلاً أكثر مما ينبغي؟! وهل كان الكاتب يعمش في أحلام يقظة دغدغت مشاعره، فترجمها في شكل سطور على ورق سوليفان؟! وهل كان الكاتب بعيداً جداً عما يحدث حوله في الحقل التربوي الذي بارت أراضيه وخربت بسبب كثرة تقلبات التربة، مما جعل - أحياناً - الموضوعات المهمة تنزل إلى قاع الهم، بينما الموضوعات الأقل أهمية تحتل مركز الصدارة؟! وهل .. وهل .. الخ .

يقول الكاتب بدرجة كبيرة من الثقة: « يجب أن يدرك كل من يكتب في المناهج أنه يمشى في أرض رخوة أو في طريق الأشواك والأدغال، ورغم ذلك، عليه أن يمشى الطريق حتى نهايته؛ لأن مصير قضية التعليم بوضعها الحالي والمستقبلي على السواء، يتوقف على تصورات المنظرين للمناهج، ولكن المشكلة الحقيقية تتجلى في وجود جانب سياسي قوى قد يؤثر إيجاباً أو سلباً في تلك التصورات . ومهما كانت صعوبة الأمر، يجب على المنظرين أن يقولوا ما يبدو لهم صواباً، طالما لديهم الأسانيد والأدلة العلمية التي تؤكد وجهة نظرهم، أما الجانب التنفيذي والتطبيقي، فذلك بعيد جداً عن سيطرة المنهجيين التربويين، ويترك أمره للكوادر صاحبة اتخاذ القرار » .

قد يقول قائل: « إذا إقتصرت دور المنظرين المنهجيين على الكتابة فقط، فهل في ذلك فائدة؟ ليس من الجائز جداً أن لا تأخذ السلطات التنفيذية كتاباتهم في الاعتبار؟ » .

هذا صحيح، لذلك من المهم جداً، وجود قنوات اتصال قوية بين التربويين ورجال الإعلام، ليساعدوهم على نشر أفكارهم، ولتأكيد وجهات نظرهم، بما يخدم قضية التعليم .

دعنا نعود للسؤال: هل كان الكاتب متفائلاً أكثر مما ينبغي؟ ونؤكد أن المجالات الوظيفية للمناهج التربوية التي سبق تحديدها، هي أقل القليل بالنسبة للأدوار المأمولة والمنشودة من المنهج التربوي، إذا كانت تربة التنفيذ - في جميع مناحيها - صالحة وجيدة، وخاصة ما يرتبط بالبعد السياسي في قضية المناهج .

**واقع مؤلم :**

على الرغم من تفاؤل الكاتب بالنسبة للأدوار المهمة التي يمكن للمنهج التربوي أن يحققها بفاعلية، فإن الواقع الفعلي الملموس يشير إلى أن الاهتمام في المدرسة ينحصر فقط في تحصيل المعلمين لما يتعلمونه من مقررات دراسية فقط .

وجدير بالذكر أن الموضوعات السابقة، رغم أن لها جانبها المعرفي، الذي يمكن بسهولة تعليمه، فإن تصميم المناهج بصورتها الحالية، لا يأخذ في اعتباره تضمنين غالبية الموضوعات السابقة ضمن محتويات المواد الدراسية المقررة على المتعلمين، وذلك على مستوى جميع المراحل الدراسية، بلا استثناء. وبالطبع، يستثنى من ذلك، ما له علاقة بموضوعات القيم والانتماء والبيئة، حيث تنطرق بعض مقررات المواد الاجتماعية والعلوم في المرحلة الابتدائية - وأحياناً في المرحلة الإعدادية- إلى تلك الموضوعات في لمس سريع وطرق مباشر.

والسؤال :

وماذا عن أية موضوعات ذات طابع معنوي، حيث يمكن للمعلم أن يكون له دوراً مهماً في تحقيقها، وحتى إن كانت غير مترجمة وثائقياً في صورة دروس مقررة، وذلك مثل : ثقافة السلام والديمقراطية والحرية والتعاون ؟

نعم، يمكن أن يسهم المعلم في إكساب جوانب معرفية ومهارات أدائية للمتعلمين بالنسبة لبعض الأمور التي ترتبط بالفكر الإنساني، ولكن ذلك لا يتحقق، ولن يتحقق، للأسباب التالية :

(١) بات الشغل الشاغل للمعلمين الانتهاء من تدريس المواد الدراسية المقررة حسب الخطة المرسومة لها، وبالتالي لا يهتم المعلم كثيراً، أو لا يهتم مطلقاً، بالجوانب الفكرية أو المضامين التبرية للمواد الدراسية .

(٢) قد لا يكون المعلم مهيباً علمياً أو ترويحياً أو نفسياً للتطرق لموضوعات، مثل : ثقافة السلام والديمقراطية والحرية، أو أنه يخشى التطرق لهذه الموضوعات . وفي كلتا الحالتين، يتحاشى المعلم الاقتراب من المناطق الساخنة والمثتبهة التي تثيرها الموضوعات السابقة، إما لأنه لا يملك شيئاً يقوله، أو يخشى المساءلة من قبل مدير المدرسة أو الوجه الفني .

(٣) قد يعتقد بعض المتعلمين أن المعلم يعتمد تضييع وقت الحصة في أمور ليست منها فائدة أو نفع، لأنها لاتقع في صلب المحتوى الذي سوف يؤدون الامتحان فيه . وعليه، فإن مثل هؤلاء المتعلمين قد يسببون مشكلات هائلة للمعلم، إذا حاول الابتعاد قليلاً عن المحتوى المقرر .

(٤) وعلى نفس المستوى السابق، قد يقاوم أولياء الأمور أى معلم يحاول ربط المنهج بقضايا المجتمع تأكيداً لوظيفية المناهج التبرية في الحياة العملية، إذ يعتقد غالبية أولياء الأمور أن هذه الموضوعات لاتفنى أو تنمر، وليست لها طائل أو نفع، والأهم منها - من وجهة نظرهم - أن يوجه المعلم جل إهتمامه، وأن يسخر كل جهده، فيما سوف يمتحن فيه المتعلمون .

(٥) قد يواجه المعلم كارثة حقيقية، إذا دخل الموجه الفني الفصل، ووجده يتحدث في أمور تخرج عن حدود المواد الدراسية. في هذه الحالة، سوف يتهم المعلم بأنه يسعى لتضييع وقت الحصّة، حتى تضطر نسبة كبيرة من المتعلمين لأخذ دروس خصوصية عنده (وخاصة في سنوات النقل). وبالطبع، لا يخفى عن بال أحد، مدى حجم العقوبة التي يتم توقيعها على المدرس، إذا اتهم بأنه يضغط على التلاميذ لأخذ دروس خصوصية.

(٦) أخيراً، إذا وصل لإدارة المدرسة علماً بأن المعلم يتجاوز الحدود المرسومة للمواد الدراسية المقررة، فغالباً يقوم مدير المدرسة بكتابة مذكرة للإدارة التعليمية أو المديرية التعليمية يطلب فيها نقل ذلك المعلم من المدرسة، حتى لا يجر المدرسة إلى القيل والقال، ويسحبها في طريق مسدود من جانب السلطات التعليمية الأعلى.

والسؤال :

**ما السبب في جعل المناخ المدرسي على جميع مستوياته غير مهيباً للخروج عن الحدود النمطية المرسومة بالنسبة للمواد الدراسية المقررة؟**

الحقيقة، يرتبط هذا السؤال بالمناخ العام السائد في المجتمع، حيث تظهر الأمية الثقافية بين المتعلمين أنفسهم بشكل واضح وسافر. وبالتالي، من غير المعقول، مع إنتشار الأمية الثقافية بين المتعلمين أنفسهم، ممن لا يقرأون خارج الإطار التعليمي التعلّمي لهم، أن نطلب من أولئك المتعلمين— وحتى لو كانوا ممن أنهوا دراستهم وتخرجوا في المدرسة أو الجامعة— أن يكسروا الطوق المحيط برقابهم. إن ذلك عملية صعبة، أن يفهم المتعلم بطريقة علمية وعملية أهمية الانفتاح على آفاق ثقافية فسيحة ورحبة.

والغريب، بل المدهش، أن الدولة تشجع القراءة، وتقدم أمهات الكتب والموسوعات بشمن زهد رخيص، ورغم ذلك فإن الأقبال على القراءة محدود للغاية، لذلك فإن المناخ التربوي مقيد بثقافة «القراءة من أجل الامتحان»، لذلك تسود ثقافة الحفظ والاستظهار في أساليب التدريس المتبعة، دون خروج عن النصوص الرسمية المفروضة من قبل السلطات التعليمية.

وعلى صعيد آخر، فإن الآباء الذين يعانون— أصلاً— من الأمية القرائية، لا يمكنهم مساعدة أبنائهم للتزود بيزاد ثقافي مناسب، بعيداً عن المواد الدراسية المقررة. والأدهى، إن الآباء أحياناً يخضعون لوجهة نظر أبنائهم، على أساس أنهم متعلمين، والعلم يكسبهم كثيراً مما يفتقده الآباء أو يفتقرون إليه. وعليه، يكون الأب من هذه الفئة أشد شراسة ومقاومة للمعلم، إذا أخبره إبنه بأن المعلم لا يعمل، ويضيع وقت الحصّة في مناقشة بعض الموضوعات غير المقررة.

خلاصة القول، يمكن القول بدرجة كبيرة أن واقعنا التربوي مؤلم، بسبب ارتباطه بالمناخ العام الثقافي السائد، ناهيك عن الضغوط القوية وثقيلة الظل، التي يعاني منها المعلم من قبل الآخرين، حيث تصنع تلك الضغوط سياجاً متيناً يحول دون إبداع المعلم.

### (٣) الأنشطة التربوية :

تعد الأنشطة التربوية من الحقائق الأساسية في العملية التعليمية؛ لأنها تعمل على تهيئة المواقف التربوية الجذابة والمثيرة للتلاميذ، كما تعمل على تدريبهم على حب العمل والدقة في تخطيطه وتنظيمه، أيضاً تسهم الأنشطة التربوية في التحديد الأمثل للمسؤوليات بما يتوافق وإمكانات وقدرات كل متعلم، وفي الانتفاع بوقت الفراغ والتدريب على أساليب القيادة الحكيمة، وفي إتاحة الفرص المناسبة لظهور إبداعات التلاميذ ومواهبهم.

ومن منطلق أن التربية عملية تهدف تحقيق النمو الشامل للتلاميذ، فإن الأنشطة التربوية والتعليم اللامنهجي يمثلان ركيزة الاستثمار الأمثل بالنسبة للنمو الكامل والمتكامل بالنسبة للتلاميذ، إذ إنهما يساعدان على: (١) تذوق الموسيقى والفن، (٢) نمو القدرات الحركية الدقيقة، (٣) صقل المهارات اليدوية المتميزة، (٤) تأكيد المهارات الاجتماعية.

وبما يذكر، يؤدي تحقيق الأهداف السابقة إلى تفجير طاقات وإبداعات التلاميذ، بما يشبع طموحاتهم، ويؤكد ذاتهم، ويعظم هويتهم، وكل هذا ينعكس إيجاباً على المجتمع.

والسؤال :

### ما موقع الأنشطة التربوية على خريطة التعليم؟

يشير الواقع الفعلي للموس إلى أن اهتمام العملية التعليمية التعلمية تتمركز حول المادة الدراسية فقط، حيث يتمحور إهتمام المعلم حول الجوانب المعرفية المختلفة للدروس التي يقوم بتدريسها، وأقصى ما يقوم به المعلم أن يطلب من التلاميذ تجهيز بعض اللوحات الورقية كلوحات إيضاح.

ويمكن الزعم بأن الأنشطة التربوية على خريطة التعليم شبه معدومة، وأحياناً ليس لها وجود في الأصل، رغم أن عدد أنشطة التعليم اللامنهجي - كما تقرها وزارة التربية والتعليم، يصل إلى ٢٤ نشاطاً في المدرسة الثانوية.

وفي زهارة للكاتب لبعض المدارس الثانوية، اكتشف أن الأنشطة التربوية تعاني من أزمة حقيقية، إما بسبب عدم توافر الكوادر البشرية التي تستطيع تحمل مسؤولية التعليم اللامنهجي، أو بسبب النقص الشديد، الذي قد يصل أحياناً إلى حد العدم، بالنسبة للموارد المادية اللازمة لتفعيل دور الأنشطة التربوية.

وكنماذج تؤكد مذهبنا إليه فيما تقدم؛ كذكر:

\* أجهزة الكمبيوتر في غالبية المدارس، إما معطلة ولا تعمل، أو قديمة الصناعة بحيث لا يمكن استخدام البرامج الحديثة.

\* الميزانيات المخصصة للمكتبات زهيدة جداً، بحيث لا تكفي ميزانية أى مكتبة شراء كتاب واحد، لا يتجاوز ثمنه عشرون جنيهاً.

\* عدم وجود قاعات - ولا نقول تجهيز قاعات - لبعض الأنشطة الفنية والموسيقية والاجتماعية.

\* عدم توافر الأجهزة اللازمة لممارسة بعض الأنشطة التربوية، لدرجة أن بعض مدرسي التربية الموسيقية يحضرون الأجهزة الخاصة بهم لاستخدامها في المدرسة.

\* غالباً، يُسند النشاط التربوي للمدرس بجانب العمل الأساسي له كمدرس لأحد المواد الدراسية، لذلك فإنه لا يولى هذا النشاط الاهتمام الواجب واللازم.

\* يقوم موجهو الأنشطة التربوية بأعمالهم بصورة شكلية، وحتى لا يقعوا تحت طائلة القانون والمهاسبة، وذلك بعكس نظراتهم من الموجهين الفنيين للمواد الدراسية المنهجية.

خلاصة ما تقدم، الأنشطة التربوية اللامنهجية لا تعمل وفق ما ينبغي أن يكون، وبالتالي فإنها لا تحقق أهدافها المرسومة والمأمولة، رغم الدور المهم الذي يمكن تؤوله هذه الأنشطة؛ لأنها ترتبط بوجودانيات ومشاعر وأحاسيس وميول الفرد. وعليه، فإن الأنشطة التربوية كأحد عناصر المنظومة التربوية تعاني من الشلل شبه التام، وبالتالي فإن هذه الأنشطة تعاني من أزمة حقيقية تحول دون تحقيق أهدافها.

( ٤ ) تكنولوجيا التعليم (التقنيات التربوية) :

كتب (محمد حسن رسمي) مقالا، عنوانه: "التكنولوجيا.. وخريطة العالم الجديدة"، وقد نشر هذا المقال في جريدة الأهرام بتاريخ ١٠/٦/٢٠٠٣، وفيما يلي ما جاء في ذلك المقال :

كانت التكنولوجيا إلى وقت قريب، سباقاً مفتوحاً من حق الجميع الاشتراك فيه، والآن أصبح سباقاً مغلقاً مقصوراً على أطراف بعينهم، ودونهم غير مصرح له بالاقتراب، وإلا أصبح محورياً من محاور الشر، ولأن التكنولوجيا أصبحت سلاح إخضاع بما في ذلك جانب الخير منها فإن جانب شرها أصبح لا يقاوم إلا برحمة من عند الله، فهو الأوجد القادر على ردعها.

والتكنولوجيا بطبعها لها وجهان أحدهما خير والآخر شر، ولكن حتى الخير منها يسهل تطويره ليكون شراً حسب نوايا صانعه، فتكنولوجيا التعرف على الأشياء والأنماط

والاصوات وهي من النوع الذكي تستخدم في التجارة الإلكترونية ونظم التأمين والحماية، وهي نفسها تستخدم في صناعة الصواريخ لانتقاء أهدافها بدقة متناهية اعتمادا على الصور أو الصوت أو حتى درجات الحرارة والمخزنة سابقا في ذاكرة المكدوفات. وتكنولوجيا الليزر الرائعة في العمليات الجراحية والقضاء على الألم، والصناعات البالغة الدقة هي نفسها المستخدمة في توجيه قذائف أسلحة الدمار الواسع بدقة غير مسبوقة، والموجات الكهرومغناطيسية التي بنى عليها معظم صناعات الاتصالات والكهرباء بمختلف أنواعها وأشكالها كما تبدو في حياتنا التقليدية وغير التقليدية هي نفسها التي تستخدم في عمليات التشويش على كل أجهزة الاتصالات اللاسلكية التي تفقد المستهدف السيطرة التامة عليه، بما في ذلك الطائرات وأجهزة الحسابات العملاقة وأجهزة التحكم لاي شيء، وكل شيء.

وجاءت أجهزة الإنترنت لتكون النافذة الصغيرة التي تمتد اليد من خلالها لتقبض على ما تريد وترسل منها كل ما تريد، وبصرف النظر عما ما تأخذ أو ما تعطى فهي بكل المقاييس أخطر الأدوات الدافعة والمسببة لمعصر العولمة، وبرغم ذلك فإن الجميع ربما لا يدرك أن جميع حاسبات الدنيا والمتصلة بالإنترنت هي في قبضة مركز الاتصال الرئيس للشبكة العالمية للإنترنت. ترى هل من تكنولوجياها السرية السحرية ما يمكنها من التجسس على كل هذه الحاسبات، أو على الأقل المهم منها أو تعطيلها وقت اللزوم عن طريق تصدير الفيروسات لها.

وإذا كانت تكنولوجيا البيولوجي قد لعبت ومازالت تلعب دورا حيويا في علاج الأمراض وبالذات المستعصية منها، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك في التدخل في الخريطة الوراثية للإنسان من أجل تعظيم قدراته إلا أنها أصبحت الرعب المجديد المصدر للحروب وتآديب الشعوب أو إرهابها وقت اللزوم، فكم من الحكايات تحكى الآن عن الجمرة الحبيثة وفيروس سارس وأنواع أخرى لم يعلن عنها وربما استخدمت للسيطرة واخضاع الغير وانتهاء الصراعات اعتمادا على جهل الآخرين بها.

وجاءت تكنولوجيا المواد النووية والذرية والمشعة للطب والعلاج وساهمت بلا حدود في تخليص الإنسان من الألم والعذاب، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك لتشمل الحيوان والنبات والتطبيقات الصناعية والهندسية وتوليد الطاقة كبديل للبتروول. لكن نزعات الشر في البشر استخدمت هذه التكنولوجيا للتدمير المفرط لكل ما هو حي أصبحت حقا مكتسبا للدول بعينها ومحرمنا على دول أخرى، وأصبح سباق الامتلاك والتطوير، سباق شر، إلى حد إعلان الحرب على كل من يريد أن يدخل أصلا السباق.

إن تطور التكنولوجيا وصل إلى منعطف خطير حتى أصبحت كالسيف على رقاب لدول الفقيرة تمسك مقبضه الدول القوية بل الدول أحادية القطبية. إنها سوف تكون

جوهر الصراع المؤدى حتما إلى الحرب العالمية الثالثة القادمة وبعدها ربما يولد العالم من جديد، ولكن بشكل جديد لا أحد يعلم معالنه. إن غضب التكنولوجيا المرتقب وربما ترددها على صانها سوف لا يجمعها إلا الله سبحانه الخالق العظيم.

آخر الحديث... مالك التكنولوجيا هو مالك العالم المرتقب إلا إذا أراد الخالق العظيم غير ذلك.. والراغب في الاحتفاظ بمكان له على الخريطة عليه أن يمتلك على الأقل الذكاء والدهاء ليخضع ملاك التكنولوجيا.

والسؤال :

**هل إنعكس تأثير التقدم التقنى الهائل الذى يشهده العالم الآن فى جميع المجالات على تكنولوجيا التعليم ؟**

الإجابة عن السؤال السابق هى النفى القاطع، إذ أن أقصى طموح يمكن تحقيقه بالنسبة لهذا الموضوع، هو إمكانية توافر الأنماط التقليدية للوسائل التعليمية.

بمعنى؛ لا تتوافر فى غالبية المدارس - على مستوى جميع المراحل التعليمية - الوسائل التعليمية؛ لذلك يضطر المعلم إلى تكليف بعض التلاميذ بتجهيز بعض اللوحات الورقية، أو أن يقوم شخصيا بصناعة بعض الوسائل الخشبية.

وهنا، قد يقول قائل: "إن مركز الوسائل التعليمية فى كل مديرية تعليمية يتوافر به بعض المستحدثات التكنولوجية التربوية وبالتالي يمكن للمدرسين إستعارة ما يحتاجون إليه فى المواقف التدريسية".

إذا فرضنا جدلا توافر بعض المستحدثات التكنولوجية التربوية فى مركز الوسائل التعليمية، فإن استعارة أى جهاز تتطلب إجراءات روتينية عديدة، مما يجعل أى مدرس يصرف النظر عن طلب الجهاز الذى يحتاج إليه، ناهيك عن صعوبة التفكير أصلا فى هذا الإجراء بالنسبة للمدرسين الذين يعملون فى المراكز والأرياف.

أضفا، قد يقول قائل آخر: "إن نسبة كبيرة من المدارس يتوافر بها - فى وقتنا هذا - أجهزة الكمبيوتر"

إن غالبية أجهزة الكمبيوتر الموجودة فى المدارس هى مجرد شاغل مكان، للأسباب التالية :  
- لاتعمل غالبية تلك الأجهزة، إما بسبب تلفها، أو لعدم صلاحيتها للاستخدام بالنسبة للبرامج الحديثة.

- غالبية المدرسين يفتقرون للفتيات اللازمة للتعامل مع الكمبيوتر.

- لو فرضنا جدلا أن أجهزة الكمبيوتر سليمة، وأن المدرسين يمتلكون فنيات التعامل مع الكمبيوتر، فإننا نجد أنفسنا عاجزون عن توظيف الكمبيوتر فى العملية التعليمية لعدم

توافر العدد اللازم من الأجهزة، بحيث يخصص لكل أربعة تلاميذ (على الأكثر) جهاز، ناهيك عن عدم وجود معامل وقاعات للكمبيوتر في غالبية المدارس.

ومما يؤكد نفينا القاطع بالنسبة لعدم تأثير التقدم التقني على تكنولوجيا التعليم، أنه - حتى الآن - لم يتم ربط جميع المدارس، سواء أكان ذلك على مستوى الجمهورية أم على مستوى المحافظة الواحدة، بشبكة إنترنت **Internet**، رغم أن ذلك يتحقق في مدارس بلدان أوروبا وأمريكا، حيث تم ربطها بشبكة إنترنت العالمية.

#### (٥) التقويم التربوي :

إن التقويم من المجالات الواسعة، التي يمكن لأي فرد - مهما كانت درجة تعليمه أو ثقافته - أن يبدي رأيه فيه. وتظهر هوجة إبداء الرأي أيام الامتحانات، وخاصة أيام امتحانات الثانوية العامة. ويساعد الإعلام المرئي والمسموع والمقروء في جعل عملية التقويم التربوي مجالاً مستباحاً ومشاعراً أمام الجميع، رغم أن الكثرة الكثيرة منهم لا يستطيعون وضع حدود فاصلة بين القياس، والتقييم، والتقويم.

إن التقويم التربوي كعلم، له أصول وقواعد وفنياته، لذلك فإننا نشير هنا إلى كتابات بعض المتخصصين التربويين فقط، وهي :

\* حسن الزين : التقويم والجودة الشاملة في العملية التعليمية، ٦/٦/٢٠٠٣.

\* عقيل محمود رفاعي : تطوير التقويم نقطة انطلاق لتحديث التعليم، ٢٥/٨/٢٠٠٢.

\* حامد عمار : أسئلة وأجوبة في تقويم الثانوية العامة، ١٨/٧/٢٠٠٢.

في ضوء ما جاء في المقالات الثلاثة السابقة، فإننا نطرح الأسئلة الثلاثة التالية :

\* هل التقويم بصورته الحالية يسهم في تحقيق الجودة الشاملة للعملية التعليمية؟

\* هل التقويم بصورته الحالية يمثل بالفعل نقطة انطلاق لتحديث التعليم؟

\* هل تقويم امتحانات الثانوية العامة المتبع حالياً يأخذ في اعتباره وحساباته المعايير التي يجب مراعاتها في عملية التقويم؟

الإجابة الشاملة عن الأسئلة الثلاثة السابقة، هي (لا)، أما تفصيلات الإجابة عن كل سؤال على حدة، فإننا نقدمها فيما يلي، دون مراعاة لترتيبها السابق، بهدف مراعاة منطقية وموضوعية العرض :

فيما يختص بتقويم امتحانات الثانوية العامة، فإن ما يحدث ليس له علاقة وثيقة بعملية التقويم كعملية قياسية وقائية علاجية، حيث تركز الامتحانات على الجانب الأول من التقويم، وهو القياس، دون أخذ الجانبين الآخرين في الاعتبار، وهما: الجانب الوقائي والجانب العلاجي. وحتى بالنسبة للجانب القياس، فإن الاهتمام ينحور حول قياس

ما يحصله التلميذ من معلومات ومعارف، أى الاهتمام يتمركز حول مدى استيعاب الذاكرة لما يتم تخزينه فيها من شتى ألوان المعرفة، دون إهتمام يذكر بالعمليات العقلية المرتبطة بالتفكير والإبداع فى حل المشكلات .

وفيما يختص باسهامات التقويم فى تحقيق الجودة الشاملة للعملية التعليمية، فذلك لا يتحقق من قريب أو بعيد، لأن أساليب التقويم المتبعة حالياً تفتقر أساساً لتحقيق معايير الجودة الشاملة فى بنائها وتكوينها وتصميمها، فكيف يمكن لاداة أو تقنية لا تقوم أساساً على معايير الجودة الشاملة أن تحقق الجودة الشاملة إذا ما طبقت أو تم توظيفها فى موضوع بعينه .

وفيما يختص بالتقويم كنقطة إنطلاق لتحديث التعليم، فذلك لن يتحقق أبداً فى ظل الأوضاع الحالية للتقويم، لأنه - كما قلنا فيما سبق- لا يتم تطبيق التقويم بمفهومه الشامل والمتكامل، حيث أنه يتحول إلى مجرد عملية لقياس مستوى تحصيل التلاميذ فيما يقوم المدرسون بتعليمه . بالإضافة إلى ذلك، فإن التقويم فى حد ذاته - كما قلنا فيما تقدم أيضاً - لا يحقق معايير الجودة الشاملة فى الأساليب التى يتبعها (الاختبارات)؛ ولأن فاقده الشيء لا يعطيه، فلا يمكن للتقويم فى صورته الحالية أن يسهم فى تحديث التعليم، ولا يمكن أن يكون نقطة إنطلاق لتحديث التعليم .

تأسساً على ما تقدم، فإن التقويم التربوى المعمول به فى نظامنا التربوى، يعانى من كبوات تحول دون إنطلاقه ليتبوأ مكانته فى مفهومها العلمى الصحيح، وعليه فإن التقويم كأحد عناصر المنظومة التربوية مأزوم، لأنه يفشل فى تحقيق الاهداف المرجوة منه .

ومما يؤكد ما تقدم ويعضده، ذلك التعليق الذى كتبه لهيب السباعى فى عموده الأسبوعى فى جريدة الاهرام تحت عنوان "امتحانات الصدمة والرعب" بتاريخ ٢٠٠٣/٦/٢، إذ كتب :

حول أزمة الامتحانات المصرية التى وصفها أحد الخبراء بأنها تمثل الصدمة والرعب فى البيت المصرى .. الصدمة للطالب والرعب لاهله يقول الدكتور فهيل فتح الله الأستاذ بهندسة الأزهر أن هناك كليشيات شبه ثابتة ومكررة تصاحب عملية الامتحان ومنها على سبيل المثال أن الامتحان لايد أن يكون من المنهج ولايد أن تكون الاسئلة فى مستوى الطالب المتوسط والأتكون هناك أى أسئلة ملتوية أو غير مباشرة أو من خارج الكتاب المعتمد؛ وويل لكل ممتحن تسول له نفس أن يأتى بسؤال يكون فيه تفكير أو تدبير لأنه -وبعد التحقيق وتوقيع الجزاء- لن يشارك هذا الممتحن مرة أخرى فى وضع أى امتحانات فى المستقبل القريب أو البعيد . والحقيقة أن وضع الامتحان فن له أصول علمية ومبادئ وأسس يجب ألا يحيد عنها واضع الأسئلة... فإذا كانت الأسئلة كلها فى مستوى الطالب المتوسط فنكون بذلك قد ظلمنا الطالب الجيد والجيد جداً والممتاز ظلماً بينا...

والحقيقة التي يجب أن نعلمها جميعاً هي: أن وضع امتحان يتكون من خمسة أسئلة مثلاً (كما يجب أن يكون الامتحان) وقد يستغرق ٢٠ إلى ٣٠ يوماً حتى يأتي الامتحان قياساً حقيقياً لقدرات الطلبة وحتى تظهر النتيجة بحق كل فئة من فئات الطلبة مميزة عن غيرها من الفئات... فواضع الامتحان عليه أن يضع ثلاثة أسئلة (من الخمسة) في مستوى الطالب المتوسط (وبها ينجح معظم الطلبة المتوسطين) ولكن على واضع الأسئلة أن يضع هذا السؤال (الرابع) لمستوى الطالب الجيد ثم سؤالاً خامساً يمكن أن يجيب الطالب الجيد جيداً على نصفه أو أقل أو أكثر قليلاً ويستطيع أن يجيب الطالب الممتاز عليه كاملاً، وبهذا نكون قد صنفنا الطلبة حسب مستوياتهم فلم نضم الطالب المتوسط وكذلك لم نضم الطالب الممتاز، هكذا يجب أن يكون وضع الامتحان، فليس مطلوباً من الطالب المتوسط أن يجيب عن كل أسئلة الامتحان فيحصل على نفس التقدير الذي يحصل عليه الطالب الممتاز فيختلط الحابل بالنابل، ويظهر ذلك جلياً في نجاح الكثيرين في الثانوية العامة (فئات مختلطة من المستويات المتباينة) بمجاميع فنكية (نتيجة سهولة الامتحان وليس لعقوبة كل الطلبة) ويصبح من حصل على ٩٥٪ مشكوكاً في إمكانية دخوله كلية من الكليات التي يطلق عليها كليات القمة! وأخيراً يجب حدوث تغيير لتغيير المفاهيم حول الامتحانات فليس من الضروري أن تكون كل الأسئلة في مستوى الطالب المتوسط، ولن يكفي فقط أن يكون ٥٠٪ من أسئلة الامتحانات في مستوى الطالب المتوسط.

(٦) المعلم:

تباينت وجهات النظر بالنسبة للمعلم، لذلك نجد أقلية تدافع باستماتة عن الدور المهم والحيوي الذي يقوم به المعلم، في ظل الظروف السيئة المحيطة به. ومن أمثلة الكتابات التي نشرت في جريدة الأهرام، وتدافع عن المعلم، نذكر الآتي:

\* سعيد أحمد سليمان: المعلم... محور الارتكاز في النظام التعليمي، ٢١/٦/٢٠٠٣.

\* يوسف حسن نوفل: هموم المعلم والتعليم، ٢٠/٨/٢٠٠٣.

أما الهجوم العنيف الذي يتعرض له المعلم، فإنه بلا حدود، ومن نسبة كبيرة من المسؤولين التربويين، ومن أولياء الأمور، بسبب تفشي ظاهرة الدروس الخصوصية في المدارس، والإدعاء بأن المعلم يهمل في عمله، ويوفر جهده وطاقته من أجل الدروس الخصوصية.

وفي هذا الصدد، نشير إلى المقال المهم التالي:

\* أحمد حسن البرعى: التصدى لظاهرة "الدروس الخصوصية... مسؤولة من؟،

٢٩/١/٢٠٠٣.

وللأمانة، بات المعلم يمثل لغزاً كبيراً ومعضلة صعبة، لذلك فإن الكاتب يطرح السؤال

التالي:

## المعلم ... أهو ظالم أم مظلوم ؟

في دراسة قام بها البنك الدولي في سبعينيات القرن العشرين، ظهر أن مرتب المدرس في سبعين دولة متقدمة ونامية، على حد سواء، أقل بكثير من مرتب العامل شبه الماهر. وللأسف، مازالت مرتبات المدرسين في مصر أقل بكثير جداً مما ينبغي، لدرجة أن المدرس الحاصل على مؤهل عال، قد يصل إلى سن التقاعد ومرتبته لا يصل إلى ستمائة جنيه. وبالنسبة للمدرسين الجدد من خريجي الجامعات، إذا وزعنا راتبه الشهري على عدد أيام الشهر، نجد أن متوسط دخله اليومي لا يزيد عن أربعة جنيهات، وعليه أن يدبر نفقات معيشته بها، في ظل أسعار السلع الفلكية، وفي ظل أسعار الخدمات النارية.

هذا من الناحية المادية، أما من الناحية المعنوية، فإن المدرس مضغوط لأقصى حد، إذ أنه تحت المراقبة اللصيقة، بدءاً من التلميذ إلى أعلى السلطات التشريعية والتنفيذية: التعليمية والمحلية. وإذا كانت المحاسبة مطلوبة في ظل التدهور الأخلاقي الذي يعاني منه المجتمع حالياً، بعد ارتفاع معدلات الجريمة وزيادة نسب السارقين والمرتشين ممن يساعدهم، وبعد ... وبعد ... إلخ، فإن المرفوض تماماً أن ننظر إلى المدرس كمتهم دائماً، وأنه لا يعمل داخل المدرسة من أجل إعطاء الدروس الخصوصية خارجها، وأنه يترك المدرسة من أجل قضاء مصالحه الشخصية.

وعلى صعيد آخر، يمكن لأي تلميذ في وقتنا هذا أن يدعى ظلماً على أي مدرس، ويتم وقف المدرس عن العمل حتى تثبت براءته، والأصعب أنه بعد ثبوت براءة المدرس وإخلاء ذمته من التهم المنسوبة إليه، قد يصدر أمراً إدارياً بنقل المدرس إلى مدرسة أخرى.

ولأن الأوراق اختلطت، وبات من الصعب وضع النقاط فوق الحروف، في هذا الزمان، فمن الصعب بمكانة فرز الفث عن الثمين، إذ رغم وجود الكثير من المدرسين الأبطال، الذين يعملون بقوة وصمت، وليس لهم قصد غير إرضاء الله فقط، والذين يؤمنون بأن مهنة التدريس رسالة سامية ونبيلة، فإننا لا ينبغي أن نسقط من حساباتنا وجود بعض المدرسين من أصحاب الذم الخرية، الذين يعاملون التلاميذ بقسوة شديدة، والذين لا يعملون - فقط - من أجل إعطاء الدروس الخصوصية، وإنما - للأسف - يشاركون - أحياناً - في تكوين تشكيلات عصابية لممارسة أعتى أنواع الجرائم من قتل وسرقة وتزوير... إلخ.

وهنا قد يقول قائل: "إن المدرسين غير المتزمين أخلاقياً وقيماً ومهنيًا، يجب محاسبتهم بشدة، وقطع عنايتهم، وإبعادهم تماماً عن العمل التدريسي".

هذا ما ينبغي حدوثه، ولكن كما قلت من قبل بأن الأوراق قد اختلطت، لذلك تكون عملية فرز المعلم غير المتزم عملية صعبة وشاقة، بسبب أساليبه المتلوية التي يتبعها في

مداهنة المسؤولين، فيقولون بأنه من أكفأ العناصر الموجودة في المدرسة، أو بسبب صوته العالي وممارسته بعض أعمال البلطجة، فيخشى المسؤولون الاقتراب منه، ويتركونه يفعل ما يشاء إتقاعاً لشره.

وبفرض أنه تمت مساعلة المدرس، ووقع الجزاء المادى عليه ( خصم من المرتب - وقف ترقية - النقل إلى وظيفة إدارية .. إلخ) فيمكن لهذا المدرس أن يرفع قضية، ويكسبها في أغلب الأحوال، لأن القاضى يحكم على أساس المكتوب فى الأوراق، وعلى أساس شهادة الشهود، ولاتعليق.

الحقيقة، يمثل السؤال السابق أحد أسئلة العصر الشائكة، وخاصة أننا شعب عاطفى، لا يميل كثيراً إلى أذية الآخرين وضررهم، لذلك قد نجد من يسوق لهم الحجج دفاعاً عن أخطائهم، ويلتمس الاعذار لما يرتكبه من ذنوب وشور كتنوع من التعاطف، أو خوفاً من وقوعه يوماً فى تلك الأخطاء ذاتها. وعليه، فإن محاولة الإجابة عن السؤال السابق عملية صعبة، وقد تكون مستحيلة، فى ضوء ما سبق ذكره.

#### (٧) المتعلم :

من المسلم به أن لقاء الأجيال له مردوداته الإيجابية الفاعلة، حيث يمكن الاستفادة من خبرة الكبار وحكمتهم الرصينة، وفى الوقت نفسه، يمكن استخدام الاندفاع العاقل للشباب فى أداء المهام الصعبة.

إذاً، وجود نقطة (أو نقاط) إلتقاء بين الكبار والشباب يسهم فى بناء المجتمع وتأكيد أمنه وأمانه، لأن كلا الفريقين يعمل أولاً و أخيراً من أجل الجماعة، عن طريق تعاون مشترك مشر بينهما.

وتتجلى خطورة عدم وجود قنوات اتصال مشتركة للتفاهم بين الكبار والشباب فى أن كل فريق يعمل بمعزل عن الآخر، وذلك قد يؤدي إلى تصادم الافكار، بدلا من أن تتلاقى أو تتلاقح من أجل تحقيق المصلحة العامة.

وهنا، قد يقول قائل: «إن تصادم الافكار يمكن أن يولد أفكاراً جديدة، لها صبغة تقدمية، وخاصة أن الشباب يتطلعون دوماً للمستقبل».

هذا صحيح، وعلى الرغم من ذلك، فلا يمكن ظهور أفكار جديدة على أساس تطلعات الشباب فقط، دون إهتمام يذكر بالتراث المتراكم من خبرات عند الكبار.

ولكن: متى تحدث الفجوة بين فكر وتفكير كل من الكبار والشباب؟

يتحقق ذلك عندما يستهين الكبار بآراء الشباب ويقللون من شأنها، ولا يأخذوها فى الاعتبار عند القيام بالمشاريع المشتركة بين الكبار والشباب، حيث ينظر الكبار إلى الشباب

على أنهم مجرد منفذين فقط لما يروونه صالحاً وفالحاً. أيضاً، يتحقق ذلك عندما يرى الشباب أن أفكار الكبار لم تعد صالحة لظروف العصر، ولا تناسب متطلبات الزمان والمكان، لأن زمن الكبار قد ولى وفات، وأن هذا الزمان هو زمنهم في الأساس، وينبغي أن لا يشاركهم أحد فيه.

إذاً، من المهم إلتقاء الكبار والشباب، بما يحقق مقاصد وتطلعات وآمال كل فريق من الفريقين. وعليه، إذا نقلنا القضية إلى علاقة المدرسين (الكبار) بالتلاميذ (الشباب أو الصغار)، يكون من المهم وجود أرضية فكرية مشتركة بين المدرسين والتلاميذ، تكون المنطلق الرئيس لتحقيق المقاصد التربوية المأمولة.

#### بمعنى:

إذا كان المطلوب من التلاميذ تقديم الاحترام الواجب واللازم للمدرسين، ففي الوقت نفسه، ينبغي على المدرسين تقديم الرعاية الكاملة للتلاميذ، بما يكفل تحقيق مقاصدهم المشروعة والمأمولة.

#### والسؤال :

#### المتعلم ... هل حققنا مقاصده؟

من المسلم به أن التربية في كل مكان وزمان تهدف إعداد الإنسان إعداداً يتوافق مع متطلبات العصر الحالية، كذا تهيئته ليوأكب متغيرات المستقبل الآتية.

وعليه، تعمل التربية جاهدة من أجل إعداد المتعلم الصالح، الذي ينعم بسلامه الداخلي، ويسعد في تعاملاته مع الآخرين، فيشعر بقيمته كإنسان فاعل، له دوره المهم في تسيير الأمور؛ لأن لديه القدرة على التفكير وحل المشكلات.

ما تقدم، يتوافق بدرجة كبيرة مع مقاصد المتعلمين جميعاً، وبلا استثناء، إذ لا يوجد إنسان أياً كان، لا يريد أن تكون له هويته وكيونته المستقلة، ولا يوجد إنسان يرفض أن يتعامل بحب وإخلاص وفاعلية مع الآخرين ومن قبل الآخرين، إلا إذا كان هذا الإنسان يعاني من أزمات نفسية. أيضاً، لا يوجد إنسان يرفض تحقيق ذاته وإثبات وجوده من خلال الأعمال التي يتحمل مسؤولية إنجازها، ولا يوجد إنسان لا يسعى لتحقيق النجاح والفلاح، وتبوا أعلى المناصب والراكز، ولا يوجد إنسان يرفض أن تحترم آدميته وإنسانيته.

إن المقاصد النبيلة السامية التي تحقق مقاصد المتعلم، تحققها التربية عن طريق المناهج التربوية التي يتعلمها المتعلم، وعن طريق التفاعلات التي تحقق التفاعل بين المتعلم والمدرسين من جهة، وبين المتعلمين بعضهم البعض من جهة أخرى، فهل المناهج التربوية بوضعها الحالي تسهم بالفعل في تحقيق مقاصد المتعلم؟ وهل التفاعلات الصفية واللا صفية التي تحدث داخل المدرسة لها دورها المؤثر في صقل شخصية المتعلمين نحو الأفضل؟

للإجابة عن السؤالين السابقين، نقول :

توجه المناهج التربوية بوضعها الحالي جل إهتمامها نحو تشغيل وتفعيل آليات المتعلم الذهنية والعقلية، دون إهتمام يذكر بوجدانيات المتعلم وأحاسيسه وشعوره وميوله. وعليه، يمكن أن تسهم المناهج الحالية بدرجة ما، في إكساب المتعلمين بعض جوانب المعرفة، دون إهتمام يذكر بالمتعلم ككائن بشري له وجدانياته وميوله وأحاسيسه، و يهدى في الوقت نفسه- أن يحقق مقاصده الإنسانية، التي سبق التنويه عنها.

هذا من ناحية، أما من ناحية التفاعلات الصفية بين المعلمين والمتعلمين، سواء أكان ذلك داخل الفصول الدراسية أم خارجها، فإنها تدور في فلك الإهتمام بالمواد الدراسية، حيث يهدى كل معلم- بلا استثناء- أن يشيت جدارته وتمكنه في المادة التي يقوم بتعليمها. وبالتالي، لا يوجد وقت يذكر كى يهتم أى معلم بالمشكلات التي تواجه المتعلمين، ولا يحاول أن يسألهم عن المضلات الشخصية والحياتية التي يعانون منها. والمعلم في ذلك معذور تماماً، بسبب المناهج الطويلة والمكدسة التي يجب أن ينتهى منها وفق الخطة المدرسية المحددة، ناهيك عن تخوف المعلم من توجيه الاتهام إليه، إذا حاول الاقتراب من المنطقة الساخنة، أقصد الحياة الخاصة للمتعلمين. وعليه، رغم أهمية التفاعلات الصفية في تكوين فكر الإنسان، وفي حل بعض مشكلاته الخاصة، فإنها تنحصر في دائرة الإهتمام بالمادة الدراسية فقط، وذلك يحرم المتعلم بدرجة كبيرة من تحقيق مقاصده، وقد يسهم في صناعة إنسان متقوقع على ذاته، ومنعزل عن الآخرين.

ولكن، المشكلة الحقيقية بالنسبة لهذا الموضوع، ان المسؤلون يدعون بأن التعليم في صورته الحالية، يسهم في بناء شخصيات واعية وواعدة، ولديها القدرة على التفكير، سواء أكان ذلك عن طريق الأنشطة اللا صفية، أو من خلال التفاعلات الصفية داخل الفصول.

والحقيقة، بجانب الإدعاء السابق الصواب بدرجة كبيرة، والدليل على ذلك إنه بمقارنة أحوال المتعلمين من حيث آمالهم وطموحاتهم وممارساتهم بأحوال نظرائهم من أربعين أو خمسين سنة مضت، نجد أن البون شاسع، ولصالح نظرائهم القدامى.

وقد يقول قائل: «إن المتعلمين حالياً أسعد حظاً، لما توفره التقنيات الحديثة (الكمبيوتر والإنترنت) من أدوات تعلم، يمكن أن تسهم في تحقيق غالبية مقاصد المتعلمين».

هذا صحيح، توجد بالفعل أدوات تعليم وتعلم حديثة، ولكنها لا تتوافر في غالبية المدارس، وإذا توافرت، فإنها لا تستخدم في تفعيل دور التعليم فقط، بل يمكن أيضاً إستخدامها بطريقة هدامة وسيئة.

تأسيساً على ما تقدم، فإن السؤال السابق قد يعكس حال التعليم، الذي يشير بقوة إلى إنحدار وهبوط مستواه، وذلك مؤشر واضح للعيان بأن السؤال السابق يمثل أحد أسئلة العصر الشائكة.

## (٨) محو الأمية وتعليم الكبار :

من المسلم به أن مدى تقدم أى مجتمع من المجتمعات، يقاس بنسبة المتعلمين فيه. فكلما زاد عدد المتعلمين، وخاصة الحاصلون على درجات الماجستير والدكتوراة أو على أقل تقدير الحاصلون على درجات البكالوريوس والليسانس، يمكن الحكم بتقدم مجتمع هؤلاء المتعلمين. لذلك، فإننا نجد بعض الدول استطاعت أن تقضى تماماً على أمية أفرادها، وسخرت جميع إمكاناتها، ليس فقط لتحقيق الهدف السابق النبيل، بل -أيضاً- لحفز المتعلمين لمواصلة تعلمهم مدى الحياة.

وللاسف، ما زالت غالبية الدول العربية تعاني من ارتفاع نسب الاميين بين أفرادها. وإذا خصصنا الحديث عن مصر، فعلى الرغم من الامكانيات الهائلة التى تخصصتها الدولة من أجل محو الأمية وتعليم الكبار، فما زالت مشكلة الأمية قابضة مكانها، وتتحرك فى خطوات حثيثة جداً فى طريق حلها.

ولمعرفة المزيد من تفصيلات هذه المشكلة، يجب علينا عرض المقالين المهمين التاليين، اللذين يبرزان تفصيلات جديدة بمعرفتها :

### المقال الاول :

وقام بإعداده (إسماعيل صبرى عبد الله)، وعنوانه: «الأمية والمجانية»، وقد نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢١/٦/٢٠٠٣ :

أثار بعض أعضاء مجلس الشعب أخيراً موضوع الأمية وضرورة التصدى لها.

وواقع الامر أن انخفاض نسبة الأمية إلى نحو ٤٥٪ من السكان الذين جاوزهوا سن الـ ١٥ سنة ما زالت نسبة عالية بالمقارنة بغيرنا من بلاد العالم الثالث (النسبة فى تركيا ١٥٪، وفى سوريا ٢٦٪، وليبيا ٣٠٪، والسعودية ٢٢٪، وإيران ٢٥٪.. الخ). وإذا قلنا إن مصر لا تقل النسبة عن ٤٥٪ فمعنى ذلك أن لدينا ٣١ مليون أمى، أى مرة ونصف المرة إجمالى عدد السكان فى الأربعينيات من القرن الماضى (نحو ٢٠ مليوناً). ومن ناحية أخرى يتضح أن كل الجهود التى بذلت تحت شعار محو الأمية خاصة منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ لم تنجح فى تخفيض عدد من أتيح لهم إجادة القراءة والكتابة..

ومعنى ذلك أن رصيد الأمية قبل الثورة وصل إلى رحاب الله. والدليل على ذلك أن نسبة من جاوزهوا ٦٥ سنة إلى إجمالى السكان الذين تجاوزت أعمارهم ١٥ سنة، لا تتجاوز ٥٢٪ بالأغلبية الساحقة للمصريين ولدت فى نصف القرن الماضى. فعدد الاميين يتزايد رغم ما ينفقه المجتمع على التعليم. ومن ثم لا بد من محاربة الأمية بدءاً بالطفولة.

وفي ضوء البحث في قضية السكان بكل جوانبها، تكون الأولوية المطلقة هي تصفية المتبعض. وقد تراوحت بيانات القيد في المدارس الابتدائية. وكانت وزارة التربية والتعليم لعدة سنوات تزعم أن المقيدون في الابتدائي يمثلون ٩٨٪ من إجمالي من هم في السن المقررة لدخول المدرسة. ولحسن الحظ أعلن وزير التربية والتعليم فقدان هذا التقدير أي سند من الواقع. ولكن القضية أكثر تعقيداً. فمن يعيشون تحت خط الفقر المدقع لا يمكن أن يفكروا في إرسال أولادهم وبناتهم إلى المدرسة. وأقصى ما يؤملون هو تشغيلهم بأي عمل يدر عليهم ما يساعد على توفير طعام الكفاف. ومن الناحية الدستورية والقانونية يجب أن يعاقبوا على عدم إرسال أطفالهم إلى المدرسة. وهذه الأخيرة عندها من التلاميذ وزيادة. وقيد التلميذ في السنة الأولى الابتدائي لايعنى بالضرورة استمراره فيها.

وكل من له صلة بأحوال التعليم يتحدثون عن خطر التسرب، أي هجر أعداد كبيرة نسبياً من تلاميذ الابتدائي المدرسة. ولعل البنك الدولي قد وجد التسرب في بلاد كثيرة فاعتمد في دراسة الحالة التعليمية على أعداد أولئك الذين استمروا في الدراسة لمدة ٦ سنوات. ويضاف هنا ظاهرة لم تكن محل بحث جدي، وهي «الردة» أي العودة إلى الأمية. فكل من أمضى سنوات في الابتدائي ويرتق من عمل لا يتطلب قراءة أو كتابة، ولا يملك مطالعة جريدة يومية، يفقد هذه المهارة ولا يبقى له من مظاهرها إلا قدرته على كتابة اسمه فيوقع بدل «الختم» الذي يستخدمه والده.

تلك هي الصعوبات الحالية في محور الأمية بين الأجيال الناشئة، والتي تحول دون استمرارهم في التعليم. وإذا أخذنا في الاعتبار واقع الفئات الفقيرة فسنجد أن الأمية متوارثة من جد إلى ابن إلى حفيد. ولا يصح الزعم بأن الأهل يدفعون كثيراً للدروس الخصوصية. فليس صحيحاً إطلاقاً أن الذين يعانون الفقر المدقع قادرين على دفع أجر لأحد. بل ربما كانت تلك الضرورة ضمن تفسيرات عدم القيد والتسرب. وهذه الحقيقة المرة تفسر عدم اكتراثهم بتنظيم النسل. ويتأكد هذا إذا أدركنا أن معدلات المواليد أعلى منها لدى القادرين، وذلك لأن معدلات وفيات من سنهم أقل من خمس سنوات هي أيضاً أعلى بشكل واضح لأسباب متعددة. وهكذا نرى أن من يحاضرون مجانية التعليم يحكمون في الواقع على المجتمع باستمرار انتشار الفقر والجهل والمرض. جيلاً بعد جيل حتى يتمكن المجتمع من تصفية الفقر المدقع تماماً.

ويقول النادون بإلغاء الأمية إن الحكومة لا تملك الموارد المالية الكافية لمواجهة تكاليف التعليم. وهم بذلك يجهلون ما هو مسلم به عالمياً. فقد بدأ الاهتمام بالتنمية البشرية من أن الإنفاق على التعليم استثمار وليس إنفاقاً استهلاكياً باهية حال. ولا يأتي هذا التسليم بدافع اجتماعي أو مراعاة للبعد الاجتماعي كما يقال عندنا. ولكنه يأتي من ضرورة

التنمية الاقتصادية الحالية . ففي عصرنا الحاضر يعد المواطن الأمي أو الجاهل فيه عبئاً على التنمية، في حين إن المواطن المتعلم القادر على التعلم أهم عنصر حاكم لمعدلات النمو الاقتصادي . حتى أن البنك الدولي المشهور بتمسكه بموقف محافظ في السياسة الاقتصادية أقر بأهمية التعليم وزيادة أعداد المتعلمين واكتشف ضرورة تكوين رأس المال بشري إلى جانب رأس المال المادي (الأصول العينية) . وهو حالياً يقدم قروضاً لتمويل مشروعات تعليمية .

وإذا نظرنا إلى التجربة المصرية في هذا المجال رأينا أن تزايد أعداد خريجي التعليم العالي برغم قلة فرص العمل بسبب تراجع معدلات نمو الناتج المحلي الإجمالي يسعون للعمل خارج البلاد (وبصفة خاصة في بلدان الخليج) وهم يحولون إلى مصر منذ أواخر السبعينيات من القرن الماضي سنوياً ثلاثة مليارات من الدولارات . ويمكن القول إنهم عوضوا المجتمع المصري ما أنفقه على تعليمهم بل وأكثر . ولولا التعليم المجاني من الابتدائي إلى الجامعة المتاح للفتيات لما حققت المرأة المصرية مكاسبها المتمثلة في اعتلائها أعلى المناصب . «مكاسب المرأة» مكاسب للمجتمع كله؛ لأن إنتاجية المرأة العاملة أعلى بكثير من إنتاجية «ربة البيت» .

وكان دستور ١٩٧١ واضحاً في توجهاته لقضايا التعليم، فالمادة ١٨ منه تنص : «التعليم حق تكفله الدولة، وهو الزامي في المرحلة الابتدائية وتعمل الدولة على بدء الإلزام إلى مراحل أخرى . وتشرف الدولة على التعليم كله وتكفل استقلال الجامعات ومراكز البحث العلمي وذلك كله بما يحقق الربط بينه وبين حاجات العمل والإنتاج» . وفيما يخص وضع المرأة في المجتمع تقول المادة ١١ ما يلي : «تكفل الدولة التوفيق بين واجبات الأسرة وعملها في المجتمع، ومساواتها بالرجل في ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية» .

وإذا نظرنا بجديّة إلى التكاليف المالية لتوفير التعليم للجميع، فنسجد في رأسها عادة بناء مدارس جديدة وكثيرة . ومن المطلوب أن يسهم القادرون في عملية بناء مدارس تحمل كل منها اسم من تبرع ببنائها، فقد يمشي عاش التعليم في الأزهر الشريف على عائد ما وقفه عليه الأمراء والأثرياء والأعيان . ولما كان الوقف في الشريعة الإسلامية لا يصح إلا في العقارات، قدم السنهوري باشا في القانون المدني البديل الذي يشمل العقار والمنقول وهو نظام «المؤسسات الخاصة» . وظلت هذه النصوص دون تطبيق عملي لها ولكن فكرتها ترد دائماً في القوانين التي تخص الجمعيات . كما أن القادرين من أهل القرى قد تبرعوا بأرض تبني عليها مدرسة . ويمكن أيضاً تشجيع العمل التطوعي في عملية البناء على الأقل في فترة الاجازات الصيفية، وإن اقتضى الأمر إعطاء المتطوع أجراً رمزياً يقارب مصاريف يومه . ولهذا فليتنافس المتنافسون .»

وتبقى أوضاع المعلمين المفتاح الأساسى لحل مشكلات التعليم . وعلى أساس انتشار البطالة بين خريجي الجامعة والتعليم العالى عموماً، يمكن أن تقدم الدولة لهم البرامج الخاصة بالتربية والتدريب العملى ليصبحوا معلمين . ولكن هذا غير كاف . فلا بد من زيادة مرتبات المعلمين بشكل ملحوظ وتكرار الدورات التدريبية والحفز الدائم على توسيع آفاق المعلم الثقافى وتزايد احترام المجتمع لمهنة التعليم والمشتغلين بها . وفى النهاية، المعلم الجيد أهم من المدرسة؛ لأنه يمكن أن يعلم حتى فى ظل شجرة وساحة سوق، وإن كان لا حاجة لنا بهذا القدر من التقشف .

إن العدوان على حق النشء فى التعليم عمل معارض لصريح نصوص الدستور، وهو أيضاً تهوين بشأن مصر على المستوى الدولى حيث أصبحت مؤشرات التعليم والصحة تتقدم على مؤشرات التنمية المعتادة . ولننظر فى مؤشرات الامية فى الدول المحيطة بنا . وأعجب ما يتم سماعه من معارضى المجانية قولهم : ولماذا تتحمل الدولة تكاليف تعليم أبناء وبنات الأثرياء الذين يحضرون فى سيارات فارهاة؟ وقد نسى القوم كل شىء عن الضريبة، لأن الأثرياء فى البلاد المتحضرة يدفعون ضرائب تتناسب مع دخولهم المرتفعة ويعولون بذلك الخدمات العامة التى توفرها الدولة .

وحين تصل نسبة الذين أمضوا ست سنوات إلى ١٠٠٪ من الشريحة العمرية ينضب منبع تجدد الامية . وإذا نضب العين جف النهر .

#### المقال الثانى :

وقام بإعداده (فتحي أبوهمامة)، وعنوانه : «المشروع القومى نحو الامية بين الواقع والمأمول»، وقد نشر فى جريدة الاهرام بتاريخ ٢١/٦/٢٠٠٣ .

برغم أن الحديث عن الامية فى مصر متواصل منذ وقت طويل، فإن الزخم الذى شهدته هذه المشكلة أخيراً جعلها فى مقدمة أولويات الحكومة فى الوقت الحاضر، وذلك استجابة للاهتمام الشديد للقيادة السياسية بهذه المشكلة وضرورة الانتهاء منها فى فترة مدها أربع سنوات . وترتب على ذلك أن اقرت الحكومة خطة تنفيذية لهذا المشروع القومى، على أن يبدأ تطبيقها فعلياً اعتباراً من أول سبتمبر سنة ٢٠٠٣، ورصد ١,٢ مليار جنيه لتنفيذ هذه الخطة التى سيتم من خلالها نحو ٧,٥ مليون مواطن ومواطنة تتراوح أعمارهم بين سن ١٥ و ٤٥ سنة .

ويقوم هذا المشروع - وفق ما أعلن عنه - على كيان مؤسسى واضح تتوزع فيه المسئولية على الجهات المشاركة فى تنفيذه، خاصة وزارة التربية والتعليم، ووزارة التنمية المحلية وكذلك المنظمات غير الحكومية والقطاع الخاص . وتلتزم الأجهزة المحلية بتوفير المتدربين فى أماكن التدريب الى تفرها الحملات للاستفادة من المنشآت العامة كالمدارس ومراكز الشباب

وقصور الثقافة والوحدات الصحية ودور العبادة والجمعيات الأهلية، وتقوم المديرية التعليمية باختيار شباب الخريجين المشاركين في البرنامج وتوزيعهم على الأماكن التي سيتم فيها التدريس لمحو الأمية.

والواقع أن مهمة القضاء على الأمية وفق هذا البرنامج - مهمة صعبة إن لم تكن مستحيلة، ذلك لأن البرنامج بهذا الشكل وزع المسئوليات بعامة على وزارات وهيئات حكومية وغير حكومية للبدء في تنفيذ المشروع بعد نحو شهرين من الآن، ودون تحديد كيفية حصر الأميين وإلحاقهم بالراكز المشار إليها - وهل هو اجباري أم اختياري، كما لم يتم تقويم ما قام به جهاز محو الأمية وتعليم الكبار في هذا المجال للوقوف على معوقات التنفيذ وإمكانات التغلب عليها في البيئات المختلفة سواء في الريف أو في الحضر، كما لم تُحدد بدقة حتى الآن - خريطة الأمية بالتفصيل في محافظات مصر ومراكزها الإدارية وأقسامها الحضرية حتى يمكن من خلالها تحديد المناطق الحرجة الأولى بالرعاية في تنفيذ هذا المشروع القومي العام.

غير أن أهم نقطة ينبغي أن يأخذها القائمون على التنفيذ في الاعتبار هي توزيع الأميين حسب السن والنوع وفق البيانات المتاحة في مراكز المعلومات بالمحافظات واعتمادا على بيانات آخر تعداد سكاني تم أخذه سنة ١٩٩٦. فقد ثبت أن الأمية تتزايد بالتقدم في العمر وانها أكثر عند الإناث منها عند الذكور خاصة في الريف (تصل نسبة الأمية في الحضر إلى ١٩,٨٪ للذكور مقابل ٣٣,٨٪ للإناث وفي الريف تصل إلى ٣٦,٤٪ للذكور مقابل ٦٣,٢٪ للإناث)، وإذا أخذنا الإسكندرية كمثال (١٠٪ من سكانها ريفيون) فنجد أن عدد الأميين بها ٦٦٤٣٦٥ نسمة بنسبة ٢٥٪ من السكان ١٠ سنوات فأكثر، وبالنظر إلى توزيعهم العمري يتبين أن ٤,٤٪ منهم دون سن الخامسة عشرة و ١٤,٣٪ بين سن ١٥-٢٤ و ١٧,٣٪ بين سن ٢٥ - ٣٤ أي أن نسبة الأميين دون سن الخامسة والثلاثين بلغت ٣٦٪ من جملة الأميين في المجتمع الإسكندري، ومعظمهم من الإناث اللاتي يزيد عددهن بالتقدم في السن كما سبق القول.

والواقع أن المشروع القومي لمحو الأمية ينبغي أن يركز على الفئات العمرية الأصغر وأن تكون هي الفئات المستهدفة لمحو أميتها وسد منابع التي تغذي تيار الأمية باستمرار، ولذلك ينبغي أن يركز المشروع على الفئات العمرية دون الخامسة والثلاثين بأولويات محددة تقوم على التقسيم الرباعي الآتي:

١ - الأميون الصغار دون سن الخامسة عشرة: وهي الفئة التي تضم الأطفال الذين لم يلتحقوا بمرحلة التعليم الأساسي، والذين تسربوا من سنوات هذه المرحلة، وارتد الكثير منهم إلى الأمية. وهؤلاء جميعا يمثلون أخطر المراحل العمرية في هرم الأمية في مصر، وينبغي أن تحظى هذه الفئة بالرعاية الكاملة، ويصبح محو الأمية اجباريا لكل

الأطفال فيها، وأن تتوافر في فصول محو الأمية عوامل جذب لهؤلاء الصغار، مثل: تقديم وجبة غذائية مناسبة أو صرف زى مدرسى مجاني، أو مساعدة الأسر الأفقر التي يدفعها الفقر إلى عدم تعليم ابنائها ودفعهم مبكراً إلى سوق العمل. ويقابل ذلك بالضرورة تطبيق قانون حازم بفرض غرامات على أولياء الأمور الذين لا يقيمون أبناءهم الصغار حتى هذه الفئة - في فصول الدراسة لمحو الأمية.

٢ - الأميون الشباب فيما بين المدى العمري ١٥-٢٤: وهم في مقتبل الشباب الذين يبدأون في الانخراط في سوق العمل أو يتم تجنيدهم. وهنا يمكن أن يكون تعليمهم إجبارياً في حالة التجنيد، وإتاحة الفرصة لتعليمهم في فصول محو الأمية ولمدة تنسيق مناسبة تجعلهم قادرين على القراءة والكتابة بطريقة تساعدهم في أعمالهم. وهنا يمكن توفير بعض الحوافز في الفصول مثل المساعدة في إيجاد بعض فرص العمل، أو تسهيل الحصول على دعم الصندوق الاجتماعي للتنمية للقيام بتنفيذ مشروعات صغيرة أو متناهية الصغر.

٣ - الأميون الشباب من ٢٥ - ٢٤: وهي الفئة التي ينبغي أن تركز على محو أميتها سواءً للالتحاق بأعمال حكومية أو غير حكومية أو استخراج رخص للمعمل أو استخراج جوازات سفر أو الرقم القومي أو حتى بطاقة التموين ذات الدعم الكلى. وفي هذه الحالة يطلب منهم ضرورة الحصول على شهادة محو الأمية قبل الاستفادة من هذه الخدمات.

٤ - الأميون الكبار: وهم الذين يزيد عمرهم على ٣٥ سنة وهؤلاء يأتون في المرتبة الرابعة من حيث الأهمية في محو الأمية، ولا تسمح الظروف الحالية بالانفاق على تعليمهم، بل إن الانفاق عليهم يعد هدراً لا مبرر له، وذلك لأن محو الأمية لن يؤثر في ثقافتهم بعامة أو في سلوكهم، ويصبح على الراغب منهم في التعليم، أن يتحمل تكلفة تعليمه في الأماكن التي تحددها المحافظات لهذا الغرض في الريف أو في الحضر.

ومن المتوقع أن بيانات الأميين لن يتم الحصول عليها بسهولة إلا من خلال مجالس السكان التي سبق أن أعلن عنها على مستوى الشياخات أو الناحية أو القسم أو المركز بحيث يتم حصر الأميين الصغار أولاً وإبلاغهم الأهمية القصوى في التعليم، ثم من بعد ذلك الأميون الشباب. وفي تلك الحالة فإن ما خصصته الدولة من اعتمادات مالية يمكن أن يسهم إلى حد كبير في القضاء على الأمية بنسبة عالية إذا أخذت خطة الدولة بالمجدية اللازمة والتعاون بين الجهات المسؤولة أملاً في تحقيق هدف وطني نبيل تسعى إليه القيادة السياسية، وتهتم به باستمرار.

وبعد عرض المقالين المهمين السابقين، يكون من الواجب طرح السؤال المهم التالي:

لماذا لم تحقق الجهود المبذولة بالنسبة لحو الأمية وتعليم الكبار الشمار المرجوة بالنسبة للآمال الطموحة التي جاءت في المشروعات والتشريعات ذات العلاقة المباشرة بهذا الشأن؟!

### تعليم الكبار .. الحقيقة والوهم :

للإجابة عن السؤال السابق من منطلق الحقيقة والوهم بالنسبة لقضية تعليم الكبار، نقول:

بإدنى بدء، يجدر التنويه إلي خطورة قضية تعليم الكبار على المستوى القومي في البلدان النامية، إذ على أساس وضع حلول إيجابية ومتقدمة لتلك القضية يمكن تحديد وضع ومكانة أية دولة من الدول .

ومما يذكر أن تعليم الكبار يمكن أن يرادف مفهوم ومعنى ودلالة التعليم مدى الحياة، إذا تخطى حدود الأمية الهجائية والإنقراطية والكتابية، ليقع تحت مظلة أنماط أخرى من الأمية، مثل: الأمية الثقافية، والأمية في اللغات الأجنبية، والأمية الكمبيوترية .. إلخ .

وهنا، يقتصر الحديث عن تعليم الكبار على أساس التمكن من القراءة والكتابة والحساب، التي تسهم في محو أمية الكبار، في صورتها البسيطة، التي لم تعد تناسب ظروف العصر ومتطلباته . ولكن هنا قدرنا وعلينا أن نتحملها، إذ في الوقت الذي تجاوزت فيه العديد من الدول المتقدمة والنامية على السواء محنة الأمية الكمبيوترية، مازلنا نتحدث عن محو الأمية للكبار في القراءة والكتابة والحساب .

وللإمانة، يجب الاعتراف بالجهود الجبارة والعظيمة التي تبذلها الدولة في مقابلة تركة محملة بالهموم والأسقام في هذا الشأن، إذ كانت نسبة الأمية من عشر سنوات مضت تزيد عن ٧٠٪ من مجموع السكان تحت الأزام، ووصلت حالياً إلى نسبة ٥٠٪ بالنسبة للذكور، ٥٥٪ بالنسبة للإناث . وعلى الرغم من هذا، فإن المشكلة مازالت قائمة بحدة، إذ إن نسبة الـ ٥٠٪ بالنسبة للذكور، ونسبة الـ ٥٥٪ بالنسبة للإناث، لا يمكن الاستهانة بها وتبريرها بأية أسباب مهما كانت وجاهتها، وذلك قد يجعل البعض يتساءل:

\* لماذا تتبعثر في الهواء الجهود المبذولة لحو أمية الكبار؟

\* وهل أصبحت فكرة محو أمية الكبار مجرد وهم كبير؟

\* وأين الحقيقة بالنسبة لقضية محو أمية الكبار؟

ومن المهم التنويه إلى أننا لن نقدم إجابات شافية وافية عن الأسئلة السابقة، وإنما نحاول الدوران حولها لعلنا نصل إلى ما يساعدنا على تحديد ما إذا تعليم الكبار بهدف محو أميتهم يمثل حقيقة قائمة أم مجرد وهم كبير يسيطر على فكرنا وتفكيرنا .

ومن أجل تحقيق هذا الدوران، فإننا نتطرق إلي بعض الأمور ذات المعنى والمغزى بالنسبة لهذه القضية، وهى:

( ١ ) معلم تعليم الكبار :

على الرغم من خطورة وأهمية دور المعلم بالنسبة لتحقيق أهداف عملية التعليم والتعلم بعامة، وبالنسبة لتحقيق أهداف تعليم الكبار بخاصة، فإننا نجد أن جل الإهتمام يوجه نحو إعداد معلمى التعليم قبل الجامعى دون إهتمام يذكر لإعداد معلم تعليم الكبار.

والدليل على ماتقدم، نذكر الآتى:

\* لا يخضع تعليم الكبار للإشراف المباشر لمسئولية وزارة التربية والتعليم، وإنما يشاركها فى تحمل هذه المسئولية جهاز محو الأمية وتعليم الكبار، ووسائل الإعلام السمعية (الإذاعية) والسمعية البصرية (التلفاز) ...إلخ.

\* للأسف، يتحمل - بدرجة كبيرة - مسئولية تعليم الكبار مجموعة من المتطوعين مقابل مادى لكل حالة يتم محو أميتها. وللأسف - مرة أخرى - أنه يتم الإعلان عن ذلك فى التلفاز، وكان مهنة التعليم مجرد مهنة للاستزاق لمن لا يجد مهنة أخرى.

\* يتم تدريب المعلمين (أو المتطوعين فى الحقيقة) بطرق غمطية، رغم أن قضية تعليم الكبار تتطلب أنماطاً مهنية يجب تأهيلها بطرق معاصرة.

( ٢ ) ميزانية تعليم الكبار:

لا تكفى الميزانية المخصصة لتعليم الكبار بصورتها الحالية لسداد الاحتياجات الفعلية الحقيقية لهذا التعليم؛ وذلك للأسباب التالية:

\* لا تخصص مكافأة مجزية أو مناسبة للدراسين، رغم المسئوليات المسيمة التى يتحملها غالبية الكبار، بالنسبة لإعالة أنفسهم أو لتحقيق متطلبات أسرهم.

\* المكافآت الخاصة بالكوادر التى تتحمل مسئولية تدريب معلمى الكبار ضعيلة للغاية، رغم مشاركة بعض أعضاء هيئة التدريس بالجامعة فى عملية التدريب.

\* غالبية ميزانية تعليم الكبار تستنزف فى الأعمال الإدارية، دون الفنية، رغم أن الأخيرة يجب أن تمثل الهدف الرئيس لتعليم الكبار.

( ٣ ) التوجيه الفنى والإدارى :

لا يحقق التوجيه الفنى والإدارى أهدافه المرجوة؛ لأنه يهدف فقط - تحقيق أهداف مباشرة خاصة بتعليم وتعلم القراءة والكتابة والحساب بطريقة نمطية وشكلية. ناهيك عن أن هذا التوجيه لا يهتم بأهداف أخرى لها علاقة مباشرة بكينونة وظروف وآمال وطموحات الدارسين.

## (٤) التقييم :

يتم قياس مستوى الدارسين في القراءة والكتابة والحساب باستخدام اختبارات نظمية، مع الأخذ في الاعتبار إمكانية تحقيق عملية الغش الجماعي عند الإجابة عن هذه الاختبارات. بالإضافة إلى ما سبق، ولتأكيد في الوقت نفسه، إنه لم تنطرق أية بحوث أو دراسات -على حد علم الكاتب- إلى قياس مستوى الدارسين في القراءة والكتابة والحساب، بعد ثلاثة أو ستة أشهر من الإنتهاء من دراستهم. لذلك، يتوقع الكاتب أن تكون النتائج سلبية بدرجة كبيرة جداً، إذا تحقق ذلك القياس.

إن ما سبق ذكره مجرد أمثلة قليلة من كثير بالنسبة للأمور التي يمكن التطرق إليها، والتي تساعدنا في الدوران حول الإجابة عن الأسئلة الثلاثة السابقة. وعليه، فإن عملية (أو قل قضية) تعليم الكبار ما تزال تدور في فلك: أهي حقيقة فعلية أم مجرد وهم كبير؟

إن الإجابة عن السؤال الأخير ليست سهلة أبداً، لذلك عندما تطرقنا لهذا الموضوع، كان هدفنا الأساسي ومقصودنا المهم هو تحريك الماء الآسن في بركة الجمود التي تعترى كثيراً قضية تعليم الكبار، وخاصة أننا نعيش في عصر لا يرحم المتعلمين الحقيقيين المنطيين، فما بالنا بتأثيراته الخطيرة بالنسبة لمن لم يتم بعد محو أميتهم الكتابية والإنقراطية والحسابية، فهل مازالت الفرصة قائمة حتى الآن أو أننا خرجنا بعيداً عن دائرة المأمول في هذا العصر المجنون؟

## (٩) البحث العلمي :

تعددت وتنوعت الكتابات المهمة والمجادة التي تطرقت لموضوع البحث العلمي، وكنماذج لهذه الكتابات الحيوية والجوهرية فإننا نعرض بالكامل المقالات الخمسة التالية :

## مدرسة الدراسات العليا في الجامعات المصرية

كتب مأمون فندی مقالاً، نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٢/٧/٥، بعنوان "مدرسة الدراسات العليا في الجامعات المصرية"، ويتضمن ذلك المقال الآتي :

أتيح لي فرصة التعرف على بعض الطلبة الزائرين للولايات المتحدة الأمريكية، بعضهم جاء لجمع مادة علمية لرسالة دكتوراه يكتبها، ضمن برنامج يسمى «القنوات العلمية». وعندما تتحدث إلى بعضهم وتستمع إلى مشروعاتهم البحثية -على الأقل في مجال العلوم الاجتماعية أو التربوية- تصاب بصدمة.

وتتساءل لماذا تكلف الدولة نفسها كل هذه التكاليف لتنفق على طالب دراسات عليا ليس لديه أبسط مقومات البحث، وليس لديه مشروع يستحق البحث، وتسال نفسك من الذي غرر بهذا الطالب وأرسله إلى آخر الدنيا كي يجمع مادة علمية - عن مشروع قتل بحثاً بشكل أفضل من طلاب دراسات عليا من بلدان مختلفة؟ من الذي أقتنع هذا الطالب

بأن نقطته البحثية جديدة بالبحث أصلاً؟ وكيف سولت نفسه ليجتهد في أمر ليس لديه أدوات أساسية للبحث فيه؟ من الذى يجنى على هذا الطالب، الذى سيعود إلى مصر بعد عامين ليحصل على درجة الدكتوراه من جامعة إقليمية، وما حاجة مصر إلى باحث غير مؤهل؟ هل أصبحت درجة الدكتوراه مجرد وجهة اجتماعية؟

كان لى حديث مع واحد من هؤلاء الطلاب والذى رأيته واقف أمام ماكينة تصوير ليصور بعض الصفحات من بعض الكتب. سألته عما إذا كان قد درس أى كورسات فى مدرسة الدراسات العليا فى الجامعة هنا، قال "لا" أنا فقط جمع المادة العلمية، قلت له "لماذا لاتسافر إلى بلدك وسأرسل لك كل ذلك كملف مرفق ضمن بريد اليكترونى!".

اشفقت على الطالب فى الحديث، إذا كان كل همه هو حصول على الدرجة واللقب ولم استشف بما قال شيئاً ينم عن نباهة أو دافع مسعور نحو معرفة، كانت عيناه زائفتين، ويبدو عليه عدم التركيز، شاب تائه فى ممرات المعرفة، واقف يصور كل شيء وأى شيء.

ذكرت له حكاية صندوق البريد فى أمريكا، والذى ما إن تفتح صندوقك حتى تجمد كثيراً من الرسائل معظمها للدعاية، وربما يكون لك خطاب واحد مهم فى هذه الحزمة من الخطابات، قلت لصاحبى إن العملية العلمية هى معرفة هذا الخطاب الذى يخصك، تختاره وتقرؤه، ولا تلتفت للباقي الذى لن يكون أكثر نما ونفسيات، ولكن يجب أن تكون لديك المهارة المكتسبة من خلال التعليم والتدريب كى تميز الثمن من السمين. هذه المهارة لا تكتسب إلا من خلال كورسات مكثفة ولمدة عامين على الأقل فى مدرسه الدراسات العليا، والذين حصلوا على درجة الدكتوراه من أى جامعة محترمة فى الولايات المتحدة يعرفون قيمة مدرسة الدراسات العليا!

مدرسة الدراسات العليا فى الولايات المتحدة هى مدرسة ما بعد الحصول على درجة البكالوريوس أو الليسانس يدخلها كل من يريد أن يصبح باحثاً جاداً، ولا توجد فى الولايات المتحدة حكاية "معيد" تلك الموجودة فى الجامعات المصرية، يدخل الطالب هذه المدرسة ويتلقى دروسه كإى طالب يحضر إلى الجامعة كل يوم، ويجلس فى الصف يتلقى دروسه من أساتذته. ودرس الدراسات العليا يهدف إلى التأكيد من شيء واحد هو الماء الطالب بأهم الكتب التى كتبت فى السياق الأوسع لتخصصه.

وسأضرب مثلاً من العلوم السياسية - الشيء الذى أعرفه - حيث يدخل الطالب مدرسة الدراسات العليا ليتعلم ولمدة عامين على الأقل فى أربعة فروع أساسية، الحكومات المقارنة، والعلاقات الدولية، والقانون الدولى والمنهجية. وتحت كل مظلة من هذه المظلات الكبيرة هناك فروع متعددة، ويدخل الطالب امتحاناً فى مواد عديدة، ويقدم أبحاثاً غالباً ما تكون بين عرض لامهات الكتب أو بحث أصيل يخص موضوعاً يهتم به الطالب، بعد عامين من الدراسة يدخل الطالب ما يسمى الامتحان الشامل الذى يتكون من جزءين،

جزء مكتوب وآخر شفهي أمام لجنة من الأساتذة. متى ما اجتاز الطالب هذا الامتحان مؤكداً لأساتذته أنه ملم بالأصول في منهجية البحث والموضوعات المحيطة بسمح للطالب بعدها بالبحث عن موضوع مناسب للبحث لكتابة رسالة الدكتوراه التي تستغرق عامين آخرين في أحسن تقدير، هذه العملية توجد طالباً قادراً على البحث، أما صاحبنا الذي حدثتكم عنه فقال لي إنه أنهى درجة الماجستير المكونة من "سنة تهيئية" وعندما سألته عن أمهات الكتب في تخصصه كان خالي الذهن، كنت أنظر إليه وعينى على المستقبل وأسأل نفسي هل سيصبح هذا أستاذاً في إحدى الجامعات المصرية يوماً ما؟ ومن هو سىء الحظ الذى سيتعلم على يديه؟

كان واضحاً من هذا المثال أن جزءاً أساسياً من واقع التعليم في مصر مرتبط ارتباطاً أساسياً بغياب مدرسة للدراسات العليا والتي من خلالها نتأكد أننا نجهز باحثاً لديه أدواته وملماً بموضوعه، إن غياب هذه المدرسة عن العملية التعليمية في مصر يعنى أن إصلاح التعليم العالى ليس بالأمر الهين، وهناك خبراء في هذا الموضوع أتمنى أن نسمع منهم عن كيفية هذا الإصلاح.

كلما زرت مصر اتبحت لي فرصة الحديث مع "الدكاتره" بعض بهم بنى نفسه بنفسه برغم الظروف، وحاول أن يكون على قدر هذا اللقب الذى يعنى بالتحديد الحصول على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم.

أما البعض الآخر لا يصلح أن يمتحن هذه المهنة. سألت البعض عن أبحاثهم المنشورة وأما كتبهم نشرها، وكيف حصلوا على الترقيات من أستاذ مساعد إلى أستاذ مشارك إلى أستاذ، وقرأت بعض الأبحاث والأوراق التي لا يصلح بعضها أن يكون ورقة مقدمة في سينمار لطالب الماجستير، هذا بالطبع في حالة الدكتوراه الربيقة، ولكن كما ذكرت هنا: حالات متميزة، هذه الحالات تعلم معظمها في جامعة الملك فؤاد وأرسلوا إلى بعثات جادة وحصلوا على درجاتهم من كبريات الجامعات ويدخلون في المنافسة العالمية. ولكن بكل أسف لم يستطع هؤلاء محاولة بناء مدرسة للدراسات العليا، أو مدرسة علمية لا ترتبط بالشخص ولكن بالمنهج والمؤسسة.

مدرسة الدراسات العليا ضرورة ملحة في سياق إصلاح التعليم العالى، كما أن معايير الترقيات أمر يحتاج إلى إعادة نظر ليس على مستوى مصر فقط ولكن على مستوى العالم العربي كله، فلا يستقيم للعقل مساواة درجة الدكتوراه من جامعة من الخبراء بنفس الدرجة من جامعة القاهرة.

كذلك لا بد من نشر ثقافة جديدة عن معنى درجة الدكتوراه، درجة الدكتوراه تعنى شيئاً واحداً لاغير هو أننا نطمئن إلى هذا الباحث لأن يقوم ببحث بمفرده دونما توجيه، هو

اعتراف من الأساتذة بأن الباحث تملك أدواته، وبذلك لا يختلف الأمر عن قيادة السيارة، أي أن الشخص يستطيع القيادة دونما مدرب أو معلم يركب إلى جواره، هذا كل الموضوع.

أما سوسولوجيا الدكتوراه الآن وفي مجتمع الحراك الاجتماعي، فنحن نرى أن الدرجة ذات قيمة اجتماعية أكبر من قيمتها العلمية، إذ تساوى في القرى المعادل الموضوعي للقب العمدة، ومتى حصل صاحبنا على هذا اللقب توقف عن البحث. درجة الدكتوراه هي بداية الطريق وليس نهايتها. هي رخصة تقول إنك تؤمن على السيارة والطريق، وأنك تعرف قواعد البحث الأساسية.

كل ما أدعو إليه هنا هو أن نحاول أن نجعل مؤسساتنا العلمية قريبة من نظائرها في العالم، أما الذي يتخيل أن درجة الدكتوراه من إحدى جامعاتنا بوضعها الحالي تساوى درجة من جامعة عالمية فهو إنسان يهدف رأسه في الرمال.

ليس لدى شك في أن كثيرين مثلي يحسون نفس الاحساس حول إصلاح التعليم العالي في مصر، كذلك يعرفون تمام المعرفة أن غياب مدرسة الدراسات العليا هو الجزء الجوهرى من هذا الإصلاح. هذه هي الحالة إن لم نواجهها اليوم فسوف تواجهنا غدا وبشمن أكبر. إن كانت هناك قضية تستحق كل الإهتمام في مصر، فإننا نختار قضية إصلاح التعليم العالي.

#### ● نحو مدرسة جادة ومتطورة للدراسات العليا :

إن المقال السابق، أثار اشجان إيهاب الدسوقي، فكتب مقالاً بعنوان «نحن مدرسة جادة ومتطورة للدراسات العليا»، وقد نشر في جريدة الاهرام فى ١١/٨/٢٠٠٢، وجاء فيه الآتى :

أثار مقال د. مأمون فندى بعنوان "مدرسة الدراسات العليا فى الجامعات المصرية" فى الاهرام بتاريخ ٥ يوليو، موضوعاً غاية فى الأهمية. فلا شك فى أن القضية التى تستحق كل الإهتمام فى مصر فى الوقت الراهن هى قضية إصلاح التعليم العالى، وأن غياب مدرسة الدراسات العليا هو الجزء الجوهرى من هذا الإصلاح، حيث إن خريج الدراسات العليا الذى يحصل على درجة الدكتوراه يكون عضواً مؤثراً فى المجتمع بدرجة كبيرة نتيجة المراكز القيادية التى يتولاها ولقيامه بالتدريس لخرىجى الجامعات الذين يتحملون مسؤولية العمل فى مختلف القطاعات. ومن ثم فمدرسة الدراسات العليا تكون مسؤولة عن تكوين العقل العلمى المنطقى والثقافة العامة فى المجتمع.

ويرتبط تطوير الدراسات العليا فى الجامعات المصرية بتحقيق الإصلاح الاقتصادى المنشود فى مصر، إذ إن الإنسان الذى يشكل الموارد البشرية هو أهم الموارد الاقتصادية التى يمتلكها أى مجتمع. وتزداد القيمة الاقتصادية للموارد البشرية فى مصر، فى ظل ضآلة

الموارد الاقتصادية الأخرى، مثل: المعادن ومصادر الطاقة وقد أثبتت كل الدراسات أن تطوير التعليم يؤدي إلى زيادة النمو الاقتصادي للمجتمع نتيجة زيادة الإنتاجية والقيمة المضافة، فضلا عن زيادة الإبداع والتطوير الذي يحتاجه النظام الاقتصادي القائم على آليات السوق، وتشير تجارب الدول التي حققت تقدما اقتصاديا إلى أن الاستثمار في التعليم قد أسهم بدرجة كبيرة في تحقيق عملية الانتقال نحو التقدم الاقتصادي، ولذا فالاستثمار في التعليم يوفر أكبر عائد استثماري للمجتمع.

وتؤثر مدرسة الدراسات العليا بصورة خاصة على دفع التطور التكنولوجي الذي يمر بشوكة هائلة في العالم لا تقل أهميتها عن نتائج الثورة الصناعية وقت ظهورها. وتعتمد عملية نقل أو إيجاد التكنولوجيا على الكوادر المتخصصة التي تصنعها مدرسة الدراسات العليا. وقد قطعت مصر شوطا كبيرا في مجال تحسين المعرفة وإقامة القواعد الأساسية للبحث والتطوير منذ بداية التسعينيات من القرن العشرين، كما أسهمت في ذلك المعونات الفنية التي تعمل على زيادة قاعدة العلوم والتكنولوجيا التي زادت أهميتها النسبية في التدفقات المالية إلى مصر من نحو ١٥,٦٪ عام ١٩٩٠ إلى نحو ٤٢,٣٪ في نهاية التسعينيات، غير أن إسهامات الأفكار الناتجة عن الدراسات العليا لا تزال ضعيفة، ويرتبط ذلك بانخفاض الإنفاق على البحث والتطوير في المجتمع المصري، حيث لا يتعدى ٠,٣٪ من الناتج القومي الإجمالي في الفترة من ٨٧ - ١٩٩٧ وهي نسبة ضعيفة بالمقارنة بإسرائيل التي تصل النسبة بها إلى ٢,٣٥٪ وفي سنغافورة ١,١٣٪ خلال الفترة نفسها، مما يشير إلى حاجة مصر إلى زيادة الإنفاق على البحث والتطوير.

وتطوير مدرسة الدراسات العليا في مصر يحتاج إلى مناقشة دقيقة لقضايا عديدة للتعرف على الأسباب التي أفرزت هذه المشكلات، وما هي الاقتراحات العملية للقضاء على الأسباب من أجل تطوير مدرسة الدراسات العليا. وتشمل القضايا التي تواجه مدرسة الدراسات العليا في مصر جوانب عديدة، بعضها يتعلق بمدى وجود نظام دراسي مؤسسي يؤهل طلاب الدراسات العليا على دراسة مناهج البحث وأمهام الكتب في تخصص في إطار معرفي يعمل على تنمية ملكة الإبداع والتطوير، وكذلك هناك قضايا مهمة تتعلق بمدى توافر مصادر المعلومات الدقيقة والمكتبات التي تيسر البحث العلمي الرصين، بالإضافة إلى إمكان تفرغ طلاب الدراسات العليا للدراسة الجادة.

وقد تكون مناقشة كل هذه القضايا في هذا المقال صعبة للغاية وغير مناسبة، إنما يمكن مناقشة قضيتين تثيران اهتمامي للغاية، هما: القضية الخاصة بالموضوعات البحثية المناسبة للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، وقضية مدى توافر أعضاء هيئة التدريس المؤهلة والمتفرغة لتعليم طلاب الدراسات العليا. وفيما يتعلق بقضية الموضوعات البحثية في مصر، فكما ذكر د. مأمون فندي فبعضها قد يكون غير مناسب أو قتل بحثا بصورة

لاستحق أن تدرس . وحقيقة الأمر أن هناك أسبابا وراء هذه الظاهرة السلبية في الدراسات العليا في الجامعات المصرية تكمن في ان غياب المناقشة عن المجتمع المصرى لفترة كبيرة أدى إلى ضعف الحافز لدى الباحثين على الابداع والابتكار في ظل الاعتماد على القرارات الحكومية في التعيين وعدم وجود حوافز للمجتهد، مما أوجد تساوبا في الشهادة دون التفرقة بين الجامعات أو تفرقة بناء على محتوى الموضوع البحثى . وقد يكون هناك تغير في الوقت الراهن نتيجة ظهور قدر من المنافسة إلا أن التغير المقابل في ظهور حوافز للمجتهد في البحث العلمى يستغرق بعض الوقت .

كما أن الاهتمام بالنتائج العلمية للأبحاث لايزال محدودا للغاية، مما يحد من البحث العلمى الرصين، ويظهر ذلك بوضوح في عدم اهتمام الجهات الحكومية أو القطاع الخاص بالاستفادة من الدراسات التى يحصل بمقتضاها الباحث على الدرجة العلمية، وتضع هذه الدراسات مكدسة في المخازن، مثل الأجاويل، دون الاستفادة منها . والغريب أن بعض الجهات الحكومية على وجه الخصوص تقوم بعمل دراسات تتكلف آلاف الجنيهات وتنتهى إلى نتائج موجودة في الرسائل الجامعية يمكن الحصول عليها دون مقابل .

كما أن فقر المعلومات، خاصة في العلوم الاجتماعية، يشكل عائقا حقيقيا تجاه البحث العلمى، ويجعل الأبحاث تتركز في مجالات ضيقة معتمدة في الاختيار فقط على مدى توافر البيانات والمعلومات، فضلا عن أن تكلفة الحصول على المعلومات مرتفعة مما يشكل عائقا على بحث بعض الموضوعات دون تمويل كبير لايموافر عادة للأبحاث الجامعية، إلى جانب أن معظم المعلومات الضرورية للبحث العلمى سرية ولايتم نشرها أو وضعها في المكتبات العامة، على الرغم من نشر هذه المعلومات عن مصر في التقارير التى تصدر من المؤسسات والمراكز البحثية في الغرب . وهذا فرق جوهري بين الدراسة في دول متقدمة وبين دول نامية .

وقد كانت لى تجربة في السفر إلى إنجلترا لجمع مادة علمية في أثناء دراسة الدكتوراه، وفي الحقيقة وجدت أن دخولى إلى أى مكتبة فى إنجلترا أسهل بكثير من دخولى مكتبة الجامعة التى أدرس بها فى مصر، وهذه حقيقة ليست فيها أى مبالغة يعرفها كل باحث فى مصر، فالباحث فى جامعة القاهرة قد لايستطيع أن يدخل مكتبة جامعة عين شمس والعكس صحيح .

وفى المقابل، فالباحثون فى الدراسات العليا فى مصر يتحملون جزوا كبيرا من المشكلة، لأن البحث العلمى فى الدراسات العليا ليس للوجاهة الاجتماعية، وإنما يجب أن يكون طريقا لتحقيق الأهداف العلمية التى تتناسب مع قدرات الباحث وحبه للعلم والبحث العلمى . ففى مجال الاقتصاد - لأنه تخصصى الذى أتابعه - معظم الموضوعات البحثية تكون بعيدة عن الدراسات التطبيقية التى تستكشف الجديد، كما أنها تتأثر باتجاه

السياسة الاقتصادية السائدة. في حين أن العكس هو الصحيح، وهو أن البحث العلمي هو المسئول عن إيجاد اتجاه السياسة الاقتصادية.

ويقترن ذلك بإتجاه سائد في اختيار الدراسات المقارنة بين مصر ودولة أخرى، حيث تهتم معظم الدراسات بدراسة حالات دول متشابهة مع مصر من الدول النامية بغرض المقارنة، ومثل هذه الدراسات في الحقيقة فائدتها محدودة للغاية؛ لأن الدول النامية التي تعاني من مشكلات متشابهة مع مصر أيضا تعاني من وجود حلول غير جذرية وغير متكاملة، ومن ثم فلا يمكن الاستفادة من دراسة حالات الدول النامية في علاج المشكلات المصرية، وإنما الاستفادة الحقيقية تكمن في دراسة تجربة ناجحة من الدول المتقدمة للاستفادة من طرق علاج المشكلة وأساليب تحقيق التقدم. أما مقولة اختلاف البيئة فهي مقولة تحمل مغالطة كبيرة لأن علاج المشكلات يعنى تطوير البيئة لتصبح مؤهلة لعملية التقدم، فسمات التقدم واحدة في كل مكان، فيجب أن يكون واضحا أن الغرض من الدراسات المقارنة هو الاستفادة من التجارب الناجحة لحل المشكلات في مجتمعنا.

ولذا، فإن علاج مشكلة المحتوى العلمي للأبحاث الجامعية يتطلب وجود حافز على البحث العلمي الجاد وتغيير النظام الدراسي؛ لأن سلوك الباحث هو رد فعل للبيئة العلمية التي يدرس فيها، ويمكن البدء بوجود مقررات مشابهة للجامعات العريقة في العالم، وقيام الجهات الحكومية بالاهتمام بنتائج الأبحاث الجادة والسعى إلى تطبيقها من خلال الربط بين الوزارات المختلفة والجامعات للحصول الرزارات على الدراسات التي تهتمها، إلى جانب ضرورة النظر في العلاوة التي يحصل عليها الباحث في الجهات الحكومية نتيجة حصوله على الدرجة العلمية التي لا تتعدى عشرة جنيهاً، بالإضافة إلى ضرورة القضاء تماما على مشكلة ضعف المعلومات المتاحة وتوفير المعلومات بتكلفة زهيدة وبدقة وبسرعة. وهناك دور لوسائل الإعلام المختلفة من خلال الاهتمام بنشر موضوعات ونتائج الدراسات القيمة. فجزء كبير من اهتمام الفرد يتأثر بتوجهات وسائل الإعلام، ولذا فاهتمام الصحف والإذاعة والتلفزيون بالموضوعات العلمية بصورة أكبر يرفع من تقدير الأفراد للقيم العلمية.

ومن ناحية أخرى فهناك قضية مدى تفرغ أعضاء هيئة التدريس للقيام بتوجيه الباحثين في مدرسة الدراسات العليا، وهي القضية المؤثرة بشكل مباشر. ويحتاج تطوير الدراسات العليا في الجامعات المصرية إلى وجود هيئة تدريس تتسم بالكفاءة والانضباط والتفرغ. وحقيقة الأمر أن معظم أعضاء هيئة التدريس غير متفرغين لعملية التدريس نتيجة العمل في أكثر من مكان في وقت واحد، وبالتالي يكون الوقت المتاح لمتابعة طلاب الدراسات العليا ضعيفا للغاية، ويرجع ذلك إلى مشكلة حقيقية تتمثل في انخفاض الأجور بشكل كبير لاستاذة الجامعة في مصر، فنجد أن الطالب حديث التخرج يمكن أن يحصل على عشرة أضعاف مرتب الدكتور الذي قام بتعليمه قبل تخرجه، ومن ثم يبحث كل أستاذ

جامعى - وهو معه الحق تماما - فى مصادر للدخل خارج الجامعة حتى يستطيع أن يعيش حياة كريمة، بل إن الأعمال الإضافية أحيانا تكون هى المصدر الرئيس للدخل . وقد تكون بعض الأعمال التى فى مجال البحث العلمى معضدة لقدرات الأستاذ الجامعى، ولكن المشكلة تظهر فى أعمال أخرى لا ترتبط بالبحث العلمى .

واعتقد أنه لا يمكن علاج مشكلة رفع كفاءة الدراسات العليا فى مصر دون زيادة الأجر لأساتذة الجامعات لكى يستطيع الأستاذ أن يتفرغ طواعية للبحث العلمى بذهن صاف وأن يتابع طلاب الدراسات العليا بدقة . ويجب عدم الاعتماد فى تحديد أجر أستاذ الجامعة على وجود فرص عمل أخرى أمامه، فهذا تفكير خاطئ فى تحديد الأجر، فالأصل هو طبيعة الوظيفة وأهميتها، فكل دول العالم المتقدم تقدم أعلى المرتبات لرجال القضاء وأساتذة الجامعات .

إن تقدم مصر يبدأ من الاهتمام بكفاءة النظام التعليمى الذى يستند على تطوير الإبداع والمعرفة ليتسق مع متطلبات الاقتصاد الحر، وهذه المهمة لا يمكن تحقيقها دون وجود مدرسة جادة ومتطورة للدراسات العليا تعمل على توفيرها السياسة التعليمية للحكومة التى تلعب الدور الرئيس فى تحقيق العدالة والكفاءة فى التعليم .

### ● مسيرة البحث العلمى فى مصر .. إلى أين ؟

يتصدى سلامة أبو الهيثم عوف لقضية البحث العلمى، فكتب مقالاً بعنوان «مسيرة البحث العلمى فى مصر... إلى أين؟»، نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٣/٢/٢٠٠٣ . ويتضمن ذلك المقال ما يلى :

لم يخف على الدول المتقدمة ما للبحث العلمى من أهمية عظيمة فى تقدمها ورفعها إلى مكان الصدارة . لذا رصدت ميزانيات ضخمة فى تمويل البحوث العلمية . ولما تاتى لى أن أشارك فى المساهمة فى مؤتمرات علمية عدة، عقدت العزم على إقتراح بعض الأفكار التى ربما تسهم فى ايجاد رؤية مستقبلية للنهوض بالبحث العلمى، ومن تلك المقترحات :

١ - تخرج نخبة من خيرة شباب العلم على وعى تام بمجريات الأمور من حولها، وفى هذا عون لهم على بلوغ غايتهم، وعلى الجامعة مسؤولية لا تتصل منها لاعداد هؤلاء الباحثين المبدعين، ولا بد لها من إعادة تشكيل المناهج بحيث تواكب حاجات العصر وتطورات المستقبل فى العاجل والآجل .

٢ - دوام التعاون مع المؤسسات والمراكز العلمية والجامعات الأجنبية التى اتسع باعها فى هذا المجال . ويلزم من ذلك قطعاً ضرورة إيفاد الباحثين العلميين إلى الخارج ليعودوا مزودين بجديد ومزهد، على الأخص فى التخصصات النادرة، وفى الإمكان كذلك ربط الجامعات المصرية بما يناظرها من جامعات ومراكز بحثية ومؤسسات علمية

وانتاجية بالداخل والخارج، وتأسيس الاتحادات والمنظمات وتشجيع البحوث المشتركة وإقامة المعارض وتبادل ما يستحدث في العلم من بحوث ودعوة من يحاضرون في تخصصاتهم من مختلف دول العالم، ومعلوم أن تبادل الخبرات الثقافية والعلمية يعد دعامة من أهم دعائم التقدم العلمي .

٣ - توفير الميزانيات الخاصة بالبحث العلمي وإيجاد الموارد التي تشكل هذه الميزانيات، وذلك أسوة بالدول المتقدمة التي رصدت إمكاناتها لخدمة البحث العلمي وتطويره، ونسوق لذلك مثلاً فنقول: إن الدول المتقدمة في أوروبا ترصد في المتوسط ٢,١٪ من دخلها للبحوث العلمية، وترصد اليابان ١,٨٪ لهذا الغرض، وكذلك ترصد الولايات المتحدة الأمريكية ٤,٨٪ وكوريا ترصد ٢,٢٪ وتايوان ٩,١٪ لخدمة البحث العلمي. ويستدل من هذه الأرقام على ما لهذه الدول من اهتمام بالبحث العلمي ودوره في خدمة قضايا المجتمع والبيئة. وليس حتماً أن تكون مصادر التمويل الخاصة بالبحث العلمي كلها من قبل الدولة، بل على المؤسسات والشركات الصناعية الكبرى أن تسهم إسهاماً فعالاً في تمويل البحث العلمي، كما يتحتم تشجيع المنح الشخصية والتمويل الذاتي، ولقد وفقت جامعة القاهرة كل التوفيق في تحقيق الريادة العلمية لها عندما شكلت رابطة لخريجياتها وغايتها أن يسهم الخريجون في خدمة المشروعات التي تقيمها الدولة، وإنشاء أكبر مكتبة في الشرق الأوسط. ولقد خصصت جامعة القاهرة ما يربو على مليوني جنيه لدعم المشروعات البحثية المستمدة من البيئة يقوم بها شباب أعضاء هيئة التدريس. ولقد عرفت أثناء وجودي في الولايات المتحدة في زيارة علمية منذ أشهر، التعاون الوثيق بين أصحاب المزارع وجامعة جورجيا، حيث يتولى الباحثون بحث أي مشكلة علمية يتقدم بها المزارعون والعمل على حلها بتمويل من أصحاب المزارع. ولذلك يجب إنشاء آلية لزيادة الارتباط بين الجامعة ومؤسسات الخدمات والإنتاج وأن تطلب الأمر رعاية الجامعة لوحدات بحثية بكل من هذه المواقع.

٤ - ينبغي حسن اختيار من يدرسون دراسات عليا لأنهم يرسون الأساس السليم للبحث العلمي.

٥ - يجب الفصل بين الترقية بالبحوث والتدرج الوظيفي لأن ذلك يفضي إلى التسرع في إجراء وكتابة هذه البحوث أملاً في زيادة المرتب، وبالتالي تضعف القيمة العلمية لهذه البحوث وتفتقد إلى الهدف والتطبيق البيعى، ولذلك نجد أن الكثير من الأبحاث أكاديمية ولا ترتبط بمشكلات المجتمع والبيئة.

## البحوث التربوية .. ومستقبل مصر :

ومن منظور تربوي، يكتب محمد زكى عويس مقالا، بعنوان «البحوث التربوية .. ومستقبل مصر»، نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٣/٥/٢٠٠٢، ويتضمن هذا المقال ما يلى :

تؤكد الظروف التى تمر بها المنطقة بكل تداعياتها أهمية إعداد جيل جديد قادر على التصدى للتحديات المستقبلية، واستيعاب المتغيرات المتلاحقة انسلبية والإيجابية التى يجب أن نتعامل معها بوعى وبشعور الانتماء للوطن الذى ترتبط مصائرنا بمصيره . ومن هنا كان الاختيار العبقري لتطوير التعليم باعتباره المشروع القومى لمصر . وهو اختيار نحى القيادة السياسية عليه، حيث يضاف إلى رصيدها الكبير من الحكمة التى تجلت فى أمور كثيرة مثل التنبيه المبكر إلى خطورة الإرهاب والدعوة إلى السلام كاختيار استراتيجى وإدارة التحول الاقتصادى بصورة لا تغفل البعد الاجتماعى . وإحقاقا للحق، فإن المهمة التنفيذية لهذا المشروع القومى الخاص لتطوير التعليم قد حظيت باهتمام المسؤولين بالمستقبل ومتابعة إنجازات الفكر العالمى فيه . لذلك نستشعر الجهود التربوية الهائلة، التى تتحقق بصبر وإصرار نتمنى أن تكمل بالنجاح والفلاح . وحتى يتسنى ذلك لابد أن يواكب البحث التربوى هذه الجهود ويدعمها بما يتلاءم مع الأعباء والمسئوليات الجسيمة لهذا المشروع القومى . فالبحث التربوى فى الكليات والمراكز المتخصصة يؤثر على إعداد الأجيال المستقبلية . ومن هنا تأتى خطورته التى لا أبالغ إذا ما أكدت أنها تفوق خطورة الكثير من مجالات البحوث الأخرى رغم أهميتها . إن بناء البشر هو أصعب المهام، والنجاح فيه يساعد حتما على المهام الأخرى . إذا كنا ننادى بتقويم منظومة البحث فى مختلف المجالات، فمن واجبنا ومن حقنا أن نطمئن على مناسبة منظومة البحث التربوى لمتطلبات المشروع القومى، سواء من حيث إدارتها وبرامجها وأهدافها الاستراتيجية وسبل تقويمها وأخلاقياتها، ومحاسبتها فى ضوء هذا كله .

والآن ماذا نريد من منظومة البحث التربوى؟ إن لدينا دليل العمل المتمثل فى المشروع القومى سالف الذكر والإطار المعرفى والفنى والخلقى الذى يتبناه وزير التربية والتعليم، ويدعو إليه فى كل أحاديثه وحواراته من طرحه للمحاور الثلاثة الخاصة بالبحوث والدراسات والمؤتمرات العلمية ولجان التطوير .

وفى معرض الحديث عن البحث التربوى دعنا لا نقتصر على كلمات مجردة ونذكر فى البداية مثالا يؤكد أننا نريد بحثا ملتحما بالقضايا والمشكلات التعليمية، وهو : أمة الدروس الخصوصية التى تم وصفها بالإهدز، والتى تستنفد طاقات الأسرة المصرية ولا تصنع جيلا جادا يقدر على ممارسة التعلم بنفسه . إن معركة الدروس الخصوصية هى معركة أخلاقية ذات أبعاد ثقافية واقتصادية هائلة .. والبحث التربوى، كفرع من العلوم

الاجتماعية عليه أن يقدم حلولاً عملية تساعد على نشر الوعي المضاد لمرض الدروس الخصوصية (مجازاً)، وبيان خطورته الاقتصادية والمعرفية والمستقبلية. إن هذه الدروس الخصوصية تؤدي إلى ظهور أجيال جديدة تستسهل الحصول على معليات تعليمية فاسدة، وتدمر العلاقة بين الطالب والمدرس، وترهق الأسرة بأعباء جسيمة دون عائد حقيقي. وبالتالي فإنها من أعدى أعداء التنمية، لأنها تضر بالتنمية البشرية، التي هي أساس التنمية الشاملة.

كنا - ومازلنا - نتمنى أن تلم البحوث التربوية الجادة في المراكز المتخصصة بالجوانب المختلفة لهذه القضية، وتقدم عطاءها بالنسبة للمواجهة الشاملة على مختلف الجبهات الثقافية والتعليمية والإعلامية والاقتصادية، دون رصد سطحي لحجم المشكلة والمبالغ الباهظة التي تنفق على هذه البحوث عن طريق إحصائيات لا تقدم حلولاً حتى مع افتراض دقتها. ألا يجب أن تقدم البحوث التربوية الحلول الجذرية لثل هذه القضايا الميدانية، وتضع أيدينا على وسائل تنفيذها؟ وإلا فما جدوى هذه البحوث؟

وبالإضافة إلى الالتحام بالقضايا الميدانية، وتقديم الحلول العلمية لها يأتي بعد الرؤية المستقبلية. أرجو أن يراجع كل مهتم بالتعليم المضمون المستقبلي لاستراتيجية التعليم في مصر، وهو مضمون متكامل، لا يجب أن يكتفى بمتابعة الفكر المستقبلي، بل ينبغي -أيضاً- أن يتطرق إلى التعليم والثورة العلمية والتكنولوجية في ضوء استشراف مستقبل العالم بشكل عام.

بعد هذه المراجعة أرجو أن يدلني أحد على بحوث تربوية تستوعب هذا الفكر المستقبلي الذي صار فرعاً ناضجاً من فروع الدراسات الاجتماعية، والتي يشغل التعليم فيه موقعا متميزا. هل هناك بحوث تربوية كافية لدعم المفاهيم والمضامين التي يتبناها مشروعنا القومي لتطوير التعليم في مصر؟ أين هي؟ هل هو نقص في كوادرات البحث التربوي المهتمة بالمستقبل؟ أم هو غياب الرؤية المستقبلية في إدارة البحث التربوي؟.

وآخر القضايا التي نذكرها هنا، وكنا ومازلنا نتمنى أن يقدم لها البحث التربوي حلولاً تتجاوز عقبات المحاضر هي قضية اقتصاديات التعليم، والأسلوب الفعال للمشاركة المجتمعية في تمويله من واقع الإحساس بأنه أفضل استثمار في المستقبل. إننا نعاني قلة تكلفة تعليم الطالب بالمقارنة بدول كثيرة، ونريد تعظيم العائد التعليمي من التكلفة المتاحة والعمل على إيجاد مصادر لزيادتها. إن البحوث التربوية ذات الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية العميقة يمكن أن تساعدنا على تقديم حلول وبدائل ابتكارية. إن البحث هو دعوة للإبداع والابتكار في سياق ثقافي ومجتمعي معين. إننا نرى محاولات جادة لحل مشكلة اقتصاديات التعليم دون أن نشعر بمساهمات البحث التربوي بالقدر الذي يتناسب مع المشكلة عمقا وأصالة ورؤية مستقبلية.

إن مشروع مبارك القومي لتطوير التعليم يضع البحث التربوي أمام مسؤوليات جديدة. فمع اهتمام القيادة السياسية بالتقدم العلمي والتكنولوجي انعكس ذلك على المدرسة، حيث تمت الجهود الجبارة لتحديث آلاف المدارس والارتقاء بالمستوى المعلوماتي والتكنولوجي بها، وهو الأمر الذي احتل أهمية خاصة عند المسؤولين التربويين. فهل يواكب البحث التربوي ما حدث من تطور في مدارسنا بحيث يسهم في الاستفادة من هذه الإمكانيات التي أتاحتها الدولة للنهوض بمستوى الإنسان المصري القادر على تحقيق الأهداف النبيلة للتقدم والتحديث.

#### الماجستير والدكتوراة لخدمة التنمية:

كتب حامد طاهر مقالاً بعنوان «الماجستير والدكتوراه لخدمة التنمية»، وقد نشر هذا المقال في جريدة الأهرام بتاريخ ٢١/٦/٢٠٠٣، وجاء فيه الآتي:

لا أعرف بالضبط كم عدد رسائل الماجستير والدكتوراه التي منحتها الجامعات المصرية منذ حصل على أول واحدة منها عميد الأدب العربي طه حسين في مصر، ولا عدد تلك الرسائل التي حصل عليها المصريون من الجامعات الغربية. لكن الذي أعرفه أن هذا العدد الهائل، الذي يكاد يملأ حتى الآن قرناً بأكمله، يمثل ثروة علمية وفكرية لا يستهان بها. ومن المؤكد أن عدداً منها لا يحتوي فقط على دراسات موسعة أو تحليلات عميقة، وإنما يضم أيضاً أفكاراً جديدة، وحلولاً مقترحة لمشكلات كانت، أو مازالت قائمة حتى الآن. والمعروف أن كل رسالة ماجستير أو دكتوراه لم يقل العمل فيها عن فترة زمنية تتراوح بين سنتين وخمس سنوات، قضاها صاحبها في القراءة والبحث والتأمل والمراجعة، تحت إشراف أستاذ أو أكثر قاموا بالمتابعة والتوجيه والتصحيح إذا لزم الأمر. هذه الرسائل العلمية التي تمثل قمة العمل الجامعي تتوزع على مختلف أنشطة المعرفة التي تقوم الجامعات بدراستها وتدرسيها.

ولأن المستقبل العلمي يتوقف إلى حد كبير على مدى إجادتها واتقانها، فإنها تحمل بصمة صاحبها، وتكاد أوراقها تكون مبللة بعرقه الممزوج بالشموع التي أضاءها طوال لياليه لكي يسهر على إخراجها بأفضل صورة ممكنة. لدينا والحمد لله الكثير جداً من تلك الرسائل التي لا تقل عن مثيلاتها في جامعات الغرب المتقدمة، والملاحظ أن الإقبال على خوض تجربتها، والانخراط في طابور الحاصلين عليها ما زالاً يمثلان أملاً براقاً لدى خريجي الجامعات. وهذا يعكس رغبة محمودة من الشباب المصري في طلب العلم، والتدرج في مختلف مستوياته حتى أعلى الدرجات.

وتنقسم رسائل الماجستير والدكتوراه حسب موضوعها إلى رسائل تجريبية، أي تقوم على التجربة العملية، ورسائل نظرية، كما هو الحال في الأدب والاجتماع والفلسفة. وبينما يعتمد النوع الثاني على الملاحظة الذكوية والأحكام الذاتية، فإن النوع الأول يقوم

أساسا على التجربة التي لا تترك مساحة للشك في نتائجها. وبالطبع نحن في حاجة إلى كلا المنهجين، وهما يتكاملان بل ويلتقيان في بعض المجالات المشتركة بين النظر والتجريب.

والسؤال الآن: كيف نستفيد من هذا الكم الهائل من رسائل الماجستير والدكتوراه في حركة التنمية التي يشهدها مجتمعنا المعاصر؟ ويمكن أن تكون الإجابة على مرحلتين: الأولى ضرورة القيام بعمل إحصائي لكل ما تم من تلك الرسائل، وإعادة فحص ما توصلت إليه من نتائج وسوف يكون من السهل بعد ذلك الوقوف على ما يصلح منها للتطبيق وما لا يصلح لأن الزمن قد تجاوزه. أما المرحلة الثانية فهي مستقبلية. وأساسها ضرورة التريث في اختيار المجالات، وكذلك الموضوعات التي يمكن أن تتم دراستها في الماجستير والدكتوراه. فليس من المعقول أن نترك للباحث وحده اختيار موضوعه بصرف النظر عن إمكانية مساهمته في خدمة حركة التنمية التي يحتاجها المجتمع كله، ومن الممكن أن يحدث ذلك من خلال بنك للموضوعات تجتمع فيه اقتراحات الهيئات والمؤسسات والشركات، وكل ما يخدم الإنتاج، وزيادته وجودته لكي تصبح بالتالي موضوعات للدراسة المتعمقة، التي يخصص لها الباحثون أغلى سنوات العمر. إننا بهذا العمل نستطيع أن نحدث التفاعل المنشود بين الجهات العلمية والمؤسسات التطبيقية والتنفيذية.

### خلاصة ما تقدم: أبرزت المقالات الأربعة السابقة ما يلي :

- \* أهمية إنشاء مدرسة الدراسات العليا في الجامعات المصرية.
- \* أهمية وجود منهجية جادة وفلسفة متطورة للدراسات العليا.
- \* الدور المهم والخطير الذي يمكن أن تلعبه البحوث التربوية في تحديث مستقبل مصر.
- \* ليس الهدف من بحوث الماجستير والدكتوراه هو الحصول على درجة علمية فحسب، إنما ينبغي بجانب ذلك أن تسهم تلك البحوث في خدمة التنمية في شتى مجالاتها.
- ومن منطلق أن الأهداف السامية النبيلة السابقة، لا تتحقق بدرجة كبيرة في مجملها، فإننا نزعم بأن البحث العملي - باختصار شديد - مأزوم؛ لأنه مقيد بأغلال وموثق بأصداق لا يستطيع الهروب منها، ناهيك عن ضعف الإمكانيات المادية والعملية، وأيضا هبوط المستوى العلمي لنسبة كبيرة من الدارسين والباحثين.

### ( ١٠ ) الدراسات المستقبلية :

إذا كنا نعيش الحاضر بكل تداعياته وتجلياته، فإننا - في الوقت نفسه - في أمس الحاجة إلى التطلع إلى المستقبل؛ لأنه سيكون الحاضر بالنسبة لنا، بعد أن يصبح الحاضر

ماضيا في ذمة التاريخ، وبعد أن تكون خبرات الحاضر مجرد علامات كانت على الطريق أو إضافات إلى وعاء التراث.

نحن نعيش الحاضر بكل ما يحمله لنا من : سلام وعنق، لقاءات وافتراقات، خير وشر، إيجابيات وسلبيات . إلخ، ورغم ذلك، فمن المهم بمكانة أن نضع المستقبل في حساباتنا بكل وعى وحكمة وفهم وإدراك. ومما يؤكد أهمية ذلك، أن دراسة المستقبل نفسه تمثل أحد عناصر المنظومة التربوية في صورتها المثلى، وأن علوم المستقبل لها مكانها المميز في المنهج التربوي. والأدهى من ذلك، أن بعض الكتب والمراجع الرصينة التمييزية تطرقت إلى علوم المستقبل حتى سنة ٢٥٠٠.

إنطلاقاً مما سبق ذكره، فإن الحاجة إلى الدراسات المستقبلية مهمة وملحة، وإذا أردنا من الآن أن نطمئن إلى حاضرنا الآتي، وأن نضع في اعتباراتنا ظروف وامتغيات العصر المستقبلية.

وعلى الرغم من تعدد كتابات الكاتب بالنسبة لموضوع "علوم المستقبل"، فإنه يعرض المقال الذي كتبه محمد عهد الغننى شلبي تحت عنوان "الحاجة إلى الدراسات المستقبلية"، والذي نشر بجريدة الأهرام في ٢٩/٧/٢٠٠٢، كاملاً نظراً لأهميته من ناحية، ولأنه يعرض ماسبق للكاتب تأكيداً في كتاباته السابقة من ناحية أخرى؛ ولأنه يبرز المعاناة الحقيقية لمنظومة التربية بالنسبة للموضوع ذاته من ناحية ثالثة:

#### الحاجة إلى الدراسات المستقبلية :

يمكس الاهتمام بدراسة المستقبل لدى مثقفي أمة من الأمم، درجة من الوعي الإيجابي والإيمان بقدرة الإرادة الإنسانية على إيجاد مستقبل مرغوب فيه وصياغته، ولعله من الملاحظ أن درجة الاهتمام بالمستقبل تزداد في فترات التحول العظمى العالمية بأكثر من فترات الثبات النسبي، ورغم أن فترات التحول هذه تعد - في نظر البعض - فترات يستحيل التنبؤ بمآلاتها، وذلك بما يصاحبها من انهيار النموذج أو المنظومة الفكرية والثقافية، التي كانت سائدة خلال فترة الاستقرار النسبي، ومن ثم صعوبة القدرة على الرصد والاستشراف وتحليل البنى والعمليات وفق أطر وأنساق نظرية تنظمها وتفسرهما.

رغم ذلك، فإن تلك الفترات ذاتها تعد أكثر الفترات التي من المتطلب ممارسة الاستشراف المستقبلي خلالها، حيث إن للجهود التي تبذل في فترات التحول هذه مشروعية التأسيس لاتجاهات وقيم ومعايير بعينها، شرط الوعي بالقدرات المتاحة والممكنة لمسارات واتجاهات عميقة تتشكل ببطء، وعلى نطاق واسع، إلى جانب قدرات كامنة وتراكمات على صعد مختلفة قد يؤدي تضافرها عبر الزمن إلى تحولات كيفية، فضلاً عن نوعيات البشر وإمكاناتهم واستعداداتهم، وردود أفعالهم، الممكنة والمرغوبة إزاء التطورات

المستحدثة والمتسارعة، وتطلعاتهم ورؤيتهم لذواتهم وصورة الآخر لديهم، ومدى وعيهم بدورهم ومكانتهم داخل أنساق تتراوح بين الضيق والانتساع على نطاق عالمي - كوني .

وعليه فقد يكون من غير المطلوب الاكتفاء بتقرير سقوط "الأنموذج" الذي كان سائدا، بل طرح الرؤى والاتجاهات والتصورات المستقبلية خلال تلك المرحلة التي نعاشها في الراهن، فالمستقبل لن يتشكل من تلقاء نفسه، بل من خلال جهود بشر يستهدفونه من الآن على هيئة أو أخرى، سواء بتقرير خط قائم وتدعيمه، أو بمناهة آخر لاستبعاده، أو تعديل مساره، فضلا عن طرح البدائل الممكنة، ومن هنا تكتسب الدراسات المستقبلية أهميتها خلال تلك الفترات بالذات، لما تتمتع به من شمول مجالها وبينية منهجيتها، ومن ثم تجاوزها ثنائية: العلم الطبيعي - الانسانيات .

إننا بحاجة حقيقية الى بحث الاهتمام جديا بالدراسات المستقبلية في عالمنا العربي، ليس بأن نأخذنا ضرورات مواكبة التطورات العالمية فنبدى - بشكل مظهرى وقشرى - اهتماما بالمسمى، دون أن نهتم اهتماما فعليا بالجوهر، وذلك من باب ابراء الذمة والظهور بمظهر المتقدمين، فنقوم بإضافة كلمة المستقبل اقحاما إلى بحوثنا ودراساتنا ومقالاتنا، ولكن من خلال جهود علمية مؤسسية، نأخذنا إلى نطاق أكثر جدية وفاعلية من مجرد حدس الافراد وتوقعاتهم المعتمدة على قدراتهم الاستشرافية الذاتية، ذلك أن للدراسات المستقبلية أساليب منهجية تحتاج إلى دروس ومران، وهي فوق ذلك تحتاج الى قدر من التخيل العلمى المستقبلى، والتحرر الذهني، فضلا عن قدرة على التدرب الدائم على تنمية عقلية البدائل القادرة على طرح تصورات ابداعية نظرية وواقعية على حد سواء، وهو ما يتطلب ضرورة التحرر من إسار الرؤية الخطية، والانطلاق من مقارنة التعقد، بما تتطلبه من عدم إهمال للتفاصيل والأحداث والتطورات التي قد تبدو جزئية ومنفصلة، فى حين أنها تنطوى على قدر كبير من الأهمية، كما أنها لا تهمل ما قد يراه أغلب الناس ضربا من العشوائية، فى حين أنه ينطوى على انتظام ما بالإمكان دراسته وفقا لمنطقه الخاص .

ولنا أن نعلم - فى هذا الصدد بالذات - أن قوتنا كأناس عاديين قد نالت أخيرا دعما غير متوقع من علماء الرياضيات والحاسبات الآلية، الذين يدرسون الفوضى، استنادا الى حقيقة أن فعلا ضعلا للغاية قد يكون ذا تأثيرات ضخمة على النظام العشوائى الكامن والظاهر على حد سواء، يعنى هذا أنه عندما نختار كأفراد فإننا نختار حتما لكل الجنس البشرى، هذه المعرفة يجب أن تمنحنا شعورا وحسا مضاعفا بالمسؤولية تجاه ما نقوم به من أفعال حاضرا ومستقبلا على حد سواء .

وبما أننا نتحدث بشأن مراكز ومؤسسات بحثية متخصصة فى الدراسات المستقبلية، فإنه من الضرورى أن نؤكد أن ادارة هذه المؤسسات لا بد وأن تتم وفقا لنظم الإدارة

المعتمدة في أساسها على نتائج البحوث المستقبلية، وهي الإدارة الشبكية، والتي تناقض الإدارة البيروقراطية القائمة على الهراركي في أساسها، فليس مفيدا ولا حتى منطقيا، أن ننشئ مراكز بحثية بهدف إبداع بحوث ودراسات مستقبلية، وأن تدار تلك المؤسسات إدارة تتناقض مع جوهر المنتج الأساسي لها، ألا هو التوجه نحو المستقبل استشرافا واستهدافا، فليس سرا أن الإدارة البيروقراطية للمؤسسات البحثية تقتل الإبداع وتحاصره، ولا يهدأ لها بال إلا بطرد عقولها المفكرة إلى خارج تلك المؤسسات .

وفضلا عما سبق، لا يكون مجديا الاعتماد في تلك المراكز البحثية على أسماء لامعة في مجال الثقافة، في حين يغلب عليها وللأسف الضابع المهني الاحترافي دون ابداع، أو حتى اجتهاد، ذلك أن الدراسات المستقبلية لا مجال فيها للفهولة الثقافية أو الفكرية، وإنما هي في حاجة الى باحثين مؤهلين نظريا ومنهجيا في مجالنا هذا، فضلا عن كونهم يمتلكون عقليات طازجة، متفتحة، مرنة قابلة للتطوير، والعمل الجماعي متعدد التخصصات .

وقد يكون مفيدا أن نقرر أن الوعي بطبيعة المرحلة المعيشة، وبمرحلة الانقطاع والتمايز في تاريخ البشرية، يمنحنا قدرا من التفكير الايجابي تجاه المستقبل، يصبح من المشروع خلاله إفساح الطريق لطرح ابداعات تمثل قفزات لاخطية على جميع مساراتنا، بحيث نبدأ من حيث انتهى الآخرون الذين سبقونا في هذا المضمار، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهناك أهمية عظمى للتركيز على عناصر الفاعلية بدلا من تشتيت الجهود على مدى طيف واسع من العناصر التقليدية، وفضلا عن هذا وذاك، فإنه من المهم للغاية ونحن نقوم بممارسة بحثية مستقبلية أن يقر في أذهاننا دائما أن مجال المستقبليات هو مجال ببنى، يحتاج إلى رؤى متنوعة ومتباينة (طبيعية وإنسانية)، كما أنه مجال يقع على أرضيات مشتركة بين العلم والفن، وهذا مهم للغاية وإلى أبعد الحدود، بحيث لا يصيب أحدا الاضطراب والتخجل من طرح تصور يخرج عن المألوف المعيشي، فما يطرح اليوم، وينظر إليه على أنه غير مألوف أو خارج المعايير التقليدية، يصبح معتادا في الغد، حيث إن هناك من قال إن كل ما يمكن لعقل أن يتصوره كتصور يمكن أن يوجد فعليا على أرض الواقع في مكان ما وزمان ما، حتى أن الساعة المتوقفة تفضل اشاراتها للزمن صحيحة مرتين في اليوم الواحد .

خلاصة الخلاصة ، في ضوء الاساسيات العشرة آتفة الذكر، يمكننا أن نقول بدرجة كبيرة من الثقة: أن منظومة التعليم تعاني من أزمة حقيقية، في مجالات: التعليم، المنهج، الأنشطة التربوية، تكنولوجيا التعليم (التقنيات التربوية)، التقويم التربوي، المعلم، المتعلم، محو الأمية وتعليم الكبار، البحث العلمي، الدراسات المستقبلية، لذلك من المهم بمكانة التفكير وإعادة النظر في المنظومة التربوية بصورتها الحالية، حتى لا تحدث كارثة تربوية، وذلك موضوع الحديث التالي .

## المرجع

- (١) إسماعيل صبرى عبد الله، «الأمية والمجانية»، جريدة الأهرام فى ٢١/٦/٢٠٠٣.
- (٢) إيهاب الدسوقى، «نحو مدرسة جادة ومتطورة للدراسات العليا»، جريدة الأهرام فى ١١/٨/٢٠٠٢.
- (٣) حامد طاهر، «الماجستير والدكتوراة لخدمة التنمية»، جريدة الأهرام فى ١٢/٦/٢٠٠٣.
- (٤) سلامة أبو اليزيد عوف، «مسيرة البحث العلمى فى مصر... إلى أين؟»، جريدة الأهرام فى ١٣/٢/٢٠٠٢.
- (٥) فتحى أبو عيانة، «المشروع القومى لنحو الأمية بين الواقع والمأمول»، جريدة الأهرام فى ٢١/٦/٢٠٠٣.
- (٦) لبيب السباعى، «امتحانات الصدمة والرعب»، جريدة الأهرام فى ٢/٦/٢٠٠٣.
- (٧) مأمون فندى، «مدرسة الدراسات العليا فى الجامعات المصرية»، جريدة الأهرام فى ٥/٧/٢٠٠٢.
- (٨) مجدى عزيز إبراهيم، «تنظيمات حديثة للمناهج التربوية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣.
- (٩) \_\_\_\_\_، «وظيفية المناهج بوضعها الحالى... بين الحلم والحقيقة»، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس: المؤتمر العلمى الخامس عشر (مناهج التعليم والإعداد للحياة المعاصرة)، ٢١ - ٢٢ يوليو ٢٠٠٣.
- (١٠) \_\_\_\_\_، «تعليم الكبار»، مركز وايدسرفيس: المؤتمر السنوى الثالث عشر (الإدارة العربية وحتمية التحديث والتغيير الفعال)، ٢٠٠٣.
- (١١) \_\_\_\_\_، «أسئلة العصر الشائكة: التعليم... أين يسير؟ والمعلم... أهو ظالم أم مظلوم؟ والمتعلم.. هل حققنا مقاصده؟»، مؤتمر «التعليم والمجتمع»: كلية التربية بدمياط، ٢٥-٢٦/٦/٢٠٠٣.
- (١٢) \_\_\_\_\_، «موسوعة المناهج التربوية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠.
- (١٣) محمد حسن رسمى، «التكنولوجيا وخريطة العالم الجديد»، جريدة الأهرام فى ١٠/٦/٢٠٠٣.
- (١٤) محمد زكى عويس، «البحوث التربوية ومستقبل مصر»، جريدة الأهرام فى ٢٣/٥/٢٠٠٢.
- (١٥) محمد عبد المنعم شلى، «الحاجة إلى الدراسات المستقبلية»، جريدة الأهرام فى ٢٩/٧/٢٠٠٢.

## الفصل الثالث

# منظومة تربية جديدة أم الكارثة؟

• تمهيد.

• إلى أين يسير العالم اليوم ؟

• الانجازات العلمية في القرن العشرين.

• منظومة تربية جديدة أم الكارثة؟

• إدارة أزمة منظومة التربية .. ضرورة واجبة.



## تعليم

إن إلقاء الضوء على ما يجب أن تفعله المدارس من أجل منح الناشئين القدرة على التكيف مع واقعهم الحالي، وعلى العيش في مستقبل حياتهم - ينبغي أن يشغل بال وفكر كل من التربويين والمهنيين على التعليم.

وبمعنى آخر فإن التعريف بما يجب أن تقدمه المدرسة لتلاميذها لتجهيزهم وإعدادهم لمواجهة الحياة الحاضرة، ولواجهة المستقبل وما قد يحمله من تغييرات يصعب التنبؤ بأبعادها بدقة، ينبغي أن يكون موضوع الساعة بالنسبة للتربويين والمسؤولين عن التعليم.

ولكن تحقيق ما تقدم قد يكون صعباً وقد يصل إلى حد استحالة التنفيذ، ويعود السبب في ذلك إلى أن المنهج التربوي بات مجالاً عرضياً يصعب وضع حدود واضحة فاصلة لمعاله، فيعد أن كان مجرد تجمعات لبعض ألوان المعرفة البسيطة، أصبح اليوم يحتمل أن يتضمن أى شيء، وأن يهدف تحقيق كل شيء في عالمنا المعاصر المزدهم بشتى ألوان المعرفة والتكنولوجيا (اللتين باتتا كماردين لا يمكن السيطرة عليهما أو إيقاف زحفهما)، والمثقل بكثير من الهموم والأوجاع.

إذن ففضية "حدود المنهج" قضية صعبة وشائكة بسبب العوامل العديدة الداخلة فيها والمتداخلة معها، وخاصة أن إنجازات العلم خلال القرن العشرين تفوق كل تخيل وتصور، فالمكتشفات والمخترعات العلمية تدفقت خلال ذلك القرن بطريقة حادة جداً، بحيث لا يمكن للعقل البشرى إدراكها، مما أصاب الفرد في وقتنا هذا بالإعياء المعلوماتي.

## أولاً: الك أين يسير العالم اليوم؟!

ان ما يلفت الانتباه اليوم حقاً في تطورات المستقبل، ومعضلات التقدم حيال التطور الحديث، وما يصاحبه من سرعة تدفق المستجدات التي تطرأ ما بين الحين والآخر من جهة، وحدة الصراع القائم بسبب تصادم أفكار الإنسان للعاصر ما بين القديم والحديث من جهة أخرى، يؤكد ما آلت إليه المستجدات في تبلور المفاهيم بما يتوافق وبموافق الثورة المعلوماتية.

وما أفرزته تلك الثورة من مستجدات على يومنا الحاضر وما أمسينا ملزمين بقبوله دون حق الاختيار من تلك المعضلات التي التهمت باجتياحها ما حولها وأخذت تهيمن على عالمنا... مما جعل تلك المعضلات مفروضة علينا، وإلا اصطدنا بتلك الثورة المعرفية وملحاتها، وما تحتمة علينا من الخضوع لأنها باتت واقعا، لا بد لنا من أن نحذو حذوها لعلنا نرتقى إلى ما آلت إليه تلك المستجدات المعلوماتية والمعلوماتية حتى لانحيا في دائرة من العبث معزولين عن العالم، ندور حول أنفسنا في حلقة مفرغة، وبالتالي لانجد غير ذلك الطريق لنسلكه بغية البلوغ لما آل إليه العالم اليوم.

ولكن للأسف كلما ضاعفنا خطانا للحاق بهذه الكوكبة المعلوماتية والعلوماتية وما تحتوى من مستجدات فى التحديث والتقدم... نكتشف أننا كالذى يلحق بذلك السراب، كلما اقتربنا فإن البعد ذاته لا يزال قائما بنفس المسافة والمساحة إذ لم يكن أكثر، وبذلك تختفى من أمامنا الرؤية، وتغيب عن أذهاننا المفاهيم، ونحس أننا فى عالم غريب عن هذا العالم الجديد، وليس بمقدورنا بلوغه برغم قدراتنا وإمكاناتنا على العطاء، إذا ما طلب منا ذلك، لاننا نملك من الذكاء ما يملكه غيرنا، وليس إدعاء أو غروراً ولكنه حقيقة.. ولكن المشكلة تكمن فى كيفية توظيفه، ولا يمكن أن يحدث ذلك التوظيف ما لم نتحرر من العوقات البالية، وكل ما يحجر على عقولنا، لذلك نفتقد ما يؤهلنا لنعولم عالمنا فى موكب تلك العولة، وبذلك ما علينا إلا أن نتحرر عقولنا من رواسب الماضى الدفين ونحكم أذهاننا بيقظة وعى واقتدار لما يدور حولنا، وبالتالي نحول مجتمعاتنا لتلتقى وتلاقى، كى تقبل وترفض، وتنفى وتؤيد، وتفكر وتقرر، وتختصر وتبتكر، وتستطيع تقييم ما آلت إليه العولة من مستجدات بالنسبة لما حولنا، وتحديد أبن نحن من هذا الطوفان الزاحف نحونا دون هوادهة؟.. ومكاننا منه فى هذا العالم الكبير وألا نستسلم لذلك المألوف الذى كان ومازال مفروضاً علينا بأتماطه البالية التى كانت وليدة حقب سلفت صنعتها أسلاف سبقت ومن كان قبلها كى نسير على الطريق نفسه الذى سلكه هؤلاء الأسلاف، والمؤسف نحن مازلنا نأخذ بتلك الحقب السحيقة برغم التيارات الفكرية والمستجدات التى آلت على مجتمعاتنا، وفرضت إفرزات مفاهيمها وعلومها علينا، لذا يجب أن نتواكب مع كوكبتها ونتعولم مع عولمتها، لعلنا نخترق تلك العولة والكوكبة المستحدثة، كى تتجاوز مفاهيمنا مع عالمنا الذى نحياه دون أن نحاول عبثاً الانفصال عنه مهما كانت المسببات والدوافع والمبررات، وإلا غرقنا فى بحر من الطوفان، ولا نستطيع التحكم فى مجداف مركبتنا ولا العوم إذا ما غرقنا فى بحر المستجدات. وما يطرأ من تحديث بين الفينة والفينة قد لا يأتى بالثمار المرجوة منه، ونحن على وضعنا الحالى، غير مهيين ولا مؤهلين للعولة وإفرزاتها المتلاحقة واحدة تلو الأخرى.

لقد بدأ القرن الحادى والعشرون بتسيارات فكرية وسلوكية مختلفة تماماً عن القرون السابقة.. وكان هناك حاجزاً - لكنه غير مرئى - يفصل الزمان ببعضه، كما هو الحال فى المكان (الجغرافيا) ... ويتأمل الأحداث يمكن حصر هذا الجديد فيما يلى :

١ - تكنولوجيا الاتصالات والمواصلات، جعلت الأرض كلها وكأنها قرية صغيرة، ونتيجة لذلك لم يعد ما يحدث فى أى ركن على الأرض (مهما يكن قصياً) ... يخفى عن باقى سكان الأرض. وهكذا تكشفت العورات.. وسنحت الفرصة لمن هم خارج الحدود بالتدخل فى شئون محلية تحدث داخل الحدود ... منهية بذلك عصر قومية المشاكل وخصوصيتها.

٢ - رجع الزمان إلى ما كان عليه في العصور الرومانية القديمة، حيث صار العالم أحادى القطب، فالولايات المتحدة الأمريكية صارت هي القوة الأكبر المهيمنة سياسياً واقتصادياً وتكنولوجياً وعسكرياً... فتدخلت في رسم السياسات العامة للعالم في كل المجالات، وطبقتها بالقوة الغاشمة... وأحياناً بوسائل أخرى.

٣ - ظهرت فكرة العولمة... وظهرها روح التقدم والأبهار... وباضنها الهيمنة والإذلال.. فكان رد الفعل الشعبي في العالم المتقدم... الرفض.. لأن انزاع العام الواعي أدرك المعنى الحقيقي للعولمة. وهو أن الغنى سيزداد غنا والفقير سيزداد فقراً.. كما أن السيادة القومية مألها إلى زوال ليحل محلها التدخل الأمريكي في كل الشؤون السيادية لاي دولة قومية.. وستكون هناك مركزية عالمية تخطط للجميع وتتابع التنفيذ القهري.. لصالح الهدف الاستراتيجي للوطن الأمريكي فحسب.

٤ - تغيرت مفاهيم أخرى كانت راسخة عبر التاريخ... مثل الكفاح المسلح المشروع لمقاومة الاحتلال الأجنبي، فصار يعرف على أنه "أرهاب" تهب أمريكا للقضاء عليه في أي مكان وجد على الأرض...! إلا إذا صب هذا التمرد في المصلحة الأمريكية العليا...!!

٥ - تبدلت فكرة الدولة التكتلية التي تقوم على الاقتصاد الموجه - أو التي تركز على فردية الحكم. فصنف ذلك بدوره على أنه "استبداد" يستوجب التدخل الأمريكي - مع استثناء الأنظمة "الصناعات الأمريكية" المتعاونة.

٦ - فرضت الولايات المتحدة على المشاريع الحضارية الخاصة - مبدأ الذوبان - ولو على مراحل، في الحضارة الأمريكية بقيها المتناقضة وطحيتها الثقافية وفلسفتها النفعية وسلوكها العنيف.. ومن أمثلة هذه المشاريع: الياباني - الصيني - السلافي - الإسلامي - اللاتيني.

٧ - ازدادت الفوارق بكل مجالاتها بين شمال الكرة الأرضية الأكثر حضارة وثروة، وجنوبها الأقل تطوراً وثروة... وكانت أولى النتائج لذلك: إغلاق الحدود بين نصفي الأرض.. فأنحسر أهل الجنوب في أوطانهم بأحوالها المتدنية فازدادت فقراً، وانتشرت الحروب الأهلية بين أبناء الوطن الواحد، والأقليمية بين الدول المتجاورة، وانشغلت هذه الشعوب الفقيرة أصلاً بتنامي سوء الأحوال الاقتصادية والمعيشية والأمنية، بل والسياسية، حيث تساعد أمريكا (سراً) البعض من أصدقائها لتولي زمام الحكم الاستبدادي..

وإثناء ذلك ظهر مصطلح دولي يعرف "بالهجرة غير المشروعة" وهكذا أهدر أحد مبادئ حقوق الإنسان... وهو الحرية بكل أنواعها... ومن بينها حرية الاختيار العام والخاص، وحرية التنقل.

٨ - أصبحت الحروب عالية التقنية والتكلفة، واحتكرت أمريكا التفوق فيها... وبلهت بعدها في الترتيب.. أوروبا الموحدة، ثم الصين الشعبية، ثم روسيا الاتحادية - وبعد ذلك تبقى كل الدول خارج المنافسة.

وبطشت أمريكا فعلا بعدد من الدول القومية، بطشة جبارة، ولم تهزم إلا في فيتنام (كان ذلك خلال العقود الأخيرة من القرن الماضي).

٩ - رسمت أمريكا خريطة جديدة للعالم - طبقا لرؤاها ومصالحها، ومصالح حلفائها الحميمين (إسرائيل على وجه الخصوص).. راعت في التقسيم الجغرافي الجديد، تفتيت الدول.. في الوقت الذي هي نفسها.. "ولايات متحدة" !!!

وقد بعثرت الاتحاد السوفيتي إلى نحو العشرين دولة، وفتت يوجوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها وقسمت كوريا، بل إنها أقامت صينا أخرى (تايبان) بجوار الصين، وشرعت في تقسيم اندونيسيا، والأمثلة في أفريقيا واردة. ولم تستثن قارة من ذلك إلا أمريكا الجنوبية، باعتبارها داخلية في المجال الحيوي والنفوذ الأمريكي، واستراليا لوجودها ضمن اتحاد الكومنولث البريطاني. وقد تنهت أوروبا ركيزة الحضارة المعاصرة والعلوم والفنون إلى ذلك، فبدأت تتوحد وقطعت شوطاً كبيراً في ذلك.. نحو "أوروبا الموحدة"، بيد أن بؤرة المقاومة الانفصالية التي تقاوم الوحدة الأوروبية تتركز في بريطانيا الحليف التقليدي لأمريكا والمشاركة معها في المذهب الديني والتكوين العرقي الغالب. وقد انضم إلى بريطانيا في النزعة الانفصالية عدد قليل من الدول الأوروبية الصغيرة.

١٠ - أصبح الدولار العملة العالمية الأولى - لدرجة أن كثيرا من دول العالم الثالث ارتبطت بالدولار كركيزة لاقتصادها القومي - مشكلة منه الاحتياطي لعمالتها خصوصا بعد أن عفى الزمان على "قاعدة الغطاء الذهبي"، وأصبح حجم المتداول في أوراق النقد الأمريكي في أمريكا وخارجها، يحتاج إلى عدد هائل من الأصفار على يمين الرقم (١) واحد بحيث لا يحصيه إلا جهاز حاسب آلي...!

وفي هذا العرض السريع للسمات الجديدة للقرن الحالي، نلقت النظر إلى ضرورة الآتي:

- ١ - تطوير مجتمعاتنا بالأخذ بالعلوم والتكنولوجيا والاهتمام بالتربية والتعليم.
- ٢ - التوجه نحو الديمقراطية، بالبداية في ارساء ثقافة الديمقراطية، ونشر مؤسساتها الشعبية والرسمية، وتدعيمها وتطويرها.
- ٣ - تطوير ثقافة المجتمع، بما يسمح بالاعتراف بالآخر، والتعاون معه، وإقامة علاقات متوازنة مع كل دول العالم الراغبة فعلا وحقا في السلام وتبادل المصالح.

٤ - تأسيس الفكر الاستراتيجى على أساس الانتماء إلى دوائر متداخلة هى : الوطنية المصرية - القومية العربية - العالم الإسلامى - الانسانية جمعاء، وليس هناك تعارض بين هذه الدوائر.. بل إنها حلقات متشابكة متداخلة .

٥ - الدعوة إلى التكتل العربى - رفا على دعوات التفتيت والتقسيم المخطط لها من الخارج، وأيضاً اقتداء بما تم فى أوروبا الموحدة.. حيث إن العصر عصر الدولة الكبرى ولا مكان فيه لما يسمى «الدولة القزم» .

إذاً، بات للعالم سمات وخصائص بعينها تأكدت مع بداية القرن الحالى (والتى سبق ذكرها - بالتفصيل - فى الحديث آنف الذكر)، وهذه أفرزت وصاحبها فى الوقت نفسه مجموعة من القضايا المهمة، نذكر منها - كمثال - القضيتين التاليتين:

#### ١ - ثورة المعلومات وتأكيد الانتماء للوطن :

يعيش البشر الآن عصر ثورة فى حجم ونوعية البيانات والمعلومات، عصرًا يضم تقنيات الإنترنت كأكبر وعاء كونى يضم أشكالاً من بيانات ومعلومات يسهل استخدامها بين بنى البشر، فى هذا العصر أشرف العالم على أن يصبح قرية واحدة، ما يحدث هنا تتم معرفته هناك، ما يحدث هناك يتم التأثير به هنا، إزاء هذه الثورة يطرح سؤال عام: هل الإنسان الفرد مقبل على تناول نوع من ديمقراطية عالمية تتيح له حريات ومنافع فردية تتعد به عن قيود الولاء للدولة المركزية؟ أم أن الفرد سيقى متمسكا بالولاء لوطنه وما يستتبعه ذلك الولاء من تحمل كثير من القيود المصاحبة لوجود دولة قومية تمارس على تابعيها قوليتهم فى أطر من الولاء والطاعة والملصقات العقائدية؟

إن إجابة هذا السؤال تتطلب حديثاً موجزاً عن طبيعة كل من الثورات والدولة والإنترنت .

الثورات الإجتماعية الكبرى التى أثرت فى تاريخ البشر أربع ثورات، الثورة الزراعية التى حولت الإنسان من صائد متنقل، لا يملك غير أدوات صيد بدائية تكفيه طعام يومه ساعة بساعة، وحولته هذه الثورة إلى مزارع مستقر، يملك بعض أصناف طعام يومه وتفيض عن حاجته، فنشأت مقايضة السلع وولد الإقطاع، وكانت الدولة المركزية بعلائقها الاجتماعية والثقافية، وتقولب الإنسان الفرد فى أطر قبلية ومدنية وحرفية تحميه من بطش الدولة .

أما الثورة الثانية فهى ثورة البخور والتوابل اللازمة لحفظ الطعام الفائض عن الحاجة، وما تبعها من كشوف جغرافية قصرت المسافات ونشأت معها الإمبراطوريات وقت سطوة الدولة المركزية على توابعها من بشر وولايات .

والثورة الثالثة هي الثورة الصناعية التي نشأت فيها التجارة وانتشر معها استخدام النقود، وما تبعها من سريان ثقافة حقوق إنسان تاجر ومبدع امتلك مخزنا جديدا لناجٍ جهده تمثل في رأس مال قابل للانتقال من مكان لآخر.

وأخيراً الثورة الرابعة التي نعيشها الآن، وهي ثورة اتصالات تترك حجما ضخما من البيانات والمعلومات متاحاً للجميع على ساحة الإنترنت، ثورة تفتت كثيرا من مقومات الدولة. وتوجد لدى الأفراد الأقوياء ثقافيا مجالات احتكار حقيقية لبشر أقوياء، يجيدون تحويل البيانات إلى معلومات مفيدة يمارسون بها حياة ديمقراطية يعيشونها على أرض الواقع.

كل هذه الثورات تمت في العشرة آلاف سنة الأخيرة، وأية ثورة صناعية أو ثقافية أو اقتصادية أو بيولوجية، لن تستطيع إلغاء التاريخ البيولوجي للإنسان، وتعمل المساواة بين البشر أمراً طبيعياً. وبالتالي ستبقى القيم الاجتماعية والثقافية قائمة بالاختلاف بين البشر، اختلاف قدرات في استغلال موارد الطبيعة يدفع البشر نحو الجدل والتعاون، واختلاف عجز عن الاستقلال الأمثل يدفع البشر للصراع والحروب. وعن طبيعة الدولة فهي كائن حقيقي ينشأ بجهود الأفراد، كائن مستقل عنهم، تختلف فاعليتها مع مواطنيها باختلاف درجة النمو وطبيعة نظام الحكم، ودرجة المشاركة الشعبية في صنع القرارات. وعن طبيعة الإنترنت فهو فضاء متسع في عالم الاتصالات، يضم بيانات هائلة تبقى طوال الوقت بيانات صماء، وتشغيل هذه البيانات وتحويلها إلى معلومات مفيدة للبشر يتوقف على ثقافة مستخدم الإنترنت. فكلما زادت مستويات الثقافة.. زادت فاعلية استخدام المعلومات في تسهيل الحياة على البشر.

وتكون إجابة السؤال المطروح عن تأثير ثورة المعلومات على انتماء فرد ما لمجتمع ما، هي أن الفضاء التخلي للديمقراطية الذي يتيح انتشار كثير من البيانات على الإنترنت يترك طوال الوقت المجال متسعا لتأثير الفروق الثقافية بين الأفراد والمجتمعات، فكلما تضخمت ثقافة شعب ما وامتلات بالموضوعية العلمية.. أصبح فضاء الإنترنت أكثر اتساعا لأن يمارس أفراد هذا الشعب ديمقراطية أوسع نطاقاً، وحين تتصاغر ثقافة شعب ما وتمتلئ بالأساطير فإن فضاء الإنترنت لن ينزع الأفراد من انتمائهم الحقيقي لأوطانهم، لكنه يضع في صدورهم بثور انتماء لعالم أكثر اتساعا يقاوم تسلط الدولة القومية.

## (٢) تنمية الإنسان لمواجهة التدفق المعلوماتي :

الإنسان أى إنسان مصنع لإنتاج المعلومات والمعرفة المتجددة: كمها وكيفها يتوقف على مدخلات الإنسان من البيئة المحيطة وإنسجامه معها بما يفجر كل إمكانات وطاقات هذا المصنع الإلهي الصنع. وبرعاية وتنمية هذا المصنع تتفجر الإبداعات والابتكارات، وواحدة منهما قد تغير التاريخ الإنساني كله.

والمؤسسة أى مؤسسة، جموع كوادرها البشرية، هم أهم وأخطر مكوناتها المادية والمعنوية. وبالتعبية فإن المؤسسة هى "محول" لمعلومات ومعارف كوادرها البشرية إلى منتجات وخدمات تسهم بدورها فى تشكيل البيعة (السابق الحديث عنها) والارتقاء بها وبإنسانها ليعظم من كيف وكم معلوماته ومعرفته.

والدولة أى دولة، أخطر مكوناتها المادية والمعنوية هو بشرها. وعليه فإن الدولة "محول" ضخمة لكل معلومات ومعارف كوادرها البشرية ومؤسساتها ونظمها، وهى أيضاً تحولهم إلى خدمات بمسميات وأشكال وأهداف مختلفة تسهم بدورها فى تشكيل المناخ العام لكل من على أرض هذه الدولة لكى تتفجر طاقاتهم المعرفية بشكل مباشر فتحدث التنمية وبعدها الارتقاء والعزة والأمان.

إذن فإن قيمة الدولة فى قيمة إنسانها، وفى عصر سعى بعصر المعرفة تزداد قيمة أن يكون الإنسان معرفياً، وبالتالي تكون الدولة هكذا.

والإنسان لا يصبح معرفياً بالمصادفة ولكن تحوله البيعة التى ينمو فيها والتى توفر له مدخلات تتكون بها قواعد وينوك معرفته. تلك المدخلات تتمثل فى نوعية التعليم وعمق الثقافة وتنوعها وسلامة بنائها الاجتماعى وقدرته على حرية التعبير وتمتعه بالديمقراطية المطلقة الى حد توافر السلام النفسى، إضافة إلى توافر فرص الاتصال والتواصل مع مجتمعات المعرفة المتقدمة، مع ملاحظة ان تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات أحد مكوناتها الأساسية.

والدولة أيضاً لا تتحول إلى دولة معرفية بالمصادفة، ولكن بتكامل وتفاعل كياناتها الكثيرة: الصغيرة والكبيرة والمتفرقة من خلال منظومة تحدد أدوار كل كياناتها وآليات وأساليب تنميتها معرفياً، ومن خلال شبكة اتصالات وعلاقات مادية ومعنوية تربط وتجمع وتوظف كل هذه الكيانات لتحقيق الهدف أو الأهداف التى تخطط لها الدولة.

ان أصغر هذه الكيانات هو الإنسان وأكبرها هو المؤسسات، وسواء كان الحديث على ذلك أو ذاك، فإن جميعها كيانات معرفية تملك طاقة الإبداع والابتكار.

وتجدر الإشارة إلى أن التحول الى مجتمع معرفى بالمفهوم العلمى هو أمر طبيعى يتسق مع التطور الفكرى الذى يحدث فى أى عصر من العصور. فقد بدأ كانت مكونات المجتمع المعرفى موجودة، وإن كانت - آنذاك - آليات تنمية الكيانات فقيرة وآليات التوظيف والتجميع مفقودة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات كانت فى مرحلة الولادة، أما الرؤية والهدف فكانا غير متبلورين.

أما الآن فالتحول إلى مجتمع معرفى أصبح حتمياً لأنه أقصر الطرق للتنمية الشاملة، بل ربما يكون أوفرها وإن كان الوقت هو التحدى، أوفرها لأنها تعتمد على الطاقات الفردية

للعنصر البشري وهو من صنع الخالق وان كانت تنميتها من صنع المجتمع. والوقت هو التحدي؛ لأن سباق الأمم أصبح شرساً ويعتمد كلية على سرعة امتلاك مفاتيح تطور العلم والتكنولوجيا، القلب النابض لمجتمع المعرفة.

ومن المهم أن تدرك الدول النامية قيمة الإنسان وقيمة ما يملك من تكنولوجيا ذاتية هي من صنع الله، وأن توجه - أيضاً - جل جهدها نحو كيفية استكشاف وتنمية وتوظيف وربط وتكامل كل هذه التكنولوجيات لتكون تكنولوجيا واحدة شاملة، بعدها تدور عجلة التنمية ذاتياً بلا توقف.. إنها حركة مستمرة.

## ثانياً : الإنجازات العلمية في القرن العشرين :

لتأكيد ما ذهبنا إليه فيما تقدم، علينا مراجعة حديث ( جوزيف بوهند كستر وجوزيف فاجنيز ) الذي تمحور حول قضية «بأي سرعة نستطيع أن نمضي ؟ How Fast Can We Go?»، حيث أبرزنا الإنجازات العلمية التي تمت خلال القرن العشرين؛ وذلك ما يظهره الحديث التالي :

لقد أعطى وضع هذا الملخص لأهم إنجازات العلم في القرن العشرين لمعظم أفراد هيئة تحرير مجلتنا إيماناً مجدداً بالمقولة الشائعة التي تقول: إن ٨٠٪ من كل منجزات العلم قد أنجزت خلال العقود العشرة الأخيرة، فقبل زمن غير بعيد فاجناتا «فروهد» بإعلان بداية هذا العصر الجديد بكشفه عن غمراض العقل اللاواعي (اللاشعور Unconscious mind)، وأزاح «أينشتاين» جانباً معظم قوانين «نيوتن» في علم الفيزياء التي ظلت راسخة لمدة ٤٠٠ عام، وعلمنا «هايزنبرج» (Heisenberg) أن علينا أن نعيش مع الارتباب أو اللاتيقين.

اعتباراً من هذه البداية المهيبة تسارع مسار الانجاز العلمي في القرن العشرين، وبحلول منتصف ذلك القرن أنتج العلماء سلاحاً كفيلاً بأن يدمر العالم كله، ثم جعلوه أكثر قوة بما يفوق الخيال، ثم قام فريق من العلماء بإنتاج آلة حاسوبية تتفوق في أداؤها على صانعيها. ومنذ فترة وجيزة استطاع العلماء أن يتلاعبوا في عملية التناسل بحيث يستنسخون نسخاً طبق الأصل من الأشكال الحية الموجودة، بل ومن أشكال الحياة التي لم توجد من قبل قط.

ومراجعة هذه الاكتشافات تنضح حقيقة أكثر دلالة من الاكتشافات ذاتها، فالعلم لم يشغل فقط أكثر العقول توقداً بالذكاء في القرن العشرين، بل وأكثرها إبداعاً أيضاً، فالإكتشافات المذهلة سبقتها شطحات مذهلة الخيال.

وليس من المحتمل أن يتباطأ إيقاع هذه الإنجازات - بل على العكس تماماً فمعدل الإنتاج العلمي يتزايد بصورة مطردة، وهذا يعني أن العلم لا بد وأن يصبح أكثر تخصصاً وتفرداً، ومن ثم يتضاءل عدد العلماء الذين يجرون أبحاثاً علمية تستطيع التواصل مع

مجالات أخرى خارج عوالمهم التخصصية، وقد يمتد بنا العمر لكى ندرك صحة كلمات «ثورشتين فبلن» Veblen التى اقترح فيها أن يدير الفنيون العالم فى نهاية الأمر لانه لن يفهمه سواهم .

وعلى الصفحات التالية، يتم تقديم أهم المنجزات العلمية، والذي يبدأ بالعام ١٩٠٠ وينتهى بالتغطية السنوية التقليدية التى تقوم بها مجلة «ديسكوفر» Discover فى العلوم، وخلال هذا العرض لا يستطيع الفرد انتزاع السيطرة من الفنيين، ولكن المأمول أن يقوده العرض إلى ما وراء الدهشة، إلى فضول شديد تجاه العالم المتزايد التعقيد الذى يحيط به .

فالعلم - كما يقول المثل القديم- من الأهمية البالغة بحيث لا يجب أن نتركه للعلماء وحدهم .

: ١٩٠٠

- «والترريد Reed» يربط بين الحمى الصفراء والبعضوة المسماة «الزراعة المصرية» (Aedes acgypti) .

- «ماكس بلاتك Plank» - أبو فيزياء الكم- يكتشف أن الإشعاع يُمتص ويُبعث فقط عند مستوى معين من الطاقة .

- «بول فيلار Villard» يكتشف أشعة جاما .

- «أرثر إيفانز Evans» يعثر فى حفرياته على قصر «مينوى» من العصر البرونزى فى كنوسوس بجزيرة كريت .

- «هوجو دى فرايز De Vries» و«كارل كورينز Correns» و«إريك تشيرماك» فون سيسينج Von Seysenegg» يميلون اكتشاف قوانين «مندل» للوراثة الموضوعه العام ١٨٦٥ .

: ١٩٠١

- «كارل لاندشتاينر Landsteiner» يتعرف فصائل الدم البشرى O,B,A .

- «جوجيليمو ماركونى Marconi» يستقبل أول بث للراديو عبر المحيط الأطلسى .

- «إيفان بافلوف Pavlov» يصف الفعل المنعكس الشرطى .

- «سارتورى كاتو Kato» يعرض القهوة السريعة التحضير فى معرض بان امريكا بمدينة بافلو فى ولاية نيويورك .

: ١٩٠٢

- «ج. هونولد Honold» ، زميل «روبرت بوش Bosch» ، يبتكر شموع «بوش» للاحتراق .

:١٩٠٣:

- «الأخوان رايت Wright» (ويلبر وأورفيل رايت) يحلقان بطائرة في مدينة كيتي هوك بولاية نورث كارولينا لمدة ٥٩ ثانية.

:١٩٠٤:

- «جون أمبروز فلمنج Fleming» يحصل على براءة اختراع الأنبوبة المفرغة الهواء.  
- «ليون جيهيه Guillet» ينتج الصلب الذي لا يصدأ؛ ولكنه لا يلاحظ أنه لا يتآكل (Non Corrosive).

:١٩٠٥:

- «الفريد بينيه Binet» و«تيسودور سيمون Simon» يضعان أول اختبار قياس للذكاء.

- يبدأ «بريسفال لويل Lowell» في البحث عن كوكب بلوتو.  
- «شارلز جوتري Guthrie» و«الكسيس كاريل Carrel» طوروا تقنية لتوصيل الأوعية الدموية الممزقة.

- تم إنتاج النوفوكاين (مخدر موضعي).

- «ألبرت أينشتاين Einstein» يضع نظرية النسبية الخاصة، وينشرها في مجلة فيزياء ألمانية.

:١٩٠٦:

- «فريدريك هوبكنز Hopkins» يقترح عنصر غذائي جديد: الفيتامينات.  
- «ألويس الزهايمر Alzheimer» يتعرف اضطراب الدماغ التنكسي، والذي سيحمل اسمه بعد ذلك.

:١٩٠٧:

- يبدأ «توماس هنت مورجان Morgan» دراسات مبكرة في الكروموسومات باستخدام ذبابة الفاكهة.

:١٩٠٨:

- شركة هيوز للألات تطور الحفار ذا الأسنان المصنوعة من الصلب الذي أحدث ثورة في عمليات استخراج البترول بالحفر.

- «هانز جايجر Geiger» و«ارنست روفرفورد Rutherford» يخترعان عداداً جايجر لقياس الإشعاع.

:١٩٠٩

- «أندريا موروفيتش Mohorovicic» يكتشف وجود حد فاصل بين القشرة الأرضية وبين الطبقة المحيطة بجوف الأرض.
- شركة جنرال إلكتروك تطرح سخان الخبز (التوستر) الكهربائي في الأسواق.
- «ليوبياكلاند Baekeland» مبتكر وينال ترخيصاً للباكليت Bakelite - أول بلاستيك عصرى.

- «روبرت أ. ميليكان Millikan» يقوم بقياس شحنة الإلكترون.
- «فريتز هابر Haber» يصنع الأمونيا، محدثاً ثورة في إنتاج الأسمدة الزراعية.

:١٩١٠

- «بول إهرليخ Ehrlich» يكتشف علاجاً للزهري: دواء سالفارسان.
- «جورج كلود Claude» يكتشف أضواء النيون.
- «مارى كورى Curie» و«أندريه لويس ديبيرن Debieme» يقومان بعزل عنصر الراديوم.

:١٩١١

- «هيرام بينجهام Bingham» يكتشف مدينة «الإنكا» في «ماتشو بيتشو».
- «روالد أموندسين Amundsen» يصل إلى القطب الجنوبي.
- «هايكه كاميرلنج أونز Onnes» يكتشف التوصيل الفائق.
- «إرنست روثرفورد Rutherford» يبين أن معظم وزن الذرة موجود في نواتها.

:١٩١٢

- «فكتور فرانسيس هيس Hess» يكتشف أن الإشعاع في وسط من الأيونات يزداد بزيادة الارتفاع، مما أدى إلى اكتشاف الأشعة الكونية.
- «الفريد فيجنر Wegener» يضع نظريته عن التحرك التدريجي للقارات.

:١٩١٣

- «ماكس فون لاو Von Lawe» يصمم جهاز تصوير البلوريات بالأشعة السينية.
- «تشارلز فابري Febry» ينجح اختباراً للكشف عن الدفتيريا.
- «نيلز بوهر Bohr» يشرح الانتقال الكمي للإلكترون من مدار إلى آخر مع نموذج جديد للذرة.

- خط هنرى فورد Ford، لتجميع السيارة طراز "T" يختصر وقت التصنيع.

:١٩١٤ع

- «بيني جوتنبرج Gutenberg» يكتشف عدم التواصل بين جوف الأرض (Core) والطبقة المحيطة بها (mantle).

- مدينة كليفلاند (أوهايو) تطبق أول نظام لإشارات المرور الضوئية: أحمر وأخضر في العالم.

:١٩١٥ع

- «والتر سيدني آدامز Admas» يكتشف أن النجم «الشعري اليمانية» Siri B us أكثر حرارة من الشمس بـ ٢٠٠٠ درجة مئوية، مما يجعله أول نجم أبيض قديم معروف.

- «مانسون بينيديكس Benedicks» يكتشف أول بلورات عنصر الجرمانيوم يمكن أن تحول التيار المتردد إلى تيار مستمر.

- «بول لانجفين Langevin» يخترع جهاز الموجات فوق الصوتية (السونار).

:١٩١٦ع

- «ألبرت أينشتاين Einstein» ينشر نظريته النسبية العامة.

- «مارجريت سانجر Sanger» تنشئ أول عيادة في الولايات المتحدة لتحديد النسل.

- السيارات في الولايات المتحدة تزود بمساحات للزجاج الامامى.

- «كارل شفارتز شيلد Schwarzschild» يتنبأ بوجود الثقوب السوداء في الفضاء.

:١٩١٧ع

- «فيليم دى سيدر de Sitter» يستنتج من نظرية النسبية العامة أن الكون يتمدد.

- «هارلو شابلى Shapley» يقدر الحجم التقريبي لمحرة درب التبانة.

:١٩١٨ع

- وباء الإنفلونزا العالمى يقتل ملايين البشر.

:١٩١٩ع

- «جوليلمو ماركونى Marconi» يطور اللاسلكى ذا الموجات القصيرة.

- «إرنست روفر فورد Rutherford» ينتج أول تفكك صناعى لأحد العناصر.

:١٩٢٠ع

- «وليم داربر هاركينز Harkins» يتنبأ بوجود النيوترون الجزئية الحالية من الشحنات.

- «بلا برايت كارل تشابك Capek» يدخل تعبير «الروبوت» (الإنسان الآلى).
- «إرنست روزرفورد Rutherford» يحدد خواص البروتون.
- : (١٩٢١)
- «فريدريك بانتنج Banting» و«تشارلز بست Best» يقومان بفصل الأنسولين.
- «توماس ميدجلي Midgley» يكتشف أن المركب الرباعي إيثيل الرصاص يزيل قرعقة المحرك.
- «هرمان رورشاخ Rorschach» يُدخل اختبار بقع الحبر Inkblot لتحديد الشخصية.
- : (١٩٢٢)
- «هوارد كارتر Carter» يكتشف مقبرة الملك توت عنخ آمون.
- «روى تشابمان أندروز Andrews» يعثر على أول بيض متحجر معروف للديناصور.
- : (١٩٢٣)
- «سيجموند فرويد Freud» ينشر الطبعة الألمانية من كتابه: (الانا والهي The Ego and the Id).
- : (١٩٢٤)
- «إدوين هابل Hubble» يعلن عن وجود مجرات خارج درب التبانة.
- «ريموند دارت Dart» يكتشف جمجمة طفل «تاونج» الشبيه بالإنسان فى جنوب أفريقيا.
- الشرطة تبدأ باستخدام جهاز كشف الكذب.
- «لويس دي بروجلى De Broglie» يقترح أن كل مادة تسلك سلوك كل من الموجة والجزئ.
- تسجل براءة اختراع ساعة المعصم.
- «الكسندرى، أوبارين Oparin» يصل لنظرية فى كتابه (أصل الحياة) بأن الحياة بزغت من سحاب بدائى كثيف (Primordial Soup).
- : (١٩٢٥)
- «جون ت. سكوبس Scopes» يُدان بتهمة تدريس نظرية التطور فى مدينة داهتون بولاية تينيسى.

:١٩٢٦

- «ريتشارد بيرد Byrd» و«فلويد بينيت Bennet» يدعيان قيامهما بأول طيران فوق القطب الشمالي .

- «هرمان جوزيف مولر Muller» يجد أن أشعة إكس (السينية) تسبب تغيرات في جينات ذبابة الفاكهة .

- «روبير هـ. جودارد Goddard» يحقق أول إطلاق لصاروخ يدفع بوقود سائل .

:١٩٢٧

- «دافيدسون بلاك Black» يحدد جنس الإنسان المنتصب (Homoerectus) من أحد أسنان «إنسان بكين» .

- «فيليب درينكر Drinker» و«لويس شو Shaw» يصنعان الرثة الحديدية (أداة للتنفس الصناعي) .

- «فيرنر هايزنبرج Heisenberg» ينشر مبدأه للشك (بخصوص قياس مواضع مكونات الذرة) .

- «تشارلز أ. ليندبرج Lindberg» يطير بمفرده عبر الأطلسي من دون توقف .

- «آل جولسن Jolsen» يلعب في فيلم «مطرب الجاز»، أول فيلم روائي ناطق .

:١٩٢٨

- استخلاص فيتامين ج "C" .

- «الكسندر فلمنج Fleming» يكتشف البنسلين .

- «بول ديراك Dirac» يطبق نظرية النسبية الخاصة على الإلكترون، ويتنبأ بوجود المادة المضادة "antimatter" .

- «جون لوجي بيرد Baird» يعرض فكرة التلفاز الملون .

- «مارجريت ميد Mead» تشرح المجتمع البدائي في كتابها «بلوغ الرشد في ساموا» .

:١٩٢٩

- «إدوين هابل Hubble» يعلن أن الكون يتمدد، مع تحرك المجرات للخارج بسرعة تتناسب مع بعدها عن بعضها .

- «هانز برجر Berger» يصمم جهاز تخطيط كهربية الدماغ - Electroencephalo-graph .

- «موتونورى ماتوياما Matuyama» يجد أن مجال الجاذبية الأرضية يعكس الاتجاه أحياناً.  
:١٩٣٠
- «وليم بيب Beebe» و«أوتيس بارتون Barton» يطوران بعمق المحيط فى جهاز غطس كروى (كرة الأعماق: Bathysphere) إلى عمق ١٣٠٠ قدم.  
- «كلايد تومبو Tombaugh» يكتشف كوكب بلوتو.  
- «فرانك ويتل Whittle» يسجل براءة اختراع المحرك التوربيني.  
- شركة «ثرى إم 3M» تقدم للأسواق الشريط اللاصق الشفاف (Scotch Tape) من اختراع «ريتشارد درو Drew».  
:١٩٣١
- «إرنست و. لورانس Lawrence» يقدم جهاز «السيكلوترون»: معجل الجزيئات.  
- «هارولد بورى Urey» يكتشف «الديوتيروم» (الهيدروجين الثقيل).  
:١٩٣٢
- «جيمس شاولدريك Chadwick» يكتشف النيوترون.  
- «كارت ديفيد أندرسون Anderson» يكتشف أول مادة مضادة البوزيترون.  
- «أوجست بيكار Piccard» ومساعدته يصعدان فى بالون لارتفاع ٥٣,١٥٣ قدماً، وهما أول بشر يدخلان طبقة الستراتوسفير (الجزء الأعلى من الغلاف الجوى).  
:١٩٣٣
- اتجاه الولادة بأقل قدر من الأدوية يقوده «جرانتلى ديك - ريد Drick - Redd» فى كتابه «الولادة الطبيعية».  
- «إرنست روسكا Ruska» يخترع المجهر الإلكتروني.  
:١٩٣٤
- «فريدريك وإيرين جوليو - كورى Joliot Curie» يصوبان جزيئات «ألفا» إلى العناصر لإنتاج نشاط إشعاعى صناعي لأول مرة.  
- «إنريكو فيرمى Fermi» يشطر ذرة اليورانيوم بتصادمها بالنيوترون.  
:١٩٣٥
- «تشارلزف ريختر Richter» و«بينو جوتنبرج Gutenberg» يضعان مقياس ريختر موضع الاستعمال.

- «أرثر جيفرى دمبستر Dempster» يكتشف نظير اليورانيوم ٢٣٥، والذي استخدم فيما بعد في صنع القنبلة الذرية.

- «أنطونيو مونيز Moniz» و«الميدا ليما Lima» يدخلان جراحة بضع الفص أمام الجبهي للمخ (Prefrontal Lobotomy) كعلاج للأمراض العقلية.

- «روبرت واطسون - وات Watson - Watt» يطور الرادار.

- شركة «بنجوين» للنشر تطرح الكتب ورقية الغلاف Paperback لأول مرة.

: ١٩٣٦هـ

- تطوير تقنية التكسير الحفري (Catalytic Cracking) لفصل مكونات البترول.

- سد «باولدر» (الآن سد «هوفر») يكتمل، وبذلك تصنع بحيرة ميد.

: ١٩٣٧هـ

- تصنيع أول عنصر غير موجود بالطبيعة: التكنيشيوم (Technetium).

- صنع أول مضاد للحساسية Antihistamine.

- «شستر إ. كارلسون Carlson» يطور تقنية التصوير الجاف (Xerography).

: ١٩٣٨هـ

- «روى بلانكيت Plunkett»، الكيميائي بشركة دوبونت يكتشف مادة «التيفلون» مصادفة.

- «والاس كاروتز Carothers» يطور النايلون لصالح شركة دوبونت.

- «يوجو شيرليني Cereletti» و«لوشيو بيني Bini» يدخلان الصدمات الكهربائية كعلاج للاكتئاب.

- «ج. س. كالندر Callendar» يجزم بأن البشر يزدون من نسب ثاني أكسيد الكربون على الأرض مُدخلا مفهوم: التغيرات المناخية من صنع الإنسان.

- «ب. ف. سكينر Skinner» يعرض نظرية الإشراف الاستجابي (متوقع الثواب) Oper-ant Conditioning في كتاب «سلوك الكائنات».

: ١٩٣٩هـ

- «أوتوهان Hahn» و«فريتز شتراسمان Strassmann» و«ليز مايتنر Meitner»

و«أوتو فريش Frish» يشرحون كيف تنقسم ذرة اليورانيوم إلى جزأين وتطلق الطاقة.

- شركة خطوط طيران «بان أمريكان» تبدأ رحلات تجارية منتظمة عبر الأطلسي .
- «إيجور سيكورسكى Sikorsky» يطور الطائرة المروحية الحديثة .
- «بول هرمان مولليرى Mulleri» يكتشف أن مادة الـ «دى دى نى» (DDT) تقتل الحشرات .
- ١٩٤٠: :
- «مارتن كامن» و«سام روبن Ruben» يحددان طبيعة الكربون ١٤ الذى استخدم بعد ذلك فى تقدير عمر الحفريات .
- أربعة فرنسيين يكتشفون رسوم كهف «لاسكو» التى يقدر عمرها بنحو ١٧ ألف سنة .
- ١٩٤١: :
- استخدام البنسلين لأول مرة كمضاد حيوى بالحقن .
- «لايل د. جودهيو Goodhue» يطرح لأول مرة أنبوبة الهواء المضغوط (الايروسول) والمستخدمه لضخ المبيدات الحشرية .
- ١٩٤٢: :
- فريق «إنريكو فيرمى Fermi» يحصل على أول تفاعل نووى متسلسل محكوم .
- «جون اتاناسوف Atanasoff» و«كليفورد بيرى Berry» يصنعان أحد أوائل الحواسيب .
- ١٩٤٣: :
- الحاسوب الرقمى الإلكتروني «كوليساس» يخترق الشفرة الحربية الألمانية .
- «جاك إيف كوستو Costeau» و«إميل جاجنان Gagnan» يخترعان (الرئة الألمانية) أو جهاز «سكوبا» للغطس .
- ١٩٤٤: :
- أوسكار مورجنستيرن Morgnsterن» و«جون فون نيومان Von Neumann» يضعان نظرية المباراة فى الرياضيات .
- «الفريد بلالوك Blalock» يقوم بأول جراحة قلب «طفل أزرق» .
- «لايزو بيرو Biro» يصنع قلم الحبر الجاف الحديث .

:(١٩٤٥)

- معالجة مياه الشرب في الولايات المتحدة بالفلوريد لمكافحة تسوس الأسنان .
- أول قنبلة ذرية يتم تفجيرها في ولاية نيومكسيكو، تقتل القنابل التي أسقطت بعد أقل من شهر على هيروشيما وناجازاكي أكثر من ١٠٠ ألف ياباني وتعطل الساعات .

:(١٩٤٦)

- «وج. بريسيبر إيكرت Eckert» و«جون و. موتشلي Mauchley» يصنعان أول حاسوب متعدد الأغراض (ENIAC) لحسابات مسارات الصواريخ .

:(١٩٤٧)

- «وليم ب. شوكللي Shockley» و«واتر ه. براتين Brattain» و«جون باردن Bardeen» يخترعون الترانزستور .

- شاب بدوي يكتشف وثائق البحر الميت بالقرب من «خربة قمران» .
- شركة «جودبير» تقدم للسيارات الأمريكية أول إطار من دون أنبوبة داخلية Tubeless .
- «تشك ييجر Yeager» يخترق حاجز الصوت في الطائرة X-1 .
- فرن الميكروويف يدخل المطبخ الأمريكي .

:(١٩٤٨)

- «بيتر جولدمارك GoldMark» يخترع الأسطوانة التي تدور لفترة طويلة .
- «جورج جامو Gamow» و«رالف ألفجر Alpher» و«روبرت هرمان Herman» يطرحون نظرية «الانفجار كتفسير لنشأة الكون» .
- «إدوين لاند Land» يخترع التصوير الفوري .

:(١٩٤٩)

- أول ساعة ذرية في العالم .
- شركة (RCA) تطور أنبوبة التلفاز الملون .

:(١٩٥٠)

- «داينرز كلوب Diners Club» يصدر أول بطاقة ائتمان للمشتريات الاستهلاكية .

:(١٩٥١)

- باحثو أمراض السرطان يقومون بعزل خلية هيللا Hela لأول مرة .

١٩٥٢ء:

- مشاهدة عروض الأفلام السينمائية المحسمة (ثلاثية الأبعاد) باستخدام نظارات خاصة مستقطبة للضوء.

- «جورج يورجنسون Jorgenson» يصبح «كريمستين يورجنسون» فى أول جراحة لتغيير الجنس.

- «جوناس سولك SALK» يصنع لقاحاً من فيروس ميت لمرض شلل الأطفال.

- تفجير أول قنبلة هيدروجينية فى إحدى جزر المحيط الهادى (أينيواتوك أتول).

١٩٥٣ء:

- «الفرد. س. كينزى Kinzey» ينشر تقريراً عن السلوك الجنسي للنساء الأمريكيات.

- استخدام جهاز القلب / الرئة الصناعي بنجاح فى الإنسان.

- «جيمس واتسون Watson» و«فرانسيس كريك Crick» يوضحان أن جزيئ الحمضى النووى الدنا (DNA) يتكون من حلزون مزدوج.

- الوصول إلى قمة جبل إفرست بواسطة «إدموند هيلارى Hillary» و«تنزيج نورجى Norgay».

- «إنسان بيلنداون» «المكتشف» فى العام ١٩١٠ يظهر على حقيقته: خدعة.

١٩٥٤ء:

- شركة «بروكتور وجامبل» تنتج «كرست» أول معجون أسنان طبي يحتوى على الفلوريد.

١٩٥٦ء:

- تصنيع أول جهاز تسجيل فيديو عملى.

- النيوترينو (Neutrino) الذى توقع وجوده العام ١٩٣٠، يناهذ لأول مرة.

١٩٥٧ء:

- «شركة (IBM) تطرح «فورتران Fortran» وهى أول لغات برمجة الحواسيب.

- «البرت بروس سابين Sabin» يطور اللقاح الحى لمرض شلل الأطفال.

- إطلاق القمر الصناعى السوفيتى «سبوتنيك ١» وبداية سباق الفضاء.

:(١٩٥٨)

- «جيمس فان ألين Allen» يكتشف «حزام إشعاع فان ألين» حول الكرة الأرضية.
- اثنان من الفيزيائيين الأمريكيين يشرحان كيفية إنتاج الليزر (Laser).

:(١٩٥٩)

- استخدام الدوائر الإلكترونية المتكاملة في الحواسيب.
- سفينة الفضاء السوفيتية «لونا ٣» تنقل صوراً للجانب المظلم من القمر.

:(١٩٦٠)

- «كينيث نوريس Noris»، و«جون بريسكوت Prescott» يجدان أن الدولفين ذا الأنف الشبيه بالزجاجة يستخدم صدى الصوت لتحديد الموقع.
- الولايات المتحدة تطلق أول قمر صناعي للأرصاد الجوية.
- «نيودور مايمان Maiman» ينفذ أول شعاع ليزر.
- «هارى هيس Hess» يطرح نظرية تمدد قاع البحر.
- إدارة الدواء والغذاء الأمريكية (FDA) تجيز حبوب منع الحمل.

:(١٩٦١)

- «لويس ليكي Leakey»، و«فيليب توبياس Tobias»، و«جون نابيير Napier» يعلنون عن جنس جديد شبيه بالإنسان هو: الإنسان الماهر (Homo habilis).
- رائد الفضاء السوفيتي «يوري جاجارين Gagarin» يدور حول الأرض في فوستوك ١.

:(١٩٦٢)

- نشر كتاب (الربيع الصامت) لـ «راشل كارسون Carson».
- أول سفينة رحلات بين الكواكب - مارينر ٢- تقترب من المريخ.
- (تيلستار): أول قمر صناعي فعال للاتصالات يبدأ عمله.

:(١٩٦٣)

- شركة فيليبس للإلكترونيات تطرح جهاز تسجيل الكاسيت.
- «موري جيل - مان» و«جورج تسفايج Zweig» يقترحان فرضية (الكوارك Quark theory) لتمييز أجزاء الذرة.

- «توماس ستارل Starzl» يجرى جراحة لزراعة كبد بشرى.  
 - بدء استخدام عقار «الغاليوم».
- «إدوارد ن. لورنز Lorenz» في محاولة لان يضبط سلوك الغلاف الجوي بالكسبيوتر،  
 يوضح طبيعته المضطربة.
- «مارتين شميدت Schmidt» يتعرف كويزار Quasar: وهو جرم خارج المجرة.  
 :١٩٦٤ع
- التقاط صور للقمر من مجسّ الفضاء «راغمر»٧.  
 :١٩٦٥ع
- «أرنو بنزياس Penzias» و«روبرت ويلسون Wilson» يلتقطان بالمصادفة إشعاعات  
 كونية بموجات كهرومغناطيسية دقيقة، دليلاً على «الانفجار الكبير».
- رائد الفضاء «الكسي أ. ليونوف Leonov» يسبح في الفضاء.  
 :١٩٦٦ع
- الجيل الصناعي (Astroturf) يستخدم في قاعدة هيوستون الفضائية.  
 - الاتحاد السوفيتي يحط بسفينة فضاء على سطح القمر.
- «ك.س. كاو Kao» و«ج.أ. هوكمام Hockmam» يقترحان استخدام الألياف  
 الضوئية (fiber optics) في الاتصالات البعيدة.  
 :١٩٦٧ع
- «جوسيلين بل Bell» و«انتوني هيويش Hewish» يحددان أول نجم نابض بلسار  
 (Pulsar): وهو قسم جديد من النجوم التي ترسل نبضات من موجات الراديو منتظمة  
 بشكل كبير.
- «كريستيان برنارد Bernard» يقود فريقاً في أول جراحة زرع قلب بشرى.
- علماء البيسة يحذرون من أن زيادة ثاني أكسيد الكربون لها تأثير مثل «تأثير  
 الصوبات».
- استخدام نظام «دولبي Dolby» لصوت نقى.  
 :١٩٦٨ع
- «فيرنر آربر Arber» يكتشف إنزيمًا يقطع شرائح من الحامض النووي (DNA).

- « روبرت إدواردز Edwards » و« باتريك ستيبسو Steptoe » يعلنان عن أول تلقيح ناجح لبويضات بشرية خارج الجسم .

:(١٩٦٩)

- وزارة الدفاع الأمريكية تنشيء « الأربانت Arpenet » سابقة الإنترنت .

- طائرات الكونكورد الأسرع من الصوت تظهر لأول مرة .

- تدشين مشروع لدراسة أعماق البحار والمحيطات (JOIDES) .

- « نيل أرمسترونج Armstrong » و« باز ألدرين Aldrin » يمشيان على سطح القمر .

:(١٩٧٠)

- الاحتفال لأول مرة بـ « يوم الكرة الأرضية » .

- الاتحاد السوفيتي يضع بنجاح أول مركبة فضاء على كوكب الزهرة .

:(١٩٧١)

- الحاسبات الآلية المركزية تستخدم الأقراص المرنة (Floppy disks) .

- شركة « إنتل » تنتج وحدة المعالجة الدقيقة (Microprocessor) .

- المركبة « ماريتر ٩ » تدور حول كوكب المريخ .

- نظرية النسبية لـ « أينشتاين » يتم دعمها من خلال قياس باستخدام ٤ ساعات حائط من معدن السيزيوم طارت مرتين حول العالم في اتجاهين متضادين .

:(١٩٧٢)

- « يوجين سيرنان Cernan » و« رونالد إيفانز Evans » و« ماريسون شميت Schmitt » هم آخر طاقم للمركبة « أبوللو » يزور القمر .

- الولايات المتحدة تطلق القمر الصناعي « لاندسات ١ » .

- « ستيفن جاي جولد Gould » و« مايلز إلدريدج Eldredge » يفترضان أن تطور الكائنات لا يحدث بمعدل منتظم ولكن في شكل طفرات .

- الولايات المتحدة تحرم معظم استخدام مادة الـ (DDT) .

- بدء استخدام التصوير المقطعي المحوسب (CAT scan) في التصوير الطبي .

:(١٩٧٣)

- « بيونير ١٠ » ترسل للأرض أول صور عن قُرب لكوكب المشترى .

- «هربرت بوير Boyr» وزملاؤه يوجهون شريحة من الحامض النووي (DNA)، بحيث تقطع وتقسّم ويعاد تكوينها.

- إطلاق «سكاي لاب» معمل الفضاء.

- تستخدم مراكز التسوق والبقالة الرمز الرقمي (UPC)، وتستعمل رموزاً من خطوط يتعرف عليها إلكترونياً (Bar Codes).

:١٩٧٤٥

- العثور في أفريقيا على معظم الهيكل العظمى لـ «لوسى Lucy» وهو: كائن قهيب الشبه من الإنسان عمره ٣ ملايين سنة.

:١٩٧٥٥

- «النسر الطائر Altair 8800» أول جهاز كمبيوتر شخصي يطرح في الولايات المتحدة.

- أول تعرف أكيد على مرض (Lyme).

:١٩٧٦٥

- «توم كيبيل Kibble» ينشر نظرية الخيوط الكونية.

- علماء الرياضيات في جامعة «إلينوي» يشتون تخميناً ظهر في خمسينيات القرن التاسع عشر أن أى لقطة فونوغرافية لا تحتاج إلى أكثر من أربعة ألوان.

- المركبتان «فايكنج ١» و«فايكنج ٢» تهبطان على سطح المريخ.

:١٩٧٧٥

- استئصال مرض الجدري Smallpox من العالم.

- إثبات أن غازات الفريون المستخدمة في الثلاجات أو غازات الدفع في البخاخات تدمر طبقة الأوزون في الغلاف الجوي.

- المركبتان «فوياجر ١» و«فوياجر ٢» تنطلقان في رحلات طويلة في المجموعة الشمسية.

- «جون كورليس Corliss» و«روبرت بالارد Ballard» و«فريتز الالفين Alvin»،

الفواصة التي لايقودها طاقم، يكتشفون مراكز تهوية يصدر عنها الكهرباء في أعماق البحار تساعد على بقاء الحياة تحت سطح الماء.

:١٩٧٨٥

- إطلاق أول قمر صناعي أمريكي لتحديد المواقع يغطي الكرة الأرضية.

- ولادة أول طفلة أنابيب - «لويز براون»- في المملكة المتحدة البريطانية.

:١٩٧٩

- انصهار جزئي في المفاعل النووي بجزيرة «ثرى مايل» .
- طائرة «بول ماكريدي MacCready» المسماة Gossamer Albatross والتي تستمد الطاقة من البشر تعبر القناة الإنجليزية .

:١٩٨٠

- مادة الأبريدوم التي عُثر عليها في إيطاليا تدعم النظرية القائلة: إن نيزكاً تسبب في انقراض الديناصورات .
- الحمض النووي (DNA) الغريب عند حقنه في أجنة فئران، يعمل في تلك الفئران عند اكتمال نموها .
- ثورة بركان «سانت هيلين» .

:١٩٨١

- شركة (IBM) تطرح الكمبيوتر الشخصي من إنتاجها، وتسجل «نظام التشغيل القرصي» (DOS) باسم الطالب المفصول من الجامعة: «بيل جيتس» .
- تشخيص مرض الإيدز (متلازمة نقص المناعة المكتسبة) لأول مرة .
- «مايكل هاريسون Harrison» من جامعة كاليفورنيا - سان فرانسيسكو- يجرى أول جراحة لجنين داخل الرحم قبل ولادته .
- مكوك الفضاء «كولومبيا» أول مكوك يمكن إعادة استخدامه، يقوم برحلته الأولى .

:١٩٨٢

- مؤسسة «جينيتيك» تطرح في الأسواق أول منتج تجاري صنع بواسطة الهندسة الوراثية: الإنسولين البشري .
- المريض «بارني كلارك Clark» يحصل على أول قلب صناعي دائم، ويبقى على قيد الحياة لمدة ١١٢ يوماً .

:١٩٨٣

- المركبة «بيونير ١٠» تكمل ١١ عاماً في رحلتها، وتصبح أول مركبة فضاء تغادر المجموعة الشمسية .
- طرح الاسطوانات المدمجة (Compact Discs) في الأسواق .
- أول عملية نقل جنين بشري تجري في مركز هاربر الطبي -جامعة كاليفورنيا- لوس أنجلوس .

- «كارى موليس Mullis» ، يشكر «التفاعل المتسلسل لإنزيم البوليمراز Polymerase» ،  
لصنع نسخ من أجزاء الحامض النووي الريبوزى (DNA).

:١٩٨٤

- شركة «أبل» للكمبيوتر تطرح «الفارة Mouse» .

- «تشارلز.ج. سيلي Sibley» ، و«جون.إ. الكويست Ahlquist» ، يؤكدان أن أقرب  
الأقارب للجنس «الإنسان العاقل» Homo Sapiens هو الشمبانزى .

- «إنسان ليندو» وهو كاهن Druid عاش قبل ٢٠٠٠ سنة، يُعثر عليه سليماً في مستنقع  
ملئ بالأعشاب .

- «إرسل هيجوتشى Higuchi» وزملاؤه في باركلي - جامعة كاليفورنيا، يستنسخون  
جينات من «الكواجا Quagga» وهو حيوان يشبه الحمار الوحشى وقد انقرض منذ  
١٠٠ سنة .

:١٩٨٥

- ثقب في طبقة الأوزون يتم تحديده فوق المحيط الجنوبي .

- بدء تشييد أكبر تليسكوب ضوئى فى العالم - «كيك 1» - فى هاواى .

- بوب بالارد Ballard» يحدد مكان السفينة الشهيرة الغارقة: تيتانيك .

:١٩٨٦

- انفجار مفاعل «تشرنوبل» النووى .

- انفجار المكوك «تشانجر» بعد ٧٣ ثانية من إقلاعه، وموت كل ركابه السبعة بما فيهم  
«كريستا ماكوليف Maculiffe» المدرّسة فى نيوهامبشاير .

- السوفييت يطلقون «مير» ، أول محطة فضائية يشغلها بشر بشكل دائم .

:١٩٨٧

- آخر نسر ضخم «كوندور» فى كاليفورنيا يتم أسره، كى يتم تزاوجه مع النسر  
المأسورة .

:١٩٨٨

- العثور على منتجات بشرية عمرها ٩٠ ألف سنة فى فلسطين المحتلة، تبين أن «الإنسان  
العاقل» ( Homo Sapiens ) ظهر خارج قارة أفريقيا قبل ضعف المدة التى كانت  
تُعتقد قبلاً .

:١٩٨٩

- « تيم بيرنرز - لي Berners-Lee » يبدأ تشغيل النسيج العالمي لشبكة الإنترنت (World Wide Web) .

:١٩٩٠

- « بوكمنستر فولليرين » (Buckminsterfullerene) ، وهو جزيء كربون عملاق يشبه كرة القدم، يكتشفه «ريتشارد سمالي» من جامعة رايس .

- المركبة «فوباجرا» تسبح خارج المجموعة الشمسية، وتلتقط «صورة عائلية» لكواكب المجموعة .  
- بدء مشروع «الجينوم البشري» .

:١٩٩١

- الفوهة البركانية «تشيكسيولب» Chicxulub في شبه جزيرة «يوكاتان» بالمكسيك، يعتقد أن موضع سقوط نيزك أو شهاب قتل الديناصورات .

- «سوميا إيجيما» Iijima وزملاؤه بشركة (NEC) يكتشفون أنابيب كربون فائقة الدقة natotubes، ذات قوة ملحوظة واستخدام محتمل في الإلكترونيات .

- العثور على «أوتزي Otzi»، رجل الجليد المتجمد بجبال الألب من ٥٣٠٠ سنة .

:١٩٩٢

- قمر استكشاف الفضاء يعطى أقوى إثبات لنظرية «الانفجار الكبير» .

:١٩٩٣

- إصلاح التلسكوب الفضائي «هابل» .

- «أندرو وايلز Wiles» يقوم بحل آخر فرضيات «فيرمات Fermat» .

:١٩٩٤

- فريق بقيادة «جان - ماري شوفيه Chauvet» يكتشف رسوماً عمرها 30 ألف سنة في كهف بفرنسا .

- العثور على «أردبيثيكوس راميدس Ardipithecus ramidus» : شبيه بالإنسان - عمره ٤٠٠.٠٠٠ ر٤ في إثيوبيا، بوساطة كل من «تيم د. وايت White»، حين سجاوا Suwa، و«بيرهان أسفا و Asfaw»، وثبت أنه أقدم فرد معروف في العائلة البشرية .

- «ساشيوميكي Miki» وزملاؤه يكتشفون أول جين لسرطان الثدي: (BRAC1) .

- «المدنب» «شوميكر - ليفي» يصطدم بكوكب المشتري .

:١٩٩٥

- «العلماء في معمل مفاعل «فيرمي» النووي يجدون دليلاً يثبت وجود «الكوارك» الأعلى.
- تخليق كتلة «بوز أينشتاين Bose Einstein» المكثفة يفتح فرعاً جديداً في الفيزياء.
- «مايك مايور Mayor» و «ديبى كيلوز Queloz» بجامعة جنيف يكتشفان أول كوكب من خارج المجموعة الشمسية.
- نشر أول خريطة كاملة للجينات (جينوم) لكائن حي بالكامل: أحد أنواع البكتريا.
- المحطة المدارية «جاليليو» تصل إلى كوكب المشترى.

:١٩٩٦

- دراسة أحد النيازك التي اكتشفت من قبل في المحيط المتجمد الجنوبي (anarctica) ترجع وجود حياة لكائنات مجهرية على سطح كوكب المريخ.
- وجد أن لب الأرض يدور أسرع من بقية الكواكب.
- استنساخ النعجة «دوللى» من خلية لنعجة بالغة.
- العثور على بقايا متحجرة منجنج (نوريش) في الصين.

:١٩٩٧

- علماء الحفريات يثبتون أن موقع «مونت فيردى» في بيرو عمره ١٢,٥٠٠ سنة يحتوى على أقدم منتجات بشرية معروفة في الأمريكتين.
- المركبة المريخية «بانفابندر» ترسل صوراً واضحة للكوكب الأحمر.
- المذنب «هايل - بوب Hale Bopp» هو أكثر المذنبات الزائرة للأرض لمعاناً منذ «المذنب العظيم» في العالم ١٨١١.
- «جلرى كاسباروف Kasparov» يخسر مباراة شطرنج أمام كمبيوتر شركة (IBM): «يب بلو».

:١٩٩٨

- فريق جراحين «دولى» في فرنسا يجرى أول جراحة لزرع الاطراف عند الإنسان: زراعة يد.
- المركبة القمرية «بروسبيكتور» تعثر على دليل على وجود مياه سطح القمر.
- إثبات أن النيوترينو (Neutrino) له وزن.
- طرح عقار الفياجرا في الاسواق.

## ثالثاً : منظومة تربوية جديدة أم الكارثة ؟

تأسيساً على ما تقدم، تكون القضية صعبة جداً إذ يتطلب الأمر أن تخرج المنظومة التربوية من كبوتها، كى يمكنها مواكبة الانجازات العلمية التى تحققت فى القرن العشرين، وذلك يستوجب - بالطبع - تحديث وتطوير ما يجب أن يتضمنه المنهج من علم مفيد ونافع، وخاصة مع بدايات القرن الحادى والعشرين الذى يؤكد ظهور شىء جديد ورائع، ليس كل يوم فقط، بل كل ساعة، وأحياناً كل ثانية؛ وذلك يجعل من الصعب تجاهل المستحدثات التقنية والعلمية التى تنهال علينا من كل صوب وجانب .

فى ضوء الحديث آنف الذكر، باتت عصرة منظومة التربية ضرورة لازمة وحتمية واجبة إذا أردنا أن تكون لنا رؤية مستقبلية للتعليم، وحتى لا تحدث كارثة تعليمية حقيقية تجرنا للخلف خطوات وخطوات .

إن ما سبق ذكره، لهو دعوة جادة وأمنية ومخلصة، لتكون لنا فلسفة تربوية وهوية تعليمية، على أساسها يمكن تحديد تنظيم جديد للمنهج، بحيث يمكن من خلال هذا التنظيم تقديم المهارات والمعارف التى تساعد التلاميذ على مواجهة الصعوبات والتحديات التى قد تصادفهم فى حياتهم الحالية والمستقبلية فى مجتمع دائم التغيير، على المستويين : المحلى والعالمى . ويمكن أن تشكل الأفكار التالية حجر الأساس لتحقيق الهدف السابق :

(١) إكساب التلاميذ القدرة على التعامل مع التكنولوجيا، مع مراعاة أنه بالرغم من دخولنا عصر التكنولوجيا المتقدمة منذ أكثر من عشرين سنة مضت، فإن غالبية الناس فى غالبية بلدان الوطن العربى يتصفون بالامية التكنولوجية التى تقلل من كفاءتهم العملية .

(٢) إكساب التلاميذ مهارات ممارسة الحياة التعاونية على المستويين : المحلى والعالمى لمواجهة المشكلات المعقدة والصعبة التى يموج بها العالم الآن، والتى تتفاقم حدتها يوم بعد يوم .

(٣) إكساب التلاميذ المهارات الأساسية اللازمة للمحافظة على البقاء ( الغذاء الصحى الضرورى - الصحة البدنية والنفسية - تطبيق الطب الوقائى - زراعة الحدائق - تفعيل أدوار الآباء والأمهات - مقابلة أساليب احتراق الذات - توعية المستهلك - تحقيق أساليب التغلب على العواطف - العودة إلى الحياة السهلة البسيطة - ... ) .

(٤) إكساب التلاميذ أساليب الاختيار المهنى؛ وذلك لأن عملية اختيار الإنسان للمهنة المناسبة له باتت عملية صعبة ومعقدة، بالرغم من أنها تحدد طبيعة حياته المستقبلية .

(٥) إكساب التلاميذ أساليب التعلم الذاتى والتربية مدى الحياة، وبخاصة أن التعلم عملية تستمر طوال حياة الإنسان، وأن الوقت المخصص للتعليم فى المدرسة قليل

ولا يتناسب مع حجم الانفجار المعرفي . أيضاً فإن مشكلة الأنشطة التربوية المرتبطة بوقت الاعملى يمكن أن يسهم فى الاضطلاع بأنشطة الابتكار والبحث والإنتاج دون الاقتصاد على مجرد نقل المعارف .

(٦) إكساب التلاميذ مهارات التفكير والابتكار فى حل المشكلات واتخاذ القرارات التى تساعدهم فى التعامل مع مشكلات الحاضر والمستقبل؛ وبذا يكتسب التلاميذ مهارات «التفكير المركب» التى تمكنهم من التعامل مع تعقيدات العصر الحالى، ومن فحص البدائل والنتائج، ومن اتخاذ القرارات فى عملية الاختيار من بين البدائل المطروحة .

(٧) إكساب التلاميذ مهارات التواصل (القراءة والكتابة، وسائل التواصل السمعية والبصرية) التى تسهم فى تحقيق القدرة على تحليل المشاعر، والقدرة على إجراء المفاوضات وتسوية الخلافات بطرق عقلانية، وتأكيد أهمية السلام، كذا السيطرة على المهارات الجمانية اللازمة لتحقيق مهارات التواصل (القدرة على الإصغاء للآخرين - استيعاب المعلومات - تفهم أفكار الآخرين ومشاعرهم) .

(٨) إكساب التلاميذ أصول المواطنة الصالحة على المستويين: المحلى والعالمى، عن طريق تعريفهم بقضايا العصر الراهنة، وإتاحة الفرصة للإلمام بحقائق الإجراءات ذات العلاقة بالحرية والمرتبطه بالديمقراطية، وذلك عن طريق المشاركة فى أحداث «عالم حقيقى» من الأنشطة المدرسية المتنوعة، كالمراسلة والقيام بالرحلات الميدانية ومقابلة بعض المسئولين السياسيين، والتعلمذ على أيدى بعض المنظمات والهيئات القومية ذات النشاط السياسى المشروع .

(٩) إكساب التلاميذ أصول التربية الاخلاقية التى تحميهم من الإصابات بالاضطرابات النفسية والقلق اللذين أصبحا سمة مميزة لهذا العصر، والتى تمثل دستوراً يحدد لهم القواعد السلوكية فى التعامل مع الآخرين .

(١٠) إكساب التلاميذ المبادئ والاسس التى يقوم عليها مبدأ «احترام إنسانية الإنسان»، وبخاصة بعد زيادة اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، وبين الصفوة من العلماء والمفكرين والمثقفين والتعلمين وبين عامة الناس، وذلك عن طريق دراسة القواعد والمبادئ التى بواسطتها يتمكن التلاميذ من فهم الاقتصاد والسياسة والقانون والمجتمع .

### رابعاً : إدارة أزمة منظومة التربية ... ضرورة واجبة :

جدير بالذكر أن الحديث السابق، قد يرسب فى عقول بعض الافراد أفكاراً خاطئة عن فشل منظومة التربية فى تحقيق غالبية أهدافها، وذلك قد يشير وجدانهم سلباً بالنسبة لمنظومة التربية الحالية، مما يجعلهم يطالبون بإلقاء هذه المنظومة فى المحيم، وإنشاء منظومة

جديدة على أسس علمية دقيقة، وخاصة أن المنظومة القديمة تعاني من أزمات في جميع جوانبها .

والتصور السابق يعوزه التمحيص السليم لأساس القضية ذاتها، لأنه لا يمكن - بأى حال من الأحوال - البدء من جديد، وإهمال منظومة ترسبت أدوارها - بدرجة ما - في عقول ووجدان السواد الأعظم من أفراد المجتمع، ناهيك عن أنها تكونت في ظل تراث يضرب جذوره في أعماق الزمان، مع مراعاة أن ذلك التراث لم يكن شراً على طول خط، وإنما يتضمن الخير الكثير الذى استفادت منه البشرية على مر العصور . أيضاً، فإن المنظومة التربوية بوضعها الحالي، هى نفسها السبب المباشر فى إبراز العيوب والنقائص التى تعتربها، إذ من خلال النقد الذاتى لجوانبها المختلفة، ظهرت أهمية البحث عن صيغة جديدة لها .

إذاً، ما المقصود بمنظومة تربوية جديدة أم الكارثة ١٩ .

ليس المقصود - أبداً - هدم المنظومة الحالية من أساسها، والبدء فى بناء منظومة جديدة فى جميع جوانبها؛ لأن ذلك فى حكم المستحيل، وإنما المقصود هو إدارة أزمة المنظومة التربوية الحالية بهدف تفادى الخلل والقصور اللذين يعترضان بعض جوانبها، إذ دون إدارة أزمة المنظومة الحالية، وبقاء الحال على ما هو عليه، سوف تحدث - دون شك - أزمة حقيقية قد تهز أساسات منظومة التربية، ناهيك عن أن إدارة الأزمات كأسلوب منهجى بحثى يسهم فى تحديث الجوانب التى يتم إدارتها، بحيث تظهر فى ثوب جديد ومتطور قياساً بما كانت عليه فيما تقدم .

ولكن: ما السبيل لإدارة الأزمات فى شتى المجالات؟

يجيب عن السؤال السابق حامد صحبى السيوطى بطريقة غير مباشرة، عندما يتحدث عن السبيل لإدارة الأزمات، ويقول الآتى :

كثير الحديث فى الآونة الأخيرة عن الأزمة التى نعيشها، وتعددت الآراء حولها وتباينت الرؤى ووجهات النظر تجاهها، لدرجة أنها لو اجتمعت - وجهات النظر - لاصبح مجموعها أن حياتنا أزمة، والأمر بالتأكيد ليس كذلك كما أن النفى بأنه ليس هناك أزمة ليس صحيحاً البتة .

إذن هناك أزمة ولكن ما هى؟ وما حقيقتها؟ وما حجمها؟ وكيفية علاجها؟ هذه النقاط هى مسار الحديث فى السطور التالية فى محاولة للوصول لازمتنا الحقيقية وكيفية الخروج منها . بداية لابد أن نقر بأننا فى أزمة وإلا ما علت كل تلك الصيحات والرؤى فى محاولة منها للوقوف على الأزمة وحلها، وعملية الأقرار بالأزمة التى نعيشها - الآن - هى أولى خطوات الإصلاح والحل، لأنه إذا لم نعترف بوجود الأزمة فكيف سنعمل على حلها ١٩٩

ولكى نخفف على البعض حدة الاعتراف بوجود أزمة، علينا - أولاً- الاعتراف بأن مكانتنا قد ضاعت عالمياً. فبعد أن كانت مصر على رأس الامم وفي مقدمتها، باتت في ذيل الامم ومؤخرتها، رغم إنها تملك كل المقومات التي تؤهلها لان تكون في زمرة الدول المتقدمة. ليست هي التي تمتلك حضارة سبعة آلاف سنة أو يزيد؟! تلك الحضارة التي سادت العالم في وقتها وحيرت العالم حتى وقتنا الحالي، إذن فمصر منذ الفراعنة وهي على رأس العالم وظلت كذلك في العصر القبطي والعصر الإسلامي، فهل نحن كذلك الآن؟

ليست هي التي تمتلك خير الطاقات البشرية والعقول المبدعة والمحركة للحركة البشرية؟

ليست هي التي تمتلك الثروات الطبيعية المتنوعة من بشرية وزراعية وبتروولية وصناعية وسياحية... إلخ؟ قلما تجتمع كل هذه الثروات في بلد واحد.

فهل يليق بمصر في ذلك كل ذلك أن ترضى بما عليه؟ واعتبارها من الدول النامية، واذا نفى البعض كونها من الدول النامية فهل حالها الواقعي يتفق مع الرؤية والمكانة الواجبة والمستحقة لها؟ الإجابة بالتأكيد (لا).

ومن هنا نتفق مع الذين يرون أن هناك أزمة في التعليم وأزمة في البحث العلمي وأزمة اقتصادية وأزمة سياسية وأزمة مرورية وأزمة سلوكية وغيرها من الأزمات التي نعيشها ونحسها ونعانيتها بغض النظر أشار إليها البعض أم لا.

لسنا هنا في مجال التناول الفردي لكل مشكلة وإنما في مجال البحث عن الروابط المشكلات بين هذه المشكلات وفي مجال البحث عن الجذور التي تربط هذه المشكلات ولاضر في ذلك؟ لان هذه المشكلات تنبع من بيئة واحدة ويعانيها مجتمع واحد، اذن فالمنطق يحتم وجود جذور مشتركة بينها، والبحث عن هذه الجذور ليس من السهولة بمكان لان هذه المشكلات محيرة وبها نوع من التناقض بين الواقع والقوانين والتقارير الورقية النظرية.

ومن هنا يظهر اساس المشكلة وجذورها، لان الناظر إلى القوانين والتقارير النظرية يجد أنها جيدة وكافية لضبط أمور الحياة الواقعية، ولكنه عندما ينزل إلى أرض الواقع يجد الفجوة عميقة بين ما هو مكتوب وما هو منفذ بالفعل!! فما السر في تلك الفجوة؟

السر في تلك الفجوة هو أزمنا الحقيقية - في رأينا - الا وهو غياب الضمير، فلك الرقيب العالي المجرودة على كل ما نقوم به، وما وصلنا الى هذه الحال الا لقبية هذا الضمير الموجه لحياتنا، فأدى غياب الضمير إلى غياب الروح الجماعية وسيطرة الفردية واندحار المصالح العامة وغلبة المصالح الفردية واختفاء الروح التشاورية الديمقراطية الناقدة بصدق وظهور التسلطية الديكتاتورية الحاكمة بأمرها الرافضة لكل نصح أو نقد موجه!! للتأكد

من هذه الامور، أنظر إلى كل درجات حياتنا بعدما من الاسرة فالمدرسة فالشارع فالنادى فالمؤسسة فالشركة .. الخ.

كل هذه الامور التي نتجت عن غياب الضمير أحدثت هذه الفجوة وذاك الاضطراب بين القانون والواقع، لان هذه المعادلة - القانون والواقع - دقيقة وحساسة حيث إن القانون صامت جامد والواقع متغير ديناميكي، وتحويل الجامد الصامت الى متحرك ديناميكي يحتاج الى كفايات خاصة وقدرات عالية يجب توافرها في الكادر، وهو عضو النخبة أو الطليعة الذي يمتلك رؤية للمستقبل وليس فقط فهما تحليليا لواقع الامر على حد تعبير الدكتور أنور همد الملك، والكادر هو القادر على تحويل القانون من شيء جامد الى إنسان متحرك يعيش مع الناس وبهم، وليصدق قول العقاد:

إننا نريد اذا ما الظلم حاق بنا ... عدل الأناص لا عدل الموازين  
عدل الموازين ظلم حين تنصيبها ... على المساواة بين الحر والدون  
ما فرقت كفة الميزان أو عدلت ... بين الحلوى وأحجار الطواحين

فإنسانية القانون هي عملية تحويل القانون من شيء جامد الى كائن حي قابل للتعايش في دنيا الواقع. والناس وهذه العملية هي أهم مهمة يقوم بها الكادر لحمل الجماهير وملء عقولهم وقلوبهم بأهمية القانون وجدواه وضرورته باقتناع وحب لا جبر ولا الزام.

وعملية انسانية القانون أو أنسنة القانون لا بد أن يسبقها إيمان بضرورة تطبيق القانون على كل قائد ومقود، رئيس ومرعوس. فالكل امام القانون سواسية ولا أحد فوق القانون، فهذا الايمان قادر على إعادة صياغتنا جميعا في منظومة متناغمة بشكل سريع؛ لأنه قائم على السواسية والاحترام المتبادل. لكن عند التمييز في تطبيق القانون بين قائد ومقود يضيع القانون وتضيع الحياة التي نريدها، بل إن تطبيق القانون على القدوة أو القائد أولا له مفعول السحر في فاعلية القانون والسلم الإجتماعي، شأنه في ذلك شأن أى سلم لا يمكن غسل درجاته إلا من أعلى الى أسفل، وإن القدوة التي يضر بها الأعلى درجة لمن هم دونها جاها أو سلطة لى القدرة وحدها على تقدمنا وانضباطنا على حد تعبير الدكتور أحمد تيمور.

اذن غياب الضمير أدى الى تطبيق القانون على البعض دون البعض، وتطبيقه في أوقات واهماله في أخرى، وتطبيق بعض القوانين ونسيان معظمها - فاضطربت الحياة واختلت الامور، ووجدت الفجوة بين الأوراق التي تؤكد اتزان الحال والواقع الذي يشهد على اختلاله!!

اذن فالمشكلة الحقيقية التي نعانىها هي غياب الضمير وليس الافتقار الى قوانين جديدة من شأنها أن تصلح بعض الخلل في مجالها ولكنها لن تصلح الخلل كله فضلا عن باقى المجالات في ظل غيبة الضمير، وإذا كنا نريد الحل والصالح والتقدم لبلادنا فعلىنا جميعا

أفراد ومؤسسات، قادة ومقودين - كل في مكانه وموقعه - أن نعمل على إعادة الضمير إلى حياتنا وأن نربي أنفسنا وأبنائنا على الانضباط الذاتي تحت حكم الضمير، ونجعله رقيباً على كل ما نقوم به حارساً على أفعالنا لكن دون بتدقية إنما بإداة أشد أنرا منها، ألا وهى حساب النفس .

وهذا ليس صعباً ولا مستحيلاً إنما ممكن في ظل شرائعنا السماوية وتقاليدنا الموروثة التى تحت على تحكيم الضمير فى جميع أحوالنا، فلنبداً من الأسرة والمدرسة والشارع والنادى والمؤسسة والمصنع للعمل على غرس واحياء الضمير، وليكن رب كل بيت من هذه البيوت قدوة لمن هم دونه فى تحكيم الضمير بالفعل لا بالقول كما جاء فى الاثر ( انصح الناس بعملك لا بقولك ) .

واذا ساد الضمير بيننا وحكم فى أفعالنا حلت جميع مشكلاتنا لانه القادر على إيجاد الوعى وتهيئة الحس واقتناع العقل بضرورة تلك الأمور لتسيير أمور الحياة، والتزام الناس بالقوانين والضوابط اللازمة لحياتنا عن اقتناع وحب لانه صادر عن ضمائرهم الحية المقتنعة به وليس مفروضاً عليهم دون جدوى .

فاذا ساد الضمير حلت مشكلة المرور لان حلها ليس فى حزام الامان إنما فى حزام الالتزام العام، وحلت المشكلة الاقتصادية لانه سيلزم المستثمرين العرب خارج المنطقة العربية والتي بلغت استثماراتهم خارج منطقتهم العربية ٨٠٠ بليون دولار الى الاستثمار فى بيتهم العربى لخدمة أخوانهم وأبنائهم وأنفسهم، لان المناخ يساعد ويطمئن على ذلك بدلاً من التهافت على الاستثمار الخارجى .

وحلت مشكلة البحث العلمى لان الحكم حينئذ هو جدوى ونفع البحث وليس الحصول على الدرجة العلمية ومنحها لمن يستحق ومن لا يستحق، وبدلاً من ملء الرفوف بلبحاث لا قيمة لها ستغمر الحياة بنتائج دراسات جادة تفيد الناس ولا تكون حبيسة الرفوف .

وحلت مشكلة التعليم لان المحرك حينئذ سيكون هو تربية جيل وبناء أمة وحمل رسالة الأنبياء -كاد المعلم أن يكون رسولا- وليس الأتجار بمستقبل أمتنا للكسب المادى فقط، سيكون التبارى والتنافس للتأثير فى الجيل القادم وزرع المحصال الحميدة وتكوين الهوية الضائعة ووضع الأقدام على الطريق العملى الصحيح المتكامل وليس التنافس على استنزاف الجيوب !! وحلت مشكلة تغير السلوك العام ليصبح مثالياً عالياً تسوده روح المحبة والتكاتف والاخاء وتصبح شائعة -الكل يعمل كذا- إيجابية بعدما كانت سلبية لان السائد سيكون الحسن، والشاذ هو القليل وهذا هو الطبيعى .

نخلص من الحديث السابق إلى أهمية إدارة أزمة منظومة التربية، على أن يراعى فى هذا الاجراء الأساسات التى أشلر إليها المقال السابق، إذ دون تحقيق ذلك تظل منظومة التربية واقفة فى محلها بسكون عظيم، قد يصيبها فى مقتل .

والحقيقة إن إدارة أزمة أية مشكلة يجعلها مشكلة حمة متحركة، ومن الصعب أن تقف عند نقطة محددة؛ لأنها إذا وقفت عند نقطة ما، فإن إدارة أزمته مرة أخرى يحركها في الاتجاه المقصود، ويسهم في تحقيقها لأهدافها المنشودة.

وعليه، فإن أسلوب إدارة الأزمات وتطبيقه في المعضلات التربوية، يعمل على تقوية الأساسات وتعديل المسارات وتدارك الهفوات، وبذلك تظهر منظومة التربية وكأنها في ثوب جديد بصفة مستمرة.

والسؤال :

هل يمكن لأي باحث تطبيق أسلوب إدارة الأزمات على جميع عناصر منظومة التربية، بلا استثناء؟

من الصعب جداً أن يحقق فرد واحد (أو حتى فريق عمل) هذا الإجراء، لأن التربية تعنى الحياة، والحياة تعنى الحركة والحيوية، وهي عكس السكون والموت، ولذلك فإن مشكلات التربية ومعضلاتها لن تنتهي، إذ بمجرد مداواة وعلاج مشكلة بعينها، يمكن أن تظهر مشكلات أخرى تالية لاتقل في فجيعتها وتأثيراتها السلبية عن المشكلة السابقة، وهكذا دواليك.

وعليه.. فإن هذا الكتاب لا يدعى أو يزعم أنه يحل جميع مشكلات عناصر منظومة التربية، وإنما يقدم -فقط- حلولاً لبعض جوانب تلك المشكلات، من خلال أوراق بحثية جادة تم تقديمها في عديد من المؤتمرات العلمية.



- (١) إسماعيل إمام، «ملاحظات استراتيجية على بداية القرن الحالى»، جريدة الأهرام فى ٢٠٠٣/٧/١٦.
- (٢) جوزيف بونيد كستر، جوزيف داجنيز، ترجمة أمانى الحياط، «بأى سرعة نستطيع أن نمضى؟»، مجلة الثقافة العالمية (الكويت)، العدد ١٠٦، مايو ٢٠٠١.
- (٣) حامد صبحى السيوطى، «السبيل لإدارة الأزمات»، جريدة الأهرام فى ٢٠٠٣/٦/٤.
- (٤) مجدى عزيز إبراهيم، «دراسات فى المنهج التربوى للعاصر، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ٢٠٠٠.
- (٥) محمد حسن رسمى، «الإنسان والمعلومات والتنمية»، جريدة الأهرام فى ٢٠٠٣/٧/٦.
- (٦) منير نعيمة، «إلى أين يسير العالم اليوم؟»، جريدة الأهرام فى ٢٠٠٣/٧/١.
- (٧) ياسر العدل، «ثورة المعلومات... والإنتماء للوطن!!!»، جريدة الأهرام فى ٢٠٠٣/٢/١٢.